

د. إبراهيم عبد الله المنيف

إستراتيجية الإدارة اليابانية

日本の経営戦略

مكتبة العبيكان

٢ مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنيف، إبراهيم بن عبد الله

إستراتيجية الإدارة اليابانية - الرياض.

٣٥٥ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٨-٥١١-٢٠-٩٩٦٠

١- العنوان

١- الإدارة العامة - اليابان.

١٩/١٤٦١

ديوي ١، ٦٥٨

رقم الإيداع: ١٩/١٤٦١

ردمك: ٨-٥١١-٢٠-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

الناسر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى المدير العربي . .

أقدم هذا الكتاب والذي قصدت بين طياته التكرار
والإسهاب والإيضاح والتبسيط بُغية شحذ بصيرتهم للإتيان
بإستراتيجية إدارية عربية، والله من وراء القصد.

إبراهيم عبدالله المنيف

مقدمة

كما هو متعارف عليه أن لكل كتاب مقدمة تكون تلخيصاً وتعريفاً شاملاً لفصوله. والواجب الأساسي على الباحث أو الكاتب أن يجيب عن سؤال مهم: لماذا كتبت هذا الكتاب؟ ومن هذا المنطلق فإنه يأت من الضروري، قبل كل شيء، أن يكون للكتاب هدف مباشر، وأن يكون لكاتبه قضية يدافع عنها مع وجهة نظر يتبناها. وبعد كل شيء، أن يوصل بكل الوسائل الممكنة وباللغة الواضحة والمفهومة وبالسلسلة التي لا تفسد البلاغة جل المفاهيم والأسس والمبادئ التي يود إيصالها إلى وجدان وعقل وقلب القارئ المهتم والمختص. وفوق كل شيء، أن تتحقق منه الاستفادة القصوى بمحاولة الكاتب أن يترك للقارئ أو الباحث الفرصة لاستخدام بصيرته بما يؤدي إلى ازدياد معرفته ومهاراته في استخدام الأساليب الواردة بالكتاب.

وكتابي هذا عن ثلاثة أبعاد مجتمعة ومتداخلة كما وردت بعنوان الكتاب (إستراتيجية الإدارة اليابانية) يحاول في البداية توضيح معنى ودلالات وتطبيقات الإستراتيجية على الإدارة. أما البعد الثاني فهو محاولة بالتعريف في المفاهيم والمنطلقات الإستراتيجية الإدارية اليابانية ومنهجها ونهجها ومصادر هذا النهج التي انبثقت عن هذه الإستراتيجية المختلفة عن منهج ونظرية الإدارة الغربية. أي إنني أحاول من خلاله التعريف للإداريين العرب بكل ما يمكن من وضوح من أين جاء اليابانيون بوسائل إدارية مبتكرة ونابعة من الجغرافيا والتاريخ والديموغرافيا والقيم الاجتماعية والقراءة الذكية للتراث الياباني بما تحقق من خلاله استنباط وسائل إدارية مبتكرة محليا أدت لبروز ما تم تسميته (المعجزة اليابانية). إنها محاولة للإجابة عن عدد من الأسئلة والطروحات التي تجيب عن السؤال المهم: لماذا كتبت هذا الكتاب؟

- ١- كيف تحقق لليابان التنمية والتطوير مع ندرة الثروات الطبيعية؟
- ٢ - لماذا تحققت المعجزة اليابانية ولم تتحقق لدول أخرى توفرت بها موهبة الطبيعة؟
- ٣ - من أين جاء اليابانيون بأسلوبهم الإداري المحلي والمختلف عن المناهج والنظريات الإدارية الغربية؟
- ٤ - كيف استطاع اليابانيون التوليف والملاءمة والمواءمة ما بين التراث الشعبي التقليدي والحدثة بابتكار أساليب إدارية نابعة من البيئة المحلية؟
- ٥ - ما هي القوى الدافعة التي أسهمت بنجاح التجربة الإدارية اليابانية؟
- ٦ - هل استنباط الإستراتيجية النابعة من الثوابت البيئية هي المحدد الأساسي للتطوير؟
- ٧ - كيف حقق اليابانيون هذه المعجزة التي تتضارب أو لا تتوافق مع معظم النظريات الإدارية الغربية؟
- ٨ - كيف يمكن للباحثين العرب في الإدارة استنباط إستراتيجيات إدارية عربية نابعة من البيئة المحلية والثوابت البيئية العربية؟
- ٩ - هل يمكن بناء نماذج ومناهج إدارية عربية نابعة من إستراتيجية إدارية عربية من البيئة العربية؟
- ١٠ - هل ثوابت البيئة المحلية هي المحدد الكابح أو القوة الدافعة لنجاح الإدارة؟
- ١١ - هل يمكن نقل أو استنساخ بعض الأفكار أو المفاهيم أو الأسس أو المبادئ للإدارة اليابانية ما يمكن تجربته وإنجاحه في عالمنا العربي؟
- ١٢ - هل جاء الوقت المناسب للممارسين الإداريين العرب لإبداء أفكارهم

وبصيرتهم للأكاديميين العرب في الإدارة وصولاً لاستنباط نهج يمزج ما بين نظريات وممارسات الإدارة الغربية واليابانية وصولاً إلى نماذج ونظريات إدارية عربية؟

هذه الأسئلة العديدة المتداخلة والمتكررة أحياناً هي السبب الأساسي لكتابة هذا الكتاب. قد عمدت إلى التكرار لكثير من الأفكار في محاولة لإيصال مفهوم الإستراتيجية الإدارية من منظور تطبيقي على الإدارة اليابانية. وكان منطلقتي من هذا التكرار هو الرغبة في تلقيح الوعي المعرفي العربي، والإداري بشكل خاص، بكيفية استخدام مفهوم ودلالات الإستراتيجية التي اكتشفت أن استخدامها قد أخذ نهجاً بعيداً عن منهجها الأساسي. وما التكرار إلا تعبير عن رغبتني في إخصاب الذهن والمعرفة الواعية للإداريين والأكاديميين العرب في الاستدلال على استخدامات الإستراتيجية وصولاً إلى إستراتيجية إدارية عربية نابعة من الثوابت والقيم العربية، كما في التجربة اليابانية، مدار البحث، يصدر عنها من بصيرة نافذة بعض الأساليب الإدارية العربية الناجعة والمحقة للتنمية والتطوير المطلوبة.

وقبل الخوض في التعريف الشامل لما في هذا الكتاب، أود أن أوضح بشكل خاص مفهوم الإستراتيجية الذي - مع الأسف - أصبح يعني كل شيء أو لا يعني شيئاً البتة. فالإستراتيجية من أكثر المصطلحات المتداولة بين الخاصة والعامة، إلا أنه مع كل ذلك يجهل فحواها ومعناها وخباياها حتى المتخصص في حقل الإستراتيجية. ولهذا فإن الخلط وعدم الوضوح وكثير من سوء الفهم والتشويش حتى وصلنا إلى تعويض المصطلح ليعني التخطيط أو السياسات وحتى الأهداف. قبل كل شيء، الكلمة ليس لها مرادف باللغة العربية وتعودنا منذ البداية على نقل اللفظ الإنجليزي كما هو إلى العربية. وأصل الكلمة باللغة اليونانية يعطينا بعض الدلالات

على معناها، إذ يركز حرفياً على «الدهاء في المناورة العسكرية للتضليل أو الخدعة أو المباغطة أو المفاجأة للعدو لتحقيق الانتصار».

وظهر مصطلح الإستراتيجية في القرن التاسع عشر على يد ممارسين في العلوم والفنون العسكرية أمثال: فينتر وهارت ومولتكة وبوفر، ويمكن جمع تعريف شامل لها من كتاباتهم بأنها «فن توزيع واستخدام المعارك بالوسائل والقوى العسكرية لتحقيق أهداف الحرب التي حددتها السياسة». ولأنها - أي الإستراتيجية - كانت حكرًا على كبار القادة العسكريين واتصافها بالسرية والخصوصية والاكتفاء بوجودها بفكر القادة دون تدوين للوسيلة أو الأسلوب الفكري الذي يراه القائد العسكري في تصنيف الأحداث وأهميتها واختياره الوسيلة الفاعلة والملائمة. وقد أدت هذه الخصوصية والسرية إلى عدم الوضوح وسوء الفهم مما نتج عنه مرادفة الإستراتيجية بالحرب أو المعركة. إن الجهل الفلسفي والفكري أوصل كثيراً من القادة العسكريين لاستخدام الحرب علماً بأنها لا تعني الحرب ولا تعني استخدام القوة، بل التهديد باستخدام القوة، وصولاً إلى تحقيق الأهداف.

وانتقل المصطلح في القرن العشرين من ذهن القادة العسكريين إلى الدراسات الأكاديمية وبدء مرحلة جديدة من التنظير والتوثيق لهذه الوسيلة أو الأسلوب ونقلها لحقول المعرفة الأخرى، كالعلوم السياسية والعلوم الإدارية وما ظهر حديثاً بمسمى «الدراسات الإستراتيجية». وأسهم حقل الدراسات في إدارة الأعمال بشكل فاعل في تفجير وتجذير مصطلح الإستراتيجية الإدارية الذي نحن بصدد. وهدفنا هنا يركز على إيضاح المفهوم العام للإستراتيجية الإدارية دون الدخول في المناهات النظرية والمداخل المختلفة التي لا شك أنها تثري الممارس حتى يتمكن من استيعاب النظرية وتطبيقاتها المختلفة.

فالإستراتيجية الإدارية في إدارة الأعمال وبالذات في قطاع الأعمال تُعدُّ مهمة رئيسية للإدارة العليا التنفيذية والمتمثلة في المدير العام أو الرئيس التنفيذي؛ لذلك فهي تشابه مع العسكرية بأنها مهمة مرتبطة بالقائد الأعلى. ومن جانب آخر تشابه مع العسكرية بأنه اتضح لنا أن ضرورة إعداد الإستراتيجية مرتبط بوجود عدو تتوخى محاربته بأي طريقة تكون المعركة إحدى خياراتها، وكذلك فإن ضرورة إعداد الإستراتيجية الإدارية مرتبط بوجود منافس تتوخى مقارعته وصولاً إلى تحقيق بيعي لحصة من السوق تأخذها من هذا المنافس، أو تتوخى وقف المنافس عن أن يأخذ جزءاً من حصتك من السوق. كما في وجود العدو للإستراتيجية العسكرية، فإن وجود المنافس ضرورة للإستراتيجية الإدارية وبدون المنافسة لا ضرورة لإعداد الإستراتيجية. وهنا من الضرورة التركيز على الكلمات المفتاحية وهي (العدو) بالنسبة للعسكرة، و(المنافسة) بالنسبة للإدارة، إذ بدونها لا جدوى من التفكير الإستراتيجي.

إذن فالإستراتيجية الإدارية تُعدُّ أسلوباً أو وسيلة تنبع من تفكير خلاق وابتكاري وإبداعي وتبنى من جراء تصنيف الأحداث ومزج المتضادات بطريقة قيادية ونقلها إلى حيز التنفيذ عن طريق إعداد الأهداف والأغراض والخطط والسياسات والاجراءات، فهي مناوره ومباغتة ومفاجأة مقصودة ضد المنافسين في السوق وصولاً إلى هدف في زيادة الحصة السوقية، وهي كذلك أفكار وقرارات يتم اتخاذها بمعزل عن توفر كامل المعلومات وتتميز بالمخاطرة وعدم التأكد. ومن ذلك فهي أسلوب تفكير إبداعي ابتكاري يسعى لتحسين نوعية الإنتاج أو أسلوب خدمة المستهلك مقارنة بالشركات المنافسة بالتركيز على إظهار وتفعيل قدرة نقاط القوة في الشركة، ومحاولة معرفة نقاط الضعف في الشركة المنافسة بغية الحصول على حصة من السوق أكبر من حصة المنافسين.

الإستراتيجية الإدارية إذن بصيرة وإرادة قبل كل شيء، وتفكير خلاق وابتكاري وإبداعي فوق كل شيء. وبعد كل شيء تبقى على أنها مهمة قيادية موجهة ضمن إطار محدد للخيارات المبنية على قوة الدفع لدى القائد وشركته وإدارته ؛ لما لهذه القوة من قدرة على إيجاد الأرضية المشتركة لبناء الإستراتيجية، والتي ينبثق عنها الأغراض والأهداف والخطة والسياسات والبرامج والميزانيات.

ولزيادة الإيضاح بشكل شامل نود أن نبسّط من أين جاء اليابانيون بإستراتيجية منبثقة من بيئتهم المحلية وأوصلتهم إلى هذا المستوى العالمي في التنمية الشاملة. ويلخص المنهج والنهج الإداري الياباني أحد وزراء التنمية بقوله (إننا أتينا بأساليب متضادة بالكامل مع ما ذهبت إليه النظرية الاقتصادية أو مع ما ذهب إليه المنهج الأمريكي). ومن هذا المنطلق، سيكون جل تركيز الفصول الأربعة من هذا الكتاب على المصادر البيئية التي استنبطوا منها إستراتيجية إدارية من بصيرة نافذة وفاعلة باستخدام أساليب مثل: الجماعية، والإجماع والمشاركة، والجودة، والإنتاج المكثف، والوظيفة الدائمة، وأفكار عديدة أخرى حققت لهم التنمية والتطوير الذي نحن بصدده.

أما بداية الكتاب في فصله الأول بتحليل وبحث لعشر مساقات تركز على الثوابت والمتغيرات الأساسية في البيئة اليابانية، وتدور حول الجغرافيا والتاريخ والعزلة والسكان والثروة البشرية وعصر النهضة والعسكرة والاحتلال الأمريكي. وقد تعمدت التكرار في كل مساق من هذه المساقات العشرة، حتى انني قصدت أن يكون المساق لوحده شاملاً لكافة الأفكار والمفاهيم التي يمكن من خلالها على طلاب الدراسات العليا العرب في الإدارة والممارسين من القيادات الإدارية التنفيذية أن يتمكنوا من تحقيق المعرفة الواعية في كيفية استخدام الإستراتيجية وصولاً إلى وسائل وأساليب إدارية عربية فاعلة. ومن هذه الثوابت البيئية تم استنباط عدد من

الإستراتيجيات سوف نأتي لذكر أهمها بطريقة محققة للمعرفة الواعية . فكما هو معروف بانفراد اليابان عن كافة بلاد العالم بانعدام وجود الحيوانات الأليفة كالأبقار لتساعد الإنسان في الزراعة والتنقل ، إذ أعطت هذه الخاصية ميزة رئيسية لأهمية تنمية وتطوير الثروة البشرية . ومع حجم الأرض الصغيرة القابلة للزراعة نسبياً والاعتماد على الإنسان لزراعة الأرز، الغذاء الرئيسي ، والذي يعتمد إنتاجه على قدرة عدد كبير من البشر لصيانة نظام ريه وحصاده ، ومع أنه تاريخياً لآلاف السنين لم يكن باستطاعة العائلة الواحدة إنتاج كفايتها منه ، مما أدى لتكاثر العائلات المجاورة بالعمل الجماعي لإنتاج حاجتهم جميعاً مع حدوث فائض . هذه الثوابت البيئية من منظور إستراتيجي منحت لهم الجماعية في العمل والاتجاه نحو الإنتاج بالجملة أو الإنتاج المكثف (Mass Production) .

أما العزلة عن العالم فتتج عنها شعب متجانس من حيث العرق واللغة والدين والقيم الاجتماعية مما حقق الألفة والمودة والترابط ، إذ لا تعديات أو تنافر عشائري أو مذهبي أو إقليمي . هذا التجانس الذي هو نتاج البيئة أصبح مصدراً إستراتيجياً للعمل الجماعي والإنتاجية . ومن الملاحظ في الكتابات الإدارية اليابانية التركيز على الترابط والألفة والمودة دون صراعات وتنافس ودون أن نعرف مصدره في التجانس السكاني وتغلبهم على جغرافيا الأعاصير والزلازل والندرة . والاستفادة من قراءة التاريخ مليئة بالمتغيرات ، إلا أن أهم مصدر إستراتيجي يتمثل في نمو وتطور الإقطاع بإشراف طبقة المحاربين أو الساموراي . فالإقطاع ركز على الإنتاج المكثف من زراعة الأرز ورسخ الرأسمالية التي تم ضبطها وربطها من خلال النظام الصارم للساموراي مما كون انضباطاً وسلوكاً مستقراً حقق في النهاية احترام السلطة التي تُعدُّ مصدراً أساسياً لنهضة ومعجزة اليابان . هذا التجانس العرقي أعطاهم إستراتيجية في قطاع الأعمال والصناعة من خلال أسلوب احتكار

الزياتسو أو الشركات العملاقة القابضة والتي يسرت إمكانات بناء اليابان للعسكرة والانفتاح على الغرب وخاصة ألمانيا وفرنسا وهولندا مع احتلالهم لعدد كبير من دول شرق آسيا لتحقيق إستراتيجية الحصول على الثروات الطبيعية النادرة في بلادهم. ومع هزيمة اليابان لأول مرة في تاريخهم بالحرب العالمية الثانية واحتلالها من الولايات المتحدة والإتيان بإستراتيجيات فرضتها هزيمة الحرب والتي كان نتائجها بالمجاعة والفاقة في استنباط نظام الوظيفة الدائمة بعد حل احتكارات الزياتسو والاتجاه نحو الديمقراطية في المجلس النيابي وتعديلات جوهرية في الأنظمة والسياسات والإجراءات التي أدت إلى نمو وتطور الصناعة التصديرية بفعل التلاحق والتعاون الدؤوب ما بين الأجهزة الحكومية وقطاع الأعمال والصناعة. وأكثر الإستراتيجيات الفعالة في عصر النهضة الميجية باختيار أفضل الكفاءات المختارة للدراسة والتدريب في الغرب من شبيبة مختارة ومحافظة على التقاليد حاولت بعد عودتها في تنفيذ معرفتها الواعية والمهارات المكتسبة في نقل التقنية الغربية بطريقة متوافقة وملائمة للبيئة اليابانية.

ثم ينتقل الكتاب في الفصل الثاني لعشر مساقات في القيم الاجتماعية اليابانية التي أسهمت في استنباط إستراتيجيات إدارية مرتبطة بالولاء والانتماء والثقة المتبادلة النابعة من التجانس العرقي. أدت العزلة عن العالم جغرافياً وتاريخياً على مساحة جغرافية صغيرة وأرض زراعية ضئيلة تتصف بالقلة والندرة أمام عدد هائل من الثروة البشرية إلى الانتماء إلى الأرض أسهم ذلك في بناء الشعور بالمسؤولية الجماعية، إذ يؤمن الياباني بأن حريته بصفته فرداً لا تكتمل إلا إذا تنازل برغبته عن مصلحته الذاتية في سبيل المصلحة العامة تحقيقاً لمبدأ البقاء الذي يعدُّ كلمة مفتاحية بالثقافة اليابانية. وقد تحقق لهم هذا الولاء والانتماء بعد هزيمة الحرب العالمية الثانية باستنباط إستراتيجية الوظيفة الدائمة بما لها من مزايا تتحكم في نوازع

النفس البشرية وتحقق الاستقرار النفسي والعملي والتي زرعت فيهم خصال اجتماعية في الألفة بدلاً من الجفاء والمنافسة والصراع، لأن انعدام الصداقة بين العاملين يقلل الثقة ويزيد المنافسة غير الشريفة ويزرع الحقد والكراهية. إن هذه الإستراتيجية في الجماعية والإجماع والوظيفة الدائمة أدت إلى الكفاءة الإنتاجية بما تم الاتفاق على تسميته بالإنتاج المكثف (Mass Production) الذي كان ولا زال أساساً للمقدرة الصناعية التصديرية لليابان، والتي تحقق من خلالها المعجزة اليابانية. وكان لبناء القدرة الذاتية والتي فرضها الاحتلال الأمريكي بتقرير دودج ومكارثر فرصة جوهرية للإتيان بالإستراتيجية الإدارية في الاعتماد على الذات دون الحصول على قروض عالمية تؤدي إلى ميزانية العجز التي نلاحظها في معظم دول العالم.

وأكثر الفصول تعقيداً وتشابكاً في الفصل الثالث باللبنيات الأساسية للإستراتيجية الإدارية بعدة مساقات بحكم الترابط المؤسسي (Institutional Grid) ما بين قطاعات المجتمع العامل في البيروقراطية وقطاع الأعمال والجمعيات الاقتصادية والصناعة والخدمية والبنوك والتعليم. والإيضاح في عدد من المساقات لافراد اليابان عن باقي دول العالم في طبيعة ومنهج ونهج العلاقة ما بين القطاع الحكومي البيروقراطي وقطاع الأعمال بكافة مؤسساته من تمارج وتجانس وترابط وتلاحم وتلاقح وتوافق دون أي فوقية للبيروقراطية أو قطاع الأعمال يعكس أهم مصدر أدى إلى النهضة الاقتصادية واستقرارها وتوازنها حتى عصرنا الحاضر. ولا مندوحة من القول باختصار شديد أن بناء النظام التعليمي الذي كان مصدره الأساسي إزالة الأمية بشكلها الكلي القاطع ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٢٧. وقد أسهمت الإستراتيجية التعليمية والتدريبية بترابطها مع السياسات الإدارية في الوظيفة الدائمة في زرع المنافسة الشريفة لبنوية التميز في المعرفة والمهارات المرتبطة بالعمل الجاد والولاء والانتماء. وأسهمت الإستراتيجيات الإدارية في احترام السلطة لما تصدره البيروقراطية من

توجيهات إدارية متوازنة إجماعية تأخذ قبل صياغتها أسلوب اتخاذ القرارات الجماعية والإجماعية في المشورة مع كافة التنظيمات المؤسسية، مما أدى لبزوغ سياسات إدارية فاعلة ومن قيادات إدارية وطنية تمثل وتعكس التجانس العرقي للأمة اليابانية.

والفصل الرابع والأخير يهدف إلى إلقاء الضوء وبوضوح لتحقيق المعرفة الواعية بالنظريات الإدارية اليابانية مبتدئاً بما حققته اليابان في أسلوب الاستيعاب والنقل والمحاكاة للنظريات الإدارية الغربية خلال فترة الاحتلال الأمريكي في إستراتيجيات النقل للتقنية الشاملة من قبل الشركات المتعددة الجنسية وإنشائها شركات مختلطة أمريكية أو أوروبية يابانية (Joint Ventures) وقد حاولت إيجاد مصادر النظريات والأساليب الإدارية اليابانية في التسويق والخدمات البنكية، والأهم كذلك نظريات وحلقات الجودة، وتبين لي أن الإستراتيجية في الاعتماد على الذات، أو بناء القدرة الذاتية كانت العنصر المهيمن في الإتيان بهذه المناهج المنبثقة من التوفيق والملاءمة مع البيئة العامة المحلية. فقد قامت القيادة اليابانية ممثلةً بالبيروقراطية وتلاحقها مع قطاع الأعمال بصياغة اتفاقيات نقل التقنية ودفعت مقابلها مبالغ باهظة وانتهجت التنسيق والمتابعة الحثيثة على تحقيق النقل ضمن مدة زمنية محددة وبإلحاق عدد كبير من المتدربين اليابانيين مع كل خبير أمريكي أو أوروبي حتى يتمكنوا من اكتساب المعارف والمهارات من خلال العمل التنفيذي مما حقق لهم فعالية النقل والاستيعاب والابتكار لنظريات محلية. واتضح لي كذلك أن الأساليب التي ابتكروها تتفق مع ما ذهب إليه وزير التنمية الإدارية الذي أوضحت في هذه المقدمة مقولته بأن: (اليابان جاءت بأساليب متضادة بالكامل مع ما ذهبت إليه النظرية الاقتصادية والإدارية الغربية). وقد أنهيت الكتاب بفصلين أحدهما خلاصة والآخر للاستنتاجات اعتبرهما أهم ما ورد بهذه الفصول والمساقات.

فهدف الكتاب محاولة متواضعة لشحذ الهمم للإتيان بإستراتيجية إدارية عربية ينتج عنها أساليب ووسائل فاعلة لتحقيق التطوير الإداري لقطاعاتنا الإنتاجية العربية. ولا بد من الإشارة هنا مرة أخرى، إلى أنني قصدت التكرار في كل مساق من المساقات الثلاثين الواردة في هذا الكتاب لعدة أسباب، ليكون كل مساق متكاملًا وكجزء مستقل عن المساقات الأخرى، ولربط كل مساق مع بعض الأفكار والمفاهيم الواردة بالمساقات الأخرى. ويعود ذلك كله إلى رغبتني في التبسيط بأكبر قدر ممكن للإداريين العرب لتصل إليهم المعرفة بوضوح تام تمكنهم لاحقاً من نفاذ بصيرتهم وصولاً إلى إستراتيجية إدارية عربية ينبثق عنها أساليب ونماذج ومناهج إدارية عربية فاعلة محققة للتنمية والتطوير المتوازن إن شاء الله.

ولا يسعني في الختام إلا أن أقدم شكري للأخ ماهر عثمان على طباعته المسودات العديدة لهذا الكتاب، وللأخ أحمد نصار على مراجعته اللغوية وللأخ أحمد عبدالله العجاجي على مراجعته اللغوية وملاحظاته العديدة القيمة التي أدت إلى إعادة صياغته بشكل أكثر قبولاً. كما أشكر عائلتي في إعطاء الوقت الكافي لأعداده بالإضافة للوقت الذي كنت أحاول فيه الجمع ما بين عملي في مجموعة شركات الموارد القابضة، وإعداد هذا الكتاب قبل بداية العمل من الخامسة حتى التاسعة صباحاً أو في الوقت الضائع بالفنادق خلال رحلات العمل، والله الموفق.

الفصل الأول

الثوابت والمتغيرات الأساسية في البيئة اليابانية

- الجغرافيا
- العزلة والانعزال
- التاريخ
- تاريخ عصر النهضة
- السكان
- الثروة البشرية
- العسكرية اليابانية
- الاحتلال الأمريكي
- التوفيق والملائمة
- التغيير المخطط

الجغرافيا

تنفرد اليابان عن كافة بلاد العالم بانعدام وجود الحيوانات الأليفة كالأغنام والأبقار والجمال في أراضيها والتي ساعدت الإنسان على مُرّ التاريخ في الزراعة والتنقل. وهذه الميزة الجغرافية الفريدة لليابان في انعدام الحياة الرعوية أو حياة البداوة أسهمت في التركيز على استخدام مهارات ومعرفة الإنسان في الزراعة لأرضهم الزراعية الخصبة والمحدودة المساحة، مما أسهم بشكل واضح في تكثيف الإنتاج بزراعة الأرز بطريقة جماعية، حيث إنه من المعروف أن العائلة الواحدة لا يمكنها إنتاج كفايتها من الأرز لوحدها إلا إذا تكاثفت الجهود الجماعية بعدد من العائلات لإنتاج ما يكفيهم جميعاً مع وجود فائض عن حاجتهم. هذا الانفراد وهذه الميزة كونت لديهم حضارة الإنتاج المكثف (Mass Production) منذ آلاف السنين والتي أصبحت بقيام النهضة الصناعية واختراع الآلة البخارية لاحقاً وظهور الإدارة العلمية في القرن التاسع عشر أهم عنصر محقق للتنمية. إن ظاهرة الإنتاج المكثف تعود جغرافياً لهذه الميزة الانفرادية لليابان بانعدام الحياة الرعوية مما أسهم لاحقاً في العصر الحديث في تجذير الإنتاج المكثف الذي يُعدّ حالياً أول قاعدة إستراتيجية للمعجزة اليابانية الحديثة.

أثر الأرض من حيث الموقع والطقس والحجم الصغير بكل المقاييس والثروات الطبيعية المدومة واضح جداً على حياة اليابانيين كحقيقة ملموسة من حيث القدرة الحدية للتنمية والتوجه العام. والاعتقاد السائد بصغر حجمها يرتبط بمقارنتها بجيرانها من حيث عدد السكان إذ إن سكان الصين والهند يصل كل منهما إلى ألف مليون وأمريكا وروسيا كلاهما إلى ما يقارب (٢٥٠) مليوناً لكل منهما وكذلك أندونيسيا والبرازيل لكل منهما ما يقارب (٢٥٠) مليوناً، بينما تصل

اليابان إلى ٢٠٪ فقط من حجم أندونيسيا وعدد سكانها يزيد عن ١٢٥ مليون ياباني، وبهذا العدد من السكان فهي أكثر من ضعف أي دولة أوروبية من الدول الأربعة الكبرى. ومع كل ذلك، تُعدُّ الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث معظم المقاييس الاقتصادية. إلى جانب ذلك، يجب أن لا ننسى أن أكبر مشكلة تواجهه اليابان في أن ١٢٪ فقط من أرضهم يمكن استغلالها زراعياً هذا إذا أخذنا كذلك في الاعتبار أن فترة الزراعة تصل إلى ٢٦٠ يوماً بحدها الأعلى لأسباب مرتبطة بانعدام الزراعة بشكل كلي في فصل الصيف بأسباب الرطوبة. وبالإضافة إلى كل ذلك، فصل الشتاء البارد الذي يرافقه الأعاصير التايفونية التي تؤدي إلى الخسائر في الأرواح والموجودات بشكل مؤثر. وهذا التحليل التشاؤمي في كثرة الزلازل والهزات الأرضية وأكبرها الهزة الأرضية التي اجتاحت العاصمة طوكيو عام ١٩٢٣ وأتت على كامل المدينة بسكانها وما يتردد دائماً أن اليابان تجتاحها هزات أرضية متفاوتة والاعتقاد السائد بقدم هزة أرضية اجتياحية كل ستين عاماً وتقدير اليابانيين فيما إذا اجتاحت بلادهم في الوقت المعاصر مثل هذه الهزة (الزلازل) وأثرها الاجتياحي على البلاد بوجود المباني الشاهقة في الوقت الحاضر الذي يختلف عما حدث عام ١٩٢٣ عندما انهدمت معظم مباني مدينة طوكيو يعزز تركيزهم على البقاء الذي يتردد على ألسنة قياداتهم في المحافل والندوات.

ولأننا نريد هنا فقط أن نركز بشكل واضح على العلاقة ما بين الجغرافيا وخصائص الإدارة اليابانية، فإننا نستخلص أن جغرافيا اليابان تفتقر إلى الثروات الطبيعية وحجم أرضهم الممكن استخدامها صغير جداً بشكل واضح مقارنة بأي بلد آخر بالعالم، مع إضافة الخاصية اليابانية المتمثلة بالهزات والانفجارات البركانية. من هذه الخصائص الجغرافية تنبعث لنا خصائص الإنسان الياباني في

تسلط هاجس القلة والندرة والبقاء . وإن كان لهذه الأبعاد الثلاثة في القلة والندرة والبقاء ارتباط في كثير من خصائص الإدارة اليابانية الأخرى ، فإنني سأركز على دور الجغرافيا فقط في التميز الياباني في موضوعي الكفاءة والصبر .

الأرض الصالحة للاستخدام صغيرة مقارنة بعدد السكان ؛ ولذلك فليس أمام اليابانيين أية وسيلة إلا أن يقوموا على استغلال الأرض بكفاءة وإنتاجية وقدرة عالية كما ونوعاً آخذين بعين الاعتبار حضارتهم المتمثلة بالقلة وندرة الموارد الطبيعية ، والرغبة في البقاء بحكم الجغرافيا الطبيعية من زلازل وهزات وأعاصير . الكفاءة أو القدرة الإنتاجية تعني استخدام الموارد المعروفة من (مال ، ومعدات ، وأرض ، وإنسان ، أوتقنية) بطريقة تؤدي إلى الإتيان بشيء جديد أكبر من مجموع العناصر . والكفاءة التشغيلية تعني الاستفادة من عناصر الإنتاج بأكبر كمية ممكنة . والكفاءة تعني إنسياب العمل بمرونة وتيسير وسلاسة لا تعيق ولا تؤثر على السلسلة المتعاقبة والمترابطة للأشياء والناس والأفكار . الكفاءة تعني الرتبة والتنظيم والتتابع والانضباط . لا يوجد وسيلة أمام الشعب الياباني أمام الجغرافيا إلا أن يكون ذا كفاءة من جميع أبعادها ؛ لأن حجم الأرض الصالحة للاستعمال الزراعي والسكني ولبناء الطرقات فوق الأرض وتحتها ذو حجم لا يسمح إلا بأن يكون كل شيء مرتباً ومنضبطاً . إن أي تأخير ولو لدقائق في القطارات فوق وتحت الأرض داخل طوكيو مثلاً أو ما بين مدينة وأخرى قد يؤدي إلى خسائر لا يمكن لليابان تحملها مطلقاً . إن حدوث اختناق في أحد الطرق بسبب حادث مروري وتجمع المارة قد يؤدي إلى خسائر على كافة الطرقات للمدينة أو للبلد ككل . و التغيير اليومي في الإبداع والابتكار الياباني وفي استخدام التقنية والكمبيوتر في كافة جوانب الحياة كله ينصب على الكفاءة ناهيك عن الحتمية للكفاءة بكافة مقاييسها

وليس أمامهم أية وسيلة إلا الكفاءة وهي من أهم خصائص الإدارة اليابانية، إذ إن مستوى الإنتاج قد ازداد بنسبة ٤٠٠٪ مقارنة بالولايات المتحدة خلال السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، لأن خصائص الإدارة اليابانية تنادي ببساطة بالمشاركة في الإدارة التي هي الأساس والقاعدة للارتقاء بمستوى الإنتاج.

اليابان مليء بالهزات الأرضية والانفجارات البركانية. إن الطاقة الكامنة تحت سطح الأرض تنمو حتى وقت تفجرها، وبطريقة مشابهة هناك شيء يتفجر داخل الياباني. فالياباني قابل للتعبئة وغير قابل للتنفيس كغيره من شعوب العالم لهذا السبب الجغرافي. فهم هادئون ومؤدبون جداً إلا أن انفجارهم يصبح بركاناً كذلك ولهذا يمكن القول: إن الياباني يتلع غضبه وكتمه في أعماقه مثله مثل الطاقة البركانية الكامنة تحت سطح الأرض والتي تنفجر فجأة. فالبقاء الذي عرضته سابقاً كجزء من القلة والندرة كعناصر جغرافية أحدث لدى اليابانيين القدرة الفائقة على الصبر، مثله مثل البركان الذي يغلي في الداخل، أي تحت الأرض، إلى أن يقدر الله له أن ينفجر. الياباني لديه قدرة على الصبر إذ يعمل بجهد وبكد ويتحمل المشاق ويغلي في داخله؛ لأن البقاء هو شغله الشاغل، إلا أن انفجاره يختلف عن غيره من شعوب العالم والقصص التي تصلنا عند ظهور غيظهم بالانفجار قد نسميها تطرفاً وعنفاً غير معهود، إلا أن ما يمكن أن نحدد به خصائص الإدارة اليابانية هو الصبر الطويل وما يشتق من سلوكهم في توجيههم نحو الأداء أو النتائج الطويلة الأمد ولا يهتمون بالنتائج القصيرة الأمد.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 66-78, 193-195.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 3-16.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩١. ص ٧٣ - ١٤.

العزلة والانعزال

هنالك دلالة على بعد آخر من الأبعاد الجغرافية ألا وهو العزلة، والذي يرتبط بخصائص الإدارة اليابانية ويقيم نوعاً من التداخل بينهما. ولا بد من طرح كبدية بأن اليابان تُعدّ الدولة الوحيدة المنعزلة عن العالم ومن خلال تاريخها على مدى آلاف السنين وليس لها أي ارتباط حتى نهاية القرن السابع عشر إلا مع جارتها كوريا والصين. وقد استفاد حكام اليابان على مر آلاف السنين من هذه الميزة الجغرافية باتخاذ سياسة العزلة وفصلهم لشعبهم عن العالم الخارجي، مما أوجد فرصة لتكوين صورة لأمة وشعب متمائل ومتوحد من حيث العرق واللغة والدين والثقافة والتاريخ، وأدى إلى تكوين تماثل في السياسات الاجتماعية والاقتصادية الفريدة وغير التابعة لأي بلد في العالم. هذه العزلة منذ آلاف السنين جعلت من الشعب الياباني المتجانس وحدة واحدة لا يشوبها تضارب أو تباعد أو تنافر أو تعديات عشائرية أو مذهبية أو إقليمية، مما أدى إلى سيطرة الشعب الياباني المتجانس على مقاليد الأمور السياسية والإدارية والعسكرية والتجارية دون اتكالية أو اعتمادية من الهجرة لجنسيات أخرى أو استعمارها من دول أخرى. وقد فسر حديثاً الكاتب الياباني تايشي ساكاي (Taichi Sakaiya) في كتابه الحديث بعنوان ما هي اليابان؟ What is Japan لغز المعجزة اليابانية وأسباب نهضتها الحالية بالتجانس السكاني وندرة الموارد المعدنية ومصادر الطاقة إلى جانب التغلب على الجغرافيا القاسية المتمثلة بالجو القارس والأعاصير مما أدى إلى خلق إحساس بضرورة التخلص من هذه البيئة القاسية والتغلب عليها.

هذه العزلة الجغرافية الطبيعية أوجدت على مر السنين لدى اليابانيين القدرة على العيش والاعتماد على الذات وتطويرها مقارنة بأي مجموعة كبيرة متميزة في

العالم، أي أن التطوير الذاتي أخذ أبعاده الذاتية الفريدة دون أي تبعية أو تقليد يذكر، ولهذا تجدنا نردد دائماً بأن اليابانيين يعتبرون شعباً متميزاً ومنفصلاً وفريداً عن الشعوب الأخرى المجاورة لمجتمعهم. لقد أوجدت العزلة لدى اليابانيين باختصار الهوية الذاتية من جهة، كما أوجدت ما قد يعتبره اليابانيون سلبياً ألا وهو الشعور بالخجل عند لقائهم مع جنسيات أخرى لانعدام التماثل معهم. ولربما أن هذه العزلة جعلت لديهم الهوس والولع الشديد بكل ما هو ياباني واحتقار لكل ما هو أجنبي من جهة. وعلى النقيض جعلت لديهم حب كل ما هو أجنبي بعد الحرب العالمية الثانية وانفتاحهم على العالم.

العزلة إذن أوجدت لدى اليابانيين القدرة الفائقة على التفريق والمقارنة بين القادم من الخارج وكيفية التعامل معه أو استيعابه وبين ما هو ذاتي محلي. وفيما إذا أخذنا بعين الاعتبار بأن الحضارات، أو أي حضارة في العالم ليست فقط معتمدة بشكل كلي على الاختراعات المحلية فإننا نؤكد أن الحضارات تعتمد كذلك على العلاقات والتأثيرات الخارجية. إن عزلتهم أجبرتهم على اختراع حضارتهم وأوجدت لديهم خصائص حضارية اجتماعية فريدة مما كان له أكبر الأثر لاحقاً في تقليد الغرب مع انشدادهم وارتباطهم بحضارتهم أو هويتهم المتميزة.

العزلة عن العالم الخارجي كونت لديهم رابطة مشتركة في الحياة مثل الألفة والمودة بما تنطوي عليه من اهتمام وعناية وتقارب بين الناس وهذا دعم التعاون والثقة بينهم. إن العزلة زرعت فيهم مشاعر الانضباط وعدم الأنانية التي يمكن المرء العيش من خلال إقامة علاقات اجتماعية وثيقة وصداقات حميمة. لقد سبق لعالم الإدارة والاجتماع الأمريكي هومانز أن ذكر بأن الألفة والمودة تُعدُّ من المكونات الأساسية للمجتمع السليم. إن المجتمع أو الشركة التي تفتقد إلى الود والألفة

ستؤدي إلى عدم الإنتاجية وضعف الروابط. لذلك كله فإن الفعالية والكفاءة والإنتاجية اليابانية مصدرها تكوين الألفة والمودة والثقة والتي نتجت عن هذه العزلة التي لا زالت شعاراً وقيمة اجتماعية يتعامل بها اليابانيون مع الخارج.

العزلة كذلك كونت خاصية إدارية قامت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واحتلال اليابان بإلغائها وحلها، إلا أن العلاقات بقيت بعد ذلك حتى الآن بشكل آخر، ألا وهي نظام الزيباتسو أو مجموعة الشركات الاحتكارية العائلية والمرتبطة ببنك محدد ولها موردون يدورون في فلكها. وتتميز بين هذه الشركة الكبرى وصغار الشركات التي تدور في فلكها علاقة تعاون تام ودائم ووثيق، بحيث تقوم الشركة الصغيرة بتوريد وتزويد الشركة الكبرى بكل ما تحتاج إليه من قطع كافية لتشغيل دون أن يكون لدى الشركة الكبرى مخزون باهظ التكاليف. هذه الشركة الكبرى مثل متسوي أو ميتسويشي مثلاً تعتمد عليها الشركات الصغرى بشكل وثيق تبدو معه كشبكة محكمة العلاقة بينهما وبين المصرف الذي يمولها.

العزلة إذن استمرت آلاف السنين وابتدأ الانفتاح مع بداية عصر النهضة المسمى بـ (عصر الإمبراطور مييجي عام ١٨٦٨). وبعد العزلة الطويلة أدى الانفتاح في عصر النهضة إلى ظهور العقدة الفوقية اليابانية نتيجة انتصاراتهم على الصين عام ١٨٩٥ وروسيا عام ١٩٠٥ مما أوصلهم إلى التحالف مع ألمانيا وإيطاليا في الحرب العالمية الثانية وانهزامهم. إن مرارة الهزيمة عام ١٩٤٥ تركت أثراً لا يمكن أن ينمحي من ذهن اليابانيين؛ لأن آثار الهزيمة من مجاعة وفاقة أدت كذلك إلى خصائص إدارية في الإنتاجية والإبداع، وأعطت زخماً في انبهارهم في استيعاب التقنية الغربية بعد العزلة التي زرعت فيهم الكبرياء والفخر بحضارتهم وقضت على عقدة الفوقية في هزيمة الحرب العالمية الثانية.

وقد سبق عصر النهضة عام ١٨٦٨ تأثيرات غربية مبكرة محدودة وبتدفق محدود في الفترة ما بين ١٥٠٠ و ١٨٥٣ تمثل في وصول البرتغاليين وبعدهم الهولنديين عام ١٥٤٩ بأول بعثة تبشير مسيحية وتوريد القراصنة للبضائع الغربية والأسلحة الجديدة. إلا أن حكومة توكوجاوا آنذاك حظرت الاتصال مع الأجانب خوفاً من انتشار المسيحية وتحالف الاقطاعيين مع الأوروبيين. إلا أن تهديد الأمريكيين بفتح اليابان عندما رست سفن القائد البحري بيرى عام ١٨٥٣ وتفوق مدفعيته البحرية، والتي كان عاملاً حاسماً في اقناع رجال الإقطاع والعسكر بأنه لا خيار أمامهم إلا فتح بلادهم وقبول التحدي للمنافسة الأجنبية. وعلى أثر توقيع المعاهدة عام ١٨٥٤ بين الإمبراطور وميري والتي فتحت اليابان للغرب، صاحب اليابانيين إحساس شديد باستيعابهم للتقنية الغربية حتى لا تفقد اليابان استقلالها الوطني في مواجهة حركة الاستعمار الأوروبية. فقد أدى عجز حكومة توكاجاوا في الحفاظ على قدسية التراب الياباني أمام الاستعمار الأمريكي الأول وصد الغرباء إلى ظهور عصر النهضة للإمبراطور مييجي وإقامة حكومة مركزية والولاء للإمبراطور كقيمة متأصلة بعمق في الثقافة اليابانية، وأمكن من خلال ذلك القضاء على الإقطاع والإقليمية وبناء العسكرة تحت شعار (دولة غنية وجيش قوي) في تجنيد الفلاحين وإحلالهم مكان الساموراي وبدء التعليم الإجمالي والإصلاحات الحكومية في ما يسمى بتاريخ عصر النهضة اليابانية بحركة الإصلاح الميجية. وقد حدثت عملية مشابهة في الإمبراطورية العثمانية وبعد حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ والتي سببت صدمة قوية للمجتمع المصري وأدت إلى إصلاحات عسكرية كبيرة بقيادة محمد علي باشا وأبنائه والذي تحدى وقتها السلطة العثمانية بإستانبول وأصبح يسيطر على أجزاء كبيرة من البلاد العربية كرد فعل للاحتلال الفرنسي. إن

التحول الكلي من العزلة إلى الانفتاح في اليابان مرده العنصرية اليابانية في المواجهة والوقوف أمام محاولات الاستعمار الأوروبي وحماية الاستقلال الوطني. إن المنافسة للبقاء تعبير ومفهوم وكلمة مفتاحية في الثقافة اليابانية خلال العزلة لآلاف السنين، تعززت بالانفتاح لمنافسة الغرب في حماية التراب الوطني من الاستعمار وما لبثت أن اتجهت لاحقاً عن طريق الحرب والعسكرة لاستعمار الدول المجاورة للقضاء على نقطة الضعف وندرة الأرض الزراعية كجغرافيا وندرة الموارد الطبيعية كذلك.

ولا يمكن لنا القول بأن الابتعاد عن العزلة كان سبباً رئيساً في المعجزة اليابانية، لأن الانفتاح على العالم أوصلهم إلى مرحلة الإفلاس نتيجة العسكرة والتركيز على صناعة وشراء الأسلحة. فبعد عام ١٨٦٨ المعروف بعصر الإمبراطور مييجي أو عصر النهضة اتخذت النخبة الإصلاحات في التخلص من النظام الإقطاعي والمعارضة اللادعة لمحاربي الساموراي. وكان مصدرها جميعاً النداء الوطني الياباني (Fukoken Kyohei) دولة غنية وجيش قوي. ومع انتصاراتهم العديدة في شرق آسيا، وتحالفهم مع بريطانيا عام ١٩٠٢ وحصولهم على البوارج الحربية البريطانية والقروض من بريطانيا وأمريكا لتمويل العسكرة الحديثة التي أوصلتهم إلى مرحلة الإفلاس عام ١٩٠٥ عندما ابتدأت مفاوضاتهم السلمية مع روسيا.

وبعد هزيمة الحرب العالمية الثانية والقضاء على صناعة الأسلحة وتحويلها للصناعات التصديرية للسيارات والمنتجات الكهربائية والالكترونية وصلت إلى نتائج قياسية في الدخل القومي. فما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٨٤ ارتفع نصيب اليابان من إنتاج السيارات في العالم من ١٪ إلى ٢٣٪، وبناءً عليه ارتفع حجم الصادرات اليابانية من هذه السيارات إلى جميع أنحاء العالم بالملايين. فقد كان

النتاج الإجمالي عام ١٩٥٢ يساوي ثلث الناتج الإجمالي لفرنسا أو بريطانيا وفي عام ١٩٧٢ وصل إلى أكثر من بريطانيا وفرنسا معاً وأكثر من نصف الناتج الإجمالي لأمريكا. ولم يكن ذلك ممكناً دون أن تحصل اليابان على الغطاء العسكري الأمريكي واتجاهها نحو الصناعة السلمية وانعدام أي مصروفات في ميزانية الدولة على الشأن العسكري والحربي. فمصروفات اليابان بلغت عام ١٩٨٣ (١١٦) بليون دولار مقارنة بأمريكا التي وصلت للعام نفسه إلى ٢٣٩ بليون دولار. أي إن صرف الفرد الياباني على التسليح بلغ ٩٨ دولاراً فقط مقارنة بـ ١٠٢٣ دولاراً للفرد الأمريكي.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations.

Kondasha America, Inc. 1995. pp. 41-43

Reishcauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan.

Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 88-94, 114-134.

A. J. She;rmman, German-Jewish Bankers in World Politics: The Financing of the Russian Japanese War, 1903 - pp. 59-73.

Paul Kenedy, The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, Unwin Hyman 1988 - pp. 416-418.

التاريخ

لا بد من الإشارة في البداية إلى أن أصل اليابانيين يعود إلى العنصر المغولي كما هو مثبت من أن المغول يشبهونهم من حيث الشكل، إلا أن لديهم شعور وإدراك وإحساس قوي نظراً لارتباطهم التاريخي والحضاري واللغوي مع الصين في عصر الظلام. وكما أن التطور التاريخي لنظام المركزية الإقطاعية وتاريخهم الانعزالي ومن ثمّ ظهور حركة الإصلاح الميجية والمرتبطة بالإمبراطور مييجي وبداية عصر الانفتاح على ثقافات وحضارة العالم، والانتقال لتاريخ العسكرية اليابانية وانتهاء العسكرية بهزيمة الحرب العالمية الثانية والمرحلة الاستعمارية الأمريكية والمرحلة الحالية لما بعد الاستعمار الأمريكي تشكل مجملها الخلفية التاريخية لليابان. وما يهمنا هنا ارتباط هذه الحقبات التاريخية بتشكيل خصائص الإدارة اليابانية، إذ يرتبط تاريخ اليابان بمراحله العديدة بالنقل والاستعارة والاقتباس من الأنظمة المحيطة والغريبة بشكل خاص.

ففي المرحلة التاريخية الأولى اقتبسوا اللغة والقيم والأعراف والمفاهيم الصينية برمتها، وركزت في النظام الملكي في وجود الإمبراطور على قمة الهرم السياسي والديني والاجتماعي. كما تم نقل كل ما يتعلق بالأنظمة والقوانين المتعلقة بالحكومة المركزية من الصين. إلا أن هذه الاستعارة والاقتباس كما هو ملحوظ بشكل دائم حسب التجربة اليابانية تميزت في تحويل هذا الاقتباس ليتفق مع واقعهم المعيشي. وكان حظ اليابان في عصر الظلام قبل أكثر من ألفي عام أنهم اقتبسوا الحضارة الصينية؛ لأنها كانت آنذاك تُعدُّ أكثر دولة متقدمة في العالم. ودون الدخول في تفاصيل تاريخية، فقد استطاع اليابانيون تحويل اللغة الصينية المكتوبة إلى حروف يابانية في القرن التاسع الميلادي مما يثبت لنا بعد ألف عام في عصرنا

الحاضر هذه القدرة في استيعاب أي استعارة أو اقتباس ودمجها لتتفق مع حضارتهم التي بنوها عبر التاريخ.

وفي المرحلة التاريخية الثانية، تم بناء الإقطاع على اقتباسهم النظام الصيني، إلا أنه تحول هذا الاقتباس نتيجة العزلة إلى تشابهه مع الإقطاع الأوروبي بدلاً من الصيني بتركيزه على مجموعة محددة من الإرستقراطيين الذين يعتمدون في تحقيق مصدر قوتهم على رجال مخلصين محاربين يحملون السيوف باسم الساموراي، الذين استمروا حتى القرن السادس عشر مما أهلهم لمرحلة العسكرية في وقت لاحق. وهذا النظام الإقطاعي تمثل في أن يعيش الإرستقراطي/الإقطاعي ستة أشهر في العاصمة طوكيو وستة أشهر في إقطاعيته تاركاً عائلته رهينة في طوكيو تحت رحمة الحاكم المركزي مما جذر فيهم احترام السلطة على قمة الهرم. وحقق رجال الساموراي بنظامهم العسكري الصارم والضبط والربط الذي أحدثوه إلى تكوين سلوك مستقر مبني على احترام السلطة وتقسيم المجتمع إلى طبقة عليا من الإرستقراطية ومخلصيهم الساموراي ويليهم الفلاحون وفي قاعدة الهرم التجار.

وكان للغزو المغولي المعروف عامي ١٢٧٤ و١٢٨١ وعدم تمكن المغول من احتلال اليابان لأسباب تتعلق بالعاصفة الشديدة المسماة كاميكازي (Kamikaze) التي حالت دون احتلال المغول لبلادهم، أثر كبير في نمو الحس الوطني الياباني، مع العلم أن المغول احتلوا جميع الدول الشرق آسيوية بما فيها دول الشرق الأوسط. هذا الحدث جذر فيهم ولاءهم لأرضهم ومكن الساموراي بشعورهم بفوقيتهم العسكرية. أدت هذه الحقبة التاريخية إلى نمو وتطور الإقطاع وتحذير نظام الطبقات والفوقية لعسكرة الساموراي. واعتمد التجار اليابانيون على الساموراي في استخدامهم للقرصنة المعروفة ولبدء التطور التجاري الياباني آخذين بالاعتبار أن

هذه الحقبة التاريخية كانت تركز على الزراعة وأخذ الضرائب من المزارعين دون الالتفات أو الاهتمام بطبقة التجار الذين تركزت دونيتهم في إرهابهم بالضرائب .

وجاءت المرحلة الثالثة في تغيير النظام الإقطاعي والانفتاح على العالم بظهور حركة الإصلاح والنهضة التي بدأها الإمبراطور مييجي في القرن الثامن عشر بعد أن استعاد سلطاته من العسكر الساموراي والتي تُعدُّ بحق المرحلة الأساسية لصياغة التاريخ الياباني الحديث وبعد انعزال عن العالم دام قروناً طويلة . ولم يكن أمام اليابان إلا هذا الانفتاح بعد العزلة نتيجة التقدم التقني في الغرب بظهور السفن البخارية البرتغالية التي زارت اليابان قبل الحركة النهضة الميجية . وركزت حركة الإصلاح الميجية على الإستراتيجية في بناء يابان غني مع عسكرة قوية مع الانفتاح على التقنية الغربية . واندثرت عام ١٨٧٣ قوة الساموراي بمنعهم من لباس السيوف وابتدء البناء التنظيمي العسكري بالاقتباس من الغرب مع النزعة إلى الصناعات الثقيلة في بناء السفن والصناعات العسكرية . ولا شك أن حركة الإصلاح الميجية تاريخياً أعطت قصب السبق لليابان في انفتاحها على التحديث والصناعة ونقل التقنية الغربية مقارنة بغيرها من دول شرق آسيا .

وجاءت بعدها مرحلة العسكرة اليابانية واحتلال الدول المحيطة حتى إن الكثيرين من التاريخيين يربطون بتمائل غريب ما تم بعد الحرب العالمية الأولى من جانب النازيين في أوروبا واليابانيين في شرق آسيا . فانتصارها على الصين وروسيا واحتلال فورموزا وكوريا ولاحقاً جنوب فيتنام وتوجيه الصناعات للآلة الحربية أوصلها إلى مرحلة استيراد الأرز، هذا إلى جانب مرحلة الكساد العالمي التي تأثرت بها اليابان كغيرها مما أدى إلى الهجرة إلى أمريكا وموت الملايين بعرض البحر خلال تلك الهجرة، وفي النهاية احتلال اليابان بعد معركة بيرل هاربر عام

١٩٤٥ وقنابل هيروشيما. ما يميز هذه المرحلة أن القدرة الصناعية اليابانية تشبه القدرة الألمانية التي ابتدأت تتجه وتتحول جذرياً نحو التصنيع السلمي.

وجاءت مرحلة التحديث المعاصر من خلال الحقبة التاريخية المتمثلة بالاحتلال الأمريكي والإصلاحات الإدارية والاقتصادية التي نفذها مكارثر خلال ثماني أعوام انتهت بمنح الاستقلال عام ١٩٥٢ لليابان. وكان مكارثر يردد بحماس دائم بأن اليابان للشرق ستكون مثل سويسرا للغرب، كما أسهم بعنفوانه وقدرته القيادية الفذة بفرض الدستور الذي تم إعداده من قبل مجموعة خبراء أمريكيين بمكتبه بناءً على النظام البرلماني البريطاني وليس الأمريكي.

٢ وخلاصة القول بأن الأثر للتاريخ الياباني في خصائص الإدارة اليابانية يتركز في ثلاثة أبعاد (أولهما) أن الاقتباس والنقل والاستعارة من الأنظمة الأخرى المحيطة أو الغربية تُعدُّ جزءاً من التراث الياباني من حيث اقتباس اللغة الصينية والديانة الوضعية البوذية والتي ما لبثت أن تغيرت إلى لغة يابانية ودين وضعي بوذي كونفوشي مختلف عن الديانة الهندية. و(البعد الثاني) يتمثل في بناء الإنسان الياباني تاريخياً على الضبط والربط والانضباط الذاتي والنهج العسكري النابع من تراث الساموراي في التنظيم والتخطيط والرقابة الصارمة على السلوك. ولا شك أن (البعد الثالث) هو نهضة الصناعات والانفتاح على العالم الخارجي وبناء الصناعات الحربية والتي تحولت بعد الهزيمة الساحقة والاحتلال الأمريكي إلى صناعات متقدمة نتيجة الاقتباس والاستعارة والنقل عن التقنية الغربية وأقلمتها بما يتفق مع التراث الياباني.

المراجع:

- Reishcauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan.
Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 88-94, 114-134.
- د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة
الأبحاث العربية، ١٩٨٤. ص ٣٩-٤٥، ٥٥-٦٠.
- تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د.
أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية
١٩٨٥، ص ٢٧-٢٩، ٥٣-٥٩.

تاريخ عصر النهضة

يبدأ العصر الحديث في اليابان بما اتفق على تسميته بعصر النهضة أو باليابانية بعصر الميجي (Meiji) عام ١٨٦٨ عندما استعاد الإمبراطور الياباني ميجي السلطة الفعلية على البلاد. وإن كانت اليابان تعيش بسلام وعزلة قبل ذلك بمائتين وخمسين سنة، إلا أنه بحق يعد عصر صياغة التاريخ الياباني. إن التحول التدريجي تاريخياً لليابان ابتداء بعصر الميجي عام ١٨٦٨ بما كانت تتمتع به البلاد من سلام وعزلة وفقر مثلها مثل التحول الجذري لبريطانيا سنة ١٠٦٦ وأمريكا بالاستقلال عن بريطانيا عام ١٧٧٦ وكذلك فرنسا سنة ١٧٨٩، حيث تشكل هذه السنوات تطورات مهمة في تاريخ تلك الدول. والاختلاف الوحيد بين اليابان وهذه الدول أن التغير الذي حدث في اليابان لم يشهد تغيرات سياسية واجتماعية بعيدة المدى إلا بعودة السلطات كاملة للملك اليابان، ومولد التنمية الاقتصادية، وازدهار اليابان في فترة السلم والانعزال.

وقد سبق تاريخ عصر النهضة تطورات تنموية في إرساء دعائم النظام الإقطاعي في تقسيم اليابان إلى ٣٠٠ مقاطعة على كل واحدة منها حاكم يحصل على ربع غلة الأرض الزراعية. ونشأ في ذلك الوقت نظام اجتماعي طبقي يتكون من الساموراي أو المحاربين يليه طبقة الفلاحين فالحرفيين ثم التجار. كما سبق عصر الميجي الانفتاح بعد العزلة عندما زار القائد البحري الأمريكي بيرري عام ١٨٥٤ وأدى إقناعه السلطات اليابانية بالتخلي عن سياسة العزلة والسعي نحو التحديث.

ومع انتهاء العزلة بعصر الميجي عام ١٨٦٨، اتضح من الإحصائيات أن نسبة

المتعلمين ارتفعت إلى ٤٣٪ للذكور و ١٠٪ للإناث، وفي عام ١٨٧٥ أتم ٥٤٪ من الذكور و ١٩٪ من الإناث التعليم الابتدائي مقارنة بإنجلترا عام ١٨٣٧ التي وصلت آنذاك إلى ٢٠٪ فقط. وساعد هذا المناخ في انتشار التعليم وتهيئة العقول لاستقبال كل جديد على التبادل الفكري باستيعاب حضارة الغرب حتى إن الإمبراطور ميحي أرسل ما لا يقل عن مائتي ياباني إلى فرنسا للدراسة في بعثات دراسية في الوقت نفسه الذي أرسل فيه محمد علي باشا من مصر مجموعة كبيرة من الشباب العربي المصري للدراسة في فرنسا، وأثمرت هذه البعثات في التطوير والتنمية اليابانية في القرن العشرين.

وخلال هذه الحقبة التاريخية في تغيير وتحديث النظام الإقطاعي وانفتاح اليابان على الأسواق الخارجية والتطوير للنظام الاقتصادي الذي يفك قيود الانعزال، ظهرت تغيرات على الطبقات الاجتماعية وأصبحت طبقة المحاربين الساموراي طبقة جديدة من البيروقراطيين والإداريين التي اتجهت إلى بناء وتنمية وتطوير المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية العملاقة، مع بقاء نظام العائلة الذي يؤكد أهمية العمل الجماعي، لأن زراعة الأرز التي كانت سائدة تؤكد وتجذر العمل الجماعي، لأنه وبدون العمل الجماعي العائلي لا يمكن لليابانيين التزود بطعامهم الأساسي نتيجة الاعتماد على الذات وسياسة الانعزال. وساعد على ظهور التنمية الشاملة في البداية صناعة البنوك عام ١٨٧٦ كأول صناعة في اليابان سبقت صناعة النقل البحري والسكة الحديد. ولا بد من الإشارة التاريخية إلى أن الانطلاقة والبذرة المثمرة لكل الصناعات في اليابان مصدرها الرئيسي صناعة البنوك التي كانت ولا زالت المصدر الرئيسي للتطور الاقتصادي الياباني حتى الآن في تحويل المدخرات القومية إلى تنمية الصناعة. ولا بد من الإشارة هنا تاريخياً إلى أن الشركات

الاحتكارية العائلية المسماة زيباتسو انطلقت من التمويل البنكي من هذه المدخرات القومية باستخراج الفحم ومنها ميتسوي وميتسوبيشي وسوميتومو المعروفين عالمياً في العصر الحديث.

ومن السلم والانفتاح بعد الانعزال اتجهت اليابان إلى الحرب في انتصارها على الصين عام ١٨٩٤ وروسيا في عام ١٩٠٥. ومع بداية الحرب العالمية الأولى ازداد الإنتاج الصناعي خمسة أضعاف وازداد نفوذ أحفاد الساموراي في الحرب العالمية الأولى إلا أن اليابان جابهت الكثير من العقبات خلال عشرين عاماً من الكساد الاقتصادي والهجرة الواسعة إلى أمريكا وموت الملايين في عرض البحار خلال رحلة الهجرة إلى أمريكا المعروفة حتى إنها وصلت إلى مرحلة استيراد الأرز من مستعمراتها في فورموزا وكوريا. حتى إنه مع ازدياد نفوذ السلطات العسكرية ما بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية توجهت الشركات الاحتكارية العملاقة (زيباتسو) نحو الصناعات الحربية والتسليح، وأصبحت اليابان دولة حربية واستعمارها لدول مجاورة كثيرة بدلاً من كونها دولة منعزلة عن العالم.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية وإسراع قوات الاحتلال الأمريكية في تحويل الصناعات الحربية إلى صناعات مدنية حتى إن الكثيرين يرون أن شركة سوني المعروفة مصدرها الرئيسي لصناعاتها الحالية يعود للصناعات الحربية آنذاك في صناعة المناظير الحربية. ويلاحظ أنه منذ عصر الميجي بأن اليابانيين استطاعوا تحويل ما جابههم من كوارث وويلات الحروب إلى فرص للانطلاق، وخاصة بعد هزيمتهم عام ١٩٤٥ في الحرب العالمية الثانية واستعمارهم من قبل أمريكا حتى حصولهم على الاستقلال عام ١٩٥٢. ويقال: إن أمريكا ودول الحلفاء كسبت الحرب العالمية الثانية، بينما كسبت اليابان السلام وعادت إلى السلام والانفتاح

والاستقرار بعد الحرب. وهنا يلتقي التاريخ الياباني بالتاريخ الألماني بتفوقهم الحديث عالمياً لاستفادتهم من التنظيم العسكري خلال تاريخ الحرب.

الأمم المتحدة لا تدفن تاريخها بل تبقيه حياً نابضاً في ذاكرتها لكي لا تكرر المآسي. فاليابان لم ينس تاريخه السلمي وما تحقق له من نمو واستقرار في عصر الإمبراطور مييجي أو عصر النهضة ولا يحذف الياباني تذكيره بهزيمة الحرب العالمية الثانية واستعمارهم من قبل أمريكا، فهو له ذاكرة لا تعرف الصفح والنسيان ولا تقبل العزاء. الشعب الياباني استفاد من تاريخه في السلم والانعزال الذي تحول إلى الحرب والانفتاح وعاد مرة أخرى إلى السلم والانعزال الجزئي بعودته إلى جذوره. إن تاريخ عصر النهضة الميجية استخدم الانفتاح على العالم الغربي في النقل والاقتباس والاستيعاب للتقنية الغربية من أجل التوسع الاستعماري الياباني نحو الدول المحيطة فاليابان الحالية كإقتصاد رأسمالي متحرر بدون رأسمالين وسياسة ديمقراطية للحزب الواحد وبقوى استبدادية وطنية متأثرة بهزيمة الحرب العالمية الثانية آمنت أن عليها استعارة كل شيء من التقنية والإدارة والتكتيك الغربي والأنظمة السياسية الغربية البروسية والألمانية الهتلرية والأمريكية بعد استعمارها من قبل أمريكا لهدف أساسي في تحقيق البقاء والمنافسة اقتصادياً. ولم يكن الاقتباس وحده هو الأساس، بل في التوفيق والملاءمة ما بين الملامح التقليدية والثقافة اليابانية في أخلاقيات العمل بصفته مصدراً للنجاح المذهل الذي نحن في صده.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٤٦-٥٢، ١٣٣-١٣٧.

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٢-٦، ٢٩-٣٥.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan.

Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 118-141.

Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity.

Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 78-86.

السكان

هذه المقدمة ليس لها علاقة مباشرة بموضوع عدد السكان كأحد خصائص الإدارة اليابانية إلا أن استعراض هذه النتائج قبيل الخوض بأثر عدد السكان على الإدارة وبالمؤشرات الاقتصادية العالية للدول التي لا تتوافر بها ثروات طبيعية يعتبر مصدراً بحثياً جديداً يدحض افتراضات مأخوذة دون جدل في علم الاقتصاد، وهي أن الدول التي تتوفر بها أو ذات الثروات الطبيعية تُعدُّ بالمقارنة قابلة للنمو والتطور أكثر من التي لا تتوفر بها هذه الثروات.

ففي دراسة اقتصادية مقارنة حديثة استمرت عشر سنوات بجامعة هارفارد ومعهد المتخصص في التجارة والاقتصاد الدولي، وبعد أخذ كافة العناصر والمسببات والآثار بعين الاعتبار لدى الأكاديميين، توصلوا إلى نتيجة حاسمة مؤداها أن الدول ذات المصادر والثروات الطبيعية مثل البترول والذهب والفضة تنمو اقتصادياً وعلى مدى أربعين عاماً مضت بنسبة أقل من الدول التي لا تتوفر فيها ثروات طبيعية، أي إن اليابان مثلاً تنمو أكثر اقتصادياً بكافة المؤشرات الاقتصادية المعروفة بالمقارنة بأي دولة نفطية على مدى السنين. نستنتج من ذلك أن للعنصر البشري وإمكاناته وقدراته ومعرفته ونسبة زيادته المستقرة أثراً فاعلاً في النمو والتطوير كما حدث في اليابان وأثر زيادة السكان في الإنتاج والكفاءة والعمل الجاد.

ليس من منطلق الأمور أن نربط معجزة اليابان بقدرات إنسانية خارقة، بل بعدد غير محدود من العناصر البيئية. فالجغرافيا والتاريخ ومصادر الثروات الطبيعية وخصائص الثروة البشرية المرتبطة بالأرض والبيئة ثبت لنا دورهم في خصائص

الإدارة اليابانية إذ كانوا عوامل أساسية ومشجعة لما تمكنوا كقيادة إدارية من الابتكار والإبداع في التخطيط والتنظيم والتنفيذ. فجغرافيا الهزات والزلازل وحجم الأرض القابلة للزراعة وشعب استورد ثقافة الصين كدولة عظمى آنذاك وقبل ألفي عام وبطريقة متمهلة وبانتقاء واختيار أدى إلى أن ما تم استيراده من ثقافة قد امتزج بروح يابانية. وتاريخ متخلف وإقطاع وتركيب طبقة اجتماعية مختارة أعطت الأولوية إلى طبقة ارسقراطية تتبعها طبقة الساموراي وتليها العساكر، ومن ثم الصناع وبعدهم المزارعين والحرفيين وفي قاعدة الهرم الاجتماعي التجار، ويأتي أقل منها طبقة العبيد من أسرى الحرب والمجرمين والأطفال المخطوفين. وإذا أضفت انعدام الثروات الطبيعية وأثرها المحفز في سلوك واتجاهات كل ياباني يريد أن يحقق لنفسه العيش في مساحة أرض صغيرة ومجموعة بشرية متجانسة للعزلة التي فرضوها على أنفسهم وحتى وصول الجنرال الأمريكي بيرى عام ١٨٥٣ وبدء انبهارهم بالغرب وانتقالهم السريع إلى الصناعة والتصدير.

لم يعط عامل عدد السكان أهميته في دراسة وتحليل خصائص الإدارة اليابانية كعامل موقد وملهب للإبداع والابتكار من أجل تحقيق أول وأهم حاجة إنسانية في البقاء. فسلم الحاجات الإنسانية لمنظر الإدارة الأمريكي إبراهيم ماسلو يركز على أن أول مرحلة يسعى الإنسان لتحقيقها هي مرحلة الحاجة إلى البقاء وتليها الحاجة إلى الأكل والشرب والسكن والملبس والجنس وتليها حاجات أخرى تليها بأقل أهمية في سلم الحاجات الإنسانية. اليابان جغرافيا وتاريخ وجيولوجيا وخصائص بشرية تتلخص في الأهمية الكبرى للبقاء بسبب المجاعات والزلازل والفاقة المرتبطة بعدد السكان الهائل مقارنة بغيرهم من الدول وبحجم أرض صغير جداً لا يتسع إلى هذا الكم الهائل من السكان. والتطور التاريخي لليابان يثبت لنا أن المراحل التاريخية

في القرنين السادس والسابع عشر في ظل الإقطاع والإسراف الإمبراطوري، وتركيز السلطة بيد الحكام العسكريين وأتباعهم الساموراي ذوي الثروة المتراكمة، واستغلال الطبقات الأخرى مع رغبة هؤلاء التعساء في تحقيق البقاء، مما يؤدي إلى ارتفاع الثقافة والقدرة الفائقة على التفكير والابتكار والإبداع والابتعاد عن الاسترخاء. إن الحاجة إلى البقاء أمام جغرافيا قاسية وأرض صغيرة ومنتجات غذائية من الأرض غير كافية ومصادر ثروات طبيعية قليلة إن لم تكن معدومة وتاريخ سياسي مليء بالإقطاع والمركزية وتركيز الثروات بأيدي مجموعة من الطغاة العسكريين، فإن مثل هذا الشعب يتوقد بالدوافع والخوافز لتحقيق بقاءه واختراعه لكل الابتكارات والإبداعات الممكنة في عصرنا الحديث بعد أن ابتعد عن العزلة وبنى إمبراطورية عسكرية نازية فاشية ما لبثت أن خسرت الحرب العالمية الثانية وسلمت الأرض والحكم والإدارة إلى قوات الاحتلال الأمريكي، وظهرت نتائج القدرة الاقتصادية اليابانية مع ازدياد الدفع بعد الحرب والاتجاه نحو السلم.

تذكر إحدى الدراسات التاريخية أن عدد سكان العاصمة كيوتو بلغ نصف مليون عام ١١٩٠ وهو ما لم تبلغه أية مدينة أوروبية في ذلك الوقت. وتشير إحدى الدراسات إلى تضاعف عدد السكان عام ١٧٠٠ إلى (٣٠) مليوناً. وإذا أخذنا الإحصائيات الحديثة بعدد السكان الذي وصل إلى ١٢٥ مليوناً مقارنة بسكان أندونيسيا الذي وصل إلى ٢٠٠ مليون آخذين بعين الاعتبار أن حجم الأرض اليابانية تساوي فقط ٢٠٪ من أرض أندونيسيا. فاليابان اليوم تعتبر الدولة السابعة في العالم من حيث عدد السكان، ولنا أن نضع في تصورنا حجم الأرض أمام هذا الكم الهائل من عدد السكان بالإضافة إلى أن ١٢٪ من الأرض تصلح للزراعة فقط، والذي قاسى تاريخياً من الهزات والزلازل والحروب والمجاعات ما يدعونا إلى

القول بأن هذا الشعب لم يكن لديه أية وسيلة إلا أن يبدع ويتكر وتتكون لديه قوة دافعة لتحقيق البقاء الذي نحن بصددده على أنه وسيلة وخاصة للإدارة اليابانية . إن الانعزال أدى إلى ازدياد عدد السكان وتجانسهم وبقائهم على بقعة واحدة ، والانفتاح عام ١٨٥٣ في الاستعمار الأمريكي الأول لليابان من الجنرال بيرى وانبثاق عصر النهضة الحديث للإمبراطور مييجي وانفتاح اليابان على العالم وما تبعه من آفات إنسانية مرتبطة بكثرة السكان من هجرة وعسكرة وحروب توسعية لتحقيق البقاء وتوفير الغذاء لهذا العدد الهائل من السكان . فقد تضاعف عدد السكان وضافت الجزر التي تكتنفها الجبال والتي تقل فيها الأراضي الصالحة للزراعة وسكان يصل عددهم إلى نصف عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية وعلى أرض تصل إلى ٥٪ من أرض أمريكا .

إذن لا يوجد أية وسيلة للإدارة اليابانية إلا أن تبتكر وتبدع في الاستحواذ على أية وسيلة ناجحة وممكنة تساعدهم على البقاء . ولهذا انبهر المبتعثون الأوائل في القرن التاسع عشر وبالتحديد عام ١٨٧٦ عند وصولهم إلى أوروبا بالآلاف ؛ لاكتساب المعرفة التي كانت قد ابتدأت في الغرب بما يسمى بـ (النهضة الصناعية) وظهور الآلة البخارية وحركة الإدارة العلمية ودراسات الحركة والوقت . كل هذا الزخم أدى اهتمام الإدارة اليابانية بالتركيز على الإنتاجية والكفاءة ودراسة الحركة وتنظيم الوقت لهذا الكم الهائل من السكان ، الذي انتقل بنسبة ٨٠٪ من الزراعة والقرى إلى المدن . لا يمكن لهذا الكم الهائل أن يعيش إلا بالكفاءة والضبط والربط . إن أي تأخير ولمدة دقائق في أحد القطارات سيؤدي اليوم بطوكيو إلى أزمة وأمور خانقة لا يمكن تحملها . فكل إبداعات وابتكارات الإدارة اليابانية المنقولة والمستعارة والمستجدة نابعة من حاجة ماسة مصدرها عدد السكان الهائل الذي ورثته اليابان عبر السنين ، والذي

أدخلها مرحلة العسكرة وأدخلها الحرب العالمية الثانية على أنها دولة متأهبة لاستعمار ما حولها لفتح آفاق لشعبها في الهجرة والحصول على الثروات الطبيعية وإيجاد مصادر لبضائعها.

وبما أن كثرة النسل لم تستمر ولم تجد تشجيعاً في اليابان أيام الساموراي الذين أخذوا عهداً على أنفسهم آنذاك وفي غمرة سلطتهم ألا يتزوج محاربهم قبل الثلاثين ولا ينجب أكثر من طفلين، إلا أن التقاليد والعادات التي لم تسمح بأن يرث البنات آباءهن، كانت تدعو إلى ازدياد النسل وصولاً إلى أبناء ذكور يحملون اسم والدهم ويرثون أملاكه. وبعد الحرب العالمية الثانية والترشيد الصناعي والبناء المتطور للصناعة الثقيلة وصناعة المعلومات، اتجه اليابانيون إلى حجم العائلة الصغير، بحيث ثبت أن نمو عدد السكان لا يصل في الغالب إلى أكثر من ١٪ سنوياً. فقبل قيام الحرب العالمية الثانية وبالتحديد عام ١٩٣٨ كان عدد سكان أمريكا ضعف عدد سكان اليابان وسبعة عشر ضعفاً للدخل القومي، وتنتج أمريكا خمسة أضعاف الحديد وسبعة أضعاف من الفحم وثمانين ضعفاً من السيارات. وبما أن الاقتصاد الياباني بمؤشراته التنموية ذات الطابع العالمي يتضاعف كل سبع سنوات، ومع ازدياد عدد السكان المنخفض عالمياً إذ تُعدُّ اليابان ومنذ عام ١٩٧٠ أقل دولة نمو نسبي في عدد السكان، فلنا أن نقدر الفائض التنموي الذي تحقق ويتحقق لليابان. فمثلاً النمو الاقتصادي في الهند ومصر أعلى من اليابان إلا أن ما يأكل هذا النمو ازدياد عدد السكان الكبير، أي إذا ازداد عدد السكان بنسبة ١٠٪ ونمى الاقتصاد بالنسبة نفسها مثلاً فإن النتيجة الحتمية هي صفر وتجاوب الهند نمواً اقتصادياً سلبياً؛ لأن نسبة نمو السكان أكثر من نسبة النمو الاقتصادي.

فقد كان معدل السكان حتى عمر الخمس عشرة سنة ٣٧٪ عام ١٩٤٠

وانخفض عام ١٩٩٥ إلى ١٨٪، كما تراجعت الولادات الصافية للمرأة الواحدة إلى (١٫٥)، أي أقل من ٢٫١ وهو المعدل الضروري لإعادة إنتاج السكان في المرحلة المعاصرة. وخلال عقد من الزمن لم يعوض ارتفاع معدل الحياة للفرد النقص في الولادات. ومع هذا التباطؤ في وتيرة نمو السكان، فإنه من المتوقع أن يصل عدد السكان إلى ١٣٦ مليوناً فقط عام ٢٠١٠، وتوقع بعض التنبؤات بأن يتراجع عدد سكان اليابان إلى (١٠٠) مليون عام ٢٠٦٩، وهذا الرقم تعود إليه اليابان بعد أن سجلته عام ١٩٦٧ أي مائة عام.

وتجابه اليابان مع حلول عام ٢٠٠٠ تقلصاً في عدد السكان القادرين على العمل نتيجة انخفاض عدد المواليد وازدياد تعداد الأجيال المتقدمة بالسن. وهذا التسارع النسبي للمتقدمين في السن في إعداد الطبقة العاملة ممن ولدوا بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنها أجيال متعلمة ومثقفة مما ينعكس على النشاط الاقتصادي مما سيؤدي إلى تغيير النظام التقاعدي الذي حدده النظام بعمر (٥٥) سنة ورفعته إلى (٦٥) سنة خلال العامين القادمين كما تذكر بعض الدراسات.

إن الابتكارات والإبداعات الإدارية اليابانية وانتقال النظريات والأساليب والنماذج الغربية إليها لم يكن وليد عبقرية فذة، بل وليد حاجة ماسة مرتبطة بعدد السكان الهائل قبل الحرب العالمية الأولى وما تلاها من كساد اقتصادي. وجاءت الموجه الثانية للتحويل الجذري لاقتصاد اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد عام ١٩٤٥، والتي أصبحت مثلاً يحتذى به في التحديث المتوازن والمستقر. فكما دخلت مرحلة التقليد والاستعارة من الغرب قبل ذلك بقرن من الزمن بصفتها أول دولة آسيوية في الصناعة والعسكرة والاستعمار، ما لبثت أن تهدمت هذه القوة في الفترة ما بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٥ وانقطعت مصادرها بشكل كامل إلا أنها تمكنت

من إعادة تجهيز وتحويل البنية التحتية للصناعة بفضل القوى البشرية المؤهلة والمتعلمة والمتجانسة بفضل الابتعاد عن العسكرة والصرف السخي السابق على صناعة الأسلحة والتسليح بصفتها دولة غير مجيشة وغير مسلحة، وتقع تحت مظلة الحماية الأمريكية. لم يكن أمامهم إلا الحاجة والدافع للكفاءة الإنتاجية والضبط والربط وترتيب حركتهم وسيرهم ومواعيدهم وبدونها لن يتحقق لهم البقاء. ومع إن النظريات الإدارية انتقلت إليهم من الغرب إلا أنهم أبدعوا بما يعكس حجم بلادهم الجغرافي والقلّة والندرة والكم الهائل من السكان على بقعة صغيرة فيما أسموه الأسس الخمسة للإدارة المبتدئة بحرف (S) باللغة اليابانية كما يلي:

SEIRI (١) - التخلص من الأشياء غير الضرورية وحسن التنظيم.

SEITON (٢) - وضع الأشياء حسب ترتيب ونظام أتيق وفعال.

SEISO (٣) - الاهتمام بالنظافة وحسن التدبير.

SEISO (٤) - الحرص على وضع الأشياء في أوعيتها الصحيحة.

SHITSUKE (٥) - الجدية في أداء العمل والانضباطية.

ولو ركزنا الذهن في هذه الأسس لوجدنا الحجم الصغير للأرض مقارنة بعدد السكان الكبير متجذرة في كل هذه الأسس الخمسة التي لا تجدها في الأسس الإدارية الغربية وغيرها. لقد تشكلت حضارة وثقافة اليابان بفعل عنصر أساسي ألا وهو التجانس السكاني أولاً وانعدام الحروب الداخلية ورافق ذلك بالطبع كما هو متعارف عالمياً بتأثر ثقافة وحضارة أي بلد في العالم في أربعة عناصر رئيسية متمثلة بالبيئة العامة للثروات الطبيعية والجغرافيا والديموغرافيا السكانية والتنظيم الاجتماعي. وقد لعب التنظيم الاجتماعي بفعل زراعة الأرز الجماعية وانعدام

الحياة الرعوية بوجود الحيوانات لمساعدة الإنسان في الزراعة إلى الاعتمادية الكبيرة على الإنسان وإعطائه قيمة عالية لمهاراته وجهده في الإنتاج المكثف أو الإنتاج بالجملة (Mass Production) الذي أصبح ميزة وإستراتيجية اعتمدتها اليابان في العصر الحديث ، والذي حقق لهم التنمية والتطوير . كما رافق ذلك ما تكون لدى السكان من تجانس في تكوين ونشوء نسيج حياتي عضوي تفاعل مع هذا المجتمع المتجانس والموحد عرقياً بفعل التكوين والتواصل ، إذ لم تصله أية قطيعة بفعل التعديات العشائرية والمذهبية والإقليمية المحلية المتباعدة والمتنافرة .

المراجع:

Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 18-24, 70-71, 112-115.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 94-98, 280-283.

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 30-32, 199-210.

Paul Kenedy, The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, Unwin Hyman 1988 - pp. 418.

الثروة البشرية

يقول ديورانت في موسوعة قصة الحضارة: بأن بداية علم الاقتصاد كانت بمقال نشره كانتلتون عام ١٧٣٤ بعنوان (طبيعة التجارة) وصل به إلى تعريف مصادر القيمة للثروة (إن الأرض هي المصدر التي تؤخذ منه الثروة ولكن الجهد البشري هو الذي ينتج الثروة التي تحقق صيانة الحياة ووسائل الراحة وأسبابها). ويرى ديورانت أن هذا التعريف بحد ذاته هو الذي أدى إلى النقلة النوعية في النظر إلى الثروة البشرية على أنها معيار ومصدر القيمة التي تنتج الذهب والفضة والبترول وخيرات الأرض. إن إنتاج الثروة في تحليل مصادرها واكتشاف معيار القيمة المضافة من الإنسان أدى إلى النهضة الصناعية الأولى للفترة من عام ١٧٦٠ حتى ١٨٦٠ والانتقال إلى النهضة الصناعية الثانية المسماة بالأداء التلقائي الأوتوماتيكي (Automation) للفترة من ١٨٦٠ حتى ١٩٥٥ والانتقال للنهضة الصناعية الثالثة الحالية من ١٩٥٥ وحتى الآن في توفير الجهد العقلي البشري في استخدامات الحاسب الآلي والإلكترونيات والشرائح واستخدامات الذرة.

اليابان جغرافياً بلد مليء بالهزات الأرضية والانفجارات البركانية، إذ إن الطاقة الكامنة تحت سطح الأرض تنمو حتى وقت تفجرها وبطريقة مشابهة وكأن هناك شيء يتفجر داخل الإنسان الياباني. فيقال إن الياباني هادئ ومؤدب إلا أن انفجاره يصبح بركانياً كجغرافيا بلاده، إذ يبتلع غضبه ويكتمه في أعماقه مثله مثل الطاقة البركانية الكامنة تحت سطح الأرض. كما أن هاجس القلة والندرة لثروات الأرض البركانية وحجمها الصغير المقارن بجيرانها مع هاجس البقاء بحكم ندرة الموارد الطبيعية وجغرافيا الزلازل والهزات أدت إلى نمو الإرادة لدى اليابانيين في الصبر والعمل الجاد تحقيقاً للبقاء وتركيزهم على المصلحة العامة بدلاً من المصلحة

الخاصة. ولا شك أن النظام الإقطاعي والمرتبط بالإرستقراطية والمحاربين الساموراي أدى إلى تكوين قوة اقتصادية تعود إلى القرن الخامس عشر كانت ولا زالت مصدراً ونبراساً للرأسمالية اليابانية الحالية. فقد كانت إستراتيجية الحاكم العسكري المعروف باسم توكوجاوا، يقضي بأن يعيش الإقطاعي مع عائلته في العاصمة طوكيو لمدة ستة أشهر ومن ثمَّ يعود للعيش لمدة ستة أشهر في إقطاعيته تاركاً عائلته رهينة في طوكيو قد جذر فيهم تاريخياً كثروة بشرية احترام وتقدير السلطة وعزز لديهم في تاريخهم الحديث ما كانوا يلقونه من سوء المعاملة من تسلط الحكومة على رجال الأعمال في تاريخهم في القرون السابقة.

وإذا أسلمنا بأن البشر كلهم من أصل واحد والإنسان في المجتمعات المتقدمة لا يولدون وهم أكثر ذكاء من الذين يولدون في المجتمعات المتخلفة، بل إن الفارق الوحيد يرتبط في آثار الجغرافيا والتاريخ والتراث والقيم والعادات التي ترسم النمط والسلوك والاتجاهات، فإن الإنسان الياباني تفاعل مع هذه العناصر ووجه طاقته الذهنية لتنمية واتساع المعرفة بالعمل الجاد والابتكار في تكوين قاعدة أساسها الأول هو ميلاد القدرة الذاتية المحققة للإرادة. إن توجه المجتمع الياباني ممثلاً بالإنسان صنع الوضع الذي وصلوا إليه؛ لأن هذه القنوات الاتجاهية الكثيرة المبنية على بناء القدرة الذاتية بجدارة الفرد وبناء معيار ومصدر قيمته بقدر ما يمتلك من علم ومعرفة وابتكار. وبما أن عصر النهضة الصناعية الأولى في العالم ابتداء عام ١٧٦٠ حتى ١٨٦٠، فقد استفادت اليابان في بناء الإنسان الياباني مع بداية عصر الميجي عام ١٨٦٨ عندما استعاد الإمبراطور سلطاته وبدأ في النقلة النوعية لليابان مع بداية عصر النهضة الصناعية الثانية المسماة بالأداء التلقائي التي ابتدأت في العالم عام ١٨٦٠. وهذه ميزة استفاد منها الإنسان الياباني في انتقاله للمرحلة الثانية مع بداية ما اتفق على تسميته بعصر الميجي أو عصر صياغة التاريخ الياباني الحديث.

ومع أن الإنسان الياباني استفاد من عصر الميجي في انفتاحه على العالم وانتقاله إلى أوروبا لتلقي العلم والمعرفة، حتى إنه يقال: إن الإمبراطور ميجي أرسل ما يزيد عن مائة ياباني لتلقي العلم في فرنسا في الوقت نفسه الذي أرسل فيه محمد علي باشا من مصر عدد مشابه من المصريين لتلقي العلم في فرنسا. إلا أن الاتجاه نحو الحرب والاحتلال لعدد من الدول المجاورة لليابان واستعمارها من اليابان أدى إلى استخدام المعرفة والعلم للأعمال الحربية من فئة الساموراي المعروفة بالمحاربين أو العسكريين أدت إلى تطورات مرتبطة في الحرب العالمية الأولى والكساد الاقتصادي وهجرة اليابانيين الجماعية إلى أمريكا وما رافق ذلك من ذل وهوان لليابانيين الذي لم ينسوه حتى الآن عندما منعته أمريكا من دخولها بقواربهم و وفاة الأعداد الهائلة منهم وما تبع ذلك من هزيمة لليابان خلال الحرب العالمية الثانية وما وصل إليه الإنسان الياباني من جوع وفاقة وحرمان.

خلال مرحلة الاحتلال من عام ١٩٤٥، أي بعد الحرب الثانية وحتى اتفاقية الاستقلال الجزئي عام ١٩٥٢، اتجه المجتمع الياباني نحو بناء قدرته الذاتية في بناء صناعة سلمية متطورة وفي تحقيق إرادته وصولاً إلى القوة عن طريق الصناعة والتجارة في شراء التقنية ومن ثم امتلاكها ذاتياً. وقد أثبت التاريخ ما بين الحربين العالميتين أن اليابان لم تكن ذات خواء تقني، إذ كانت التقنية موجهة نحو الآلة الحربية وما كان عليهم إلا تحويلها إلى صناعات سلمية وبثبت لنا ذلك من مذكرات مؤسس شركة سوني إذ إنه وجه صناعة المناظير الحربية إلى ما تنتجه شركة سوني المعروفة حالياً. وما يهمنا هنا في الكيفية التي استطاعت فيها اليابان توجيه الإنسان الياباني نحو بناء قدراته الذاتية في شراء التقنية واستيعابها وامتلاكها وبناء التقنية الذاتية. فقد كان الدخل القومي عام ١٩٥٠ (٣٢) بليون دولار مقارنة بالدخل القومي لأمريكا لنفس العام البالغ ٣٨١ بليون دولار. وكان متوسط دخل

الفرد الياباني لنفس العام ٣٨٢ دولار مقارنة بدخل الفرد الأمريكي البالغ ٢٥٣٦ دولار.

ابتدأت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية في فتح البلاد على مصراعيها للشركات الأمريكية لإنشاء المصانع ومنحتها ميزات غير معهودة في مكافآت مالية لعقود نقل التقنية لا يمكن لأي مجتمع أن يقبل دفعها إلا إذا كان لهذا المجتمع توجهات كالمجتمع الياباني أتينا إلى ذكرها سابقاً . واتجهت الإدارة اليابانية إلى تخصيص ما لا يقل عن ثلاثة يابانيين للعمل مع كل خبير أمريكي يعملون معه ويمشون إلى جانبه ويحملون حقيته ويقرؤون فكره ومذكراته وحتى وصلت بهم إلى حد البحث في مسوداته التي يكتبها ويرميها في سلة القمامة في مكتبه . إلى هذا الحد من التوجهات استطاع اليابانيون الاستفادة من العلم والمعرفة ونقلها إلى مراحل متقدمة وصولاً إلى بناء القدرة الذاتية في الصناعة المتطورة وقبل كل ذلك في تحقيق توجهاتهم في السلوك وصولاً إلى القدرة على تحقيق الإرادة.

وقبل وفوق وبعد كل ذلك ، لابد من الإشارة إلى قضية جوهرية وعاطفية مطروحة حالياً للمناقشة الموضوعية والحوار الجاد في مجلس الشيوخ والبرلمان الياباني وصولاً إلى أرضية مشتركة بين مجموعتين أحدهما تدعو إلى استمرارية إدمان العمل وتسمية (عشق العمل) ، والأخرى مرتبطة بدراسات أجرتها وزارة الصحة تنادي بالتخفيف من إدمان العمل لأنه أدى إلى ظاهرة اجتماعية خطيرة بتأثيرها على الحياة العادية للثروة البشرية . فقد أجريت دراسة اجتماعية عن ظاهرة إدمان العمل ووصلت إلى آثارها السلبية على الانتماء للوطن والتوجه العام للانتماء إلى المصنع والآلة والمكتب . وعلى أثره قامت وزارة الصحة بإنشاء (٤٦٠) عيادة ومصحة للتخفيف من الإدمان على العمل ؛ لأنهم يرون أن المكانة الدولية الاقتصادية لليابان سببها الثروة البشرية ولا يمكن التضحية بها بسبب هذا الإدمان الذي سيقود بالنهاية إلى التضحية بالوطن . وعلى العكس من هذا التوجه ، هنالك

فئة كبيرة ترى أن (عشق العمل) وليس إدمانه هو الذي أوصلهم إلى المكانة الاقتصادية في الأسرة الدولية. ويستدلون على اتجاهاتهم بما حدث منذ عام ١٩٨٩ عندما قررت الحكومة بتعطيل العمال يوم إضافي في الأسبوع بأجر مضاعف أن قرر العمال بشكل جماعي مواصلة العمل مع التنازل عن الأجر الإضافي. ويشيرون كذلك إلى أن مكائتهم العالمية سببها إدمان العمل والكبرياء (وليس المكابرة) اليابانية التي رفضت أية معونة من أي بلد في العالم عند حدوث الزلازل، وأرسلت خطاباً موجهاً للعالم فحواه: بأن اليابان لا تقبل التسول من بلاد العالم وأنها بقدراتها الذاتية من ثروتها البشرية قادرة على مواجهة الخسائر المادية من هذه الزلازل. ويبقى الجدل قائماً حتى الآن بين أنصار عشق العمل الذين يدعون استمراره وخصوص إدمان العمل الذين يرون أنه مرضاً نفسياً من الضروري علاجه، ولربما سيصدر التوجه العام من مجلس الدايمو خلال عام ١٩٩٨ حلاً لهذه الظاهرة الفريدة في العالم.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 206-210, 278-285.

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Publishers, 1995. pp. 30-37, 130-134.

Paul Kenedy, The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Millitary Conflict from 1500 to 2000, Unwin Hyman 1988 - pp. 369.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٤٦-٥٥، ١١١-١٣٧.

العسكرة اليابانية

لا يمكن لنا إدراك وفهم خصائص الإدارة اليابانية إلا في محاولة البحث فيما يكمن تحت السطح الظاهر من الحياة اليابانية، وخاصة ما وصلت إليه العسكرة من أثر في السلوك على شعب منعزل عن العالم، قانع بفقره على مدى العصور، ما أوصلته العسكرة من نتائج سلبية بهزيمته الشنعاء في الحرب العالمية الثانية. وتاريخ اليابان يعكس في جميع فصوله عن دور العسكريين التاريخي من (الشوجن) ومن ثمّ (الساموراي) والعسكرة النظامية، ما عدا الفصل الأخير والحديث عندما تم القضاء على العسكرة مع الاحتلال الأمريكي في أغسطس ١٩٤٥. ومن اللافت للنظر أنه لا يمكن لنا أن نطالع بحوثاً عن حضارة اليابان وفلسفتها وحكمها وإدارتها ومدنيتها وأدبها دون أن يكون هناك علاقة مباشرة أو غير مباشرة للشوجن والساموراي.

يعود تاريخ العسكرة في اليابان إلى القرن الحادي عشر في تحكم مجموعة من الطغاة العسكريين على الحكم، وأطلق عليهم الشوجن، ويمثلهم كبير النبلاء العسكريين، والذي يمثل منصب حاكم اليابان العام، والذي أصبحت أسرته تتوارث هذا المنصب حتى عهد توكوجاوا الذي انقلب عليه مجموعة من صغار الساموراي وأعادوا الإمبراطور ميجي إلى السلطة عام ١٨٦٨، والذي تم تسمية عهده بعصر النهضة الحديث لليابان. وكان طغيانهم يتصف بأن أي مواطن يخرج عن الطاعة بالعصيان يتم الفتك به وبعائلته وأسرته جميعاً فور ساعته. واتصفت فلسفتهم في أفضلية النظام الإقطاعي؛ لأنه يحقق الاتزان برأيهم بين السلطة المركزية وسلطة الإقطاعي ويضمن استمرار المجتمع المطيع دون أن يتعرض لسلطان الحاكم المستبد.

وكانت طبقة الساموراي تشكل ٥٪ من عدد السكان ويملكون ٩٨٪ من الأراضي. وقاعدتهم الرئيسية في أن كل رجل من السادة هو جندي والعكس صحيح، أي أن كل جندي هو كذلك من السادة. ومن غرائبهم أنهم كانوا يزدرون العلم ولهم امتيازات كثيرة بإعفائهم من الضرائب وإعانة خاصة من الأرز وليس لهم أي عمل يذكر إلا حماية الحاكم العسكري وسادته من النبلاء. وكان لرجل الساموراي الحق في أن يمرن سيفه الجديد، فيجوز له أن يجربه في إنسان من الطبقات الدنيا كما يجوز له أن يجربه في كلب. ولم يكونوا يلتزمون طاعةً إلا طاعة الولاء لرؤسائهم فإطاعة الرؤساء جزء من تشريعهم الذي وضع تلك الطاعة فوق حب الآباء لأبنائهم أو الأبناء لأبائهم. كما من المؤلف عند الساموراي أن يخرج الرجل منهم أمعاء نفسه بما يسمى هيراكيري، إذا ارتكب خطأ أو أنه انهزم في قتال أو اضطر للاستسلام لعدوه. وتاريخياً ارتكب أربعون رجلاً من الساموراي ذلك احتجاجاً على إعادة جزيرة محتلة للصين عام ١٨٩٥، وكذلك عدد كبير منهم في إحدى معاركهم مع الروس عام ١٩٠٥ عندما وقعوا أسرى. وكان لهذه الصفات مرجعية في وقت لاحق للجيش الياباني النظامي الذي تم تجهيزه وتدريبه على أيدي الألمان في عصر الميجي في عدم الخوف من الموت.

وكانت طبقة الساموراي مغلقة متوارثة وأرستقراطية تقف على رأس الهرم الاجتماعي يليهم الفلاحون ثم الحرفيون وفي قاعدة الهرم التجار. وقد أسهموا كما يشير بذلك المنظر الأمريكي في علم الاجتماع تالكوت بارسونز عن طريق أخلاقياتهم وتصرفاتهم العقلانية في تيسير بناء رأسمالية متميزة، إذ كانوا يستدينون من التجار ويمولونهم كذلك. جاء حكم الإمبراطور ميجي ليضع بناءً حديثاً في إلغاء الإقطاع الذي أحدثه الشوجن واتخذ شعاراً جديداً وهو (أمة غنية وجيش قوي) ببناء جيش نظامي ضخم بتدريب ومعدات هولندية وفرنسية وألمانية. وثم

صياغة خطة لبناء صناعة عسكرية متقدمة، كانت لحسن المصادفة فرصة في تحويلها، إلى صناعات سلمية بعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية بناء على ما ورد في كتابات مؤسس شركة سوني المعروفة. هذا إلى جانب بناء تعليمي ومؤسسات مالية وتجارية حديثة ممثلة بالزيباتسو الاحتكارية على النمط الغربي.

وتُعدُّ الحرب العالمية الأولى علامة مميزة في نمو وتطور العسكرية وسيطرتها الكاملة نتيجة الكساد العالمي الذي مر به العالم من جوع وفقر وهجرة وكوارث ومعاناة، مما أدى إلى نزعة التوسع العسكري في احتلال كثير من دول شرق آسيا من قبل اليابان واتجاه التحديث التغريبي المخطط والمدرّس الذي بناه الإمبراطور ميجي إلى بناء الصناعة العسكرية. وخلال الاتجاه للتغريب، صدر قانون التجنيد الإجباري عام ١٨٧٣ بإلحاق الفلاحين في الجيش النظامي مما أغضب الساموراي وعلى أثره انتهى احتكارهم للسلاح مما أدى للانقضاض عليهم بشكل نهائي، حتى إنه يصعب على سلالة الساموراي في عصرنا الحاضر أن يعترف بأنه من هذه السلالة.

ومع استقدام المستشارين الأجانب من فرنسا وهولندا وألمانيا لتدريب الجيش النظامي الجديد من الفلاحين، مما عزز معقل العسكرية بالشعبية الواسعة لدى الريف. واتجهت اليابان إلى الفاشية والنازية واستمرت حتى هزيمتها، إذ وجدت لنفسها الكثير من الخصائص المشتركة التي تجمعها بالنازية الألمانية والفاشية الإيطالية. فاليابان مثل ألمانيا لديها شعور بالتميز القومي والتعالي والفوقية على الصين وبرصيد من الإنجازات الماضية بانعدام الهزيمة عبر تاريخها. وكان للمفكر أوكي تأثيراً على العسكرية خلال فترة الكساد الاقتصادي العالمي من عام ١٩٢٦ حتى ١٩٤٥ بانهزام اليابان. وكان لكتابه (المخطط العام لبناء اليابان) مرجعية وشهرة تتشابه مع كتاب كارل ماركس بالنسبة لروسيا الشيوعية. وكانت أفكاره

تنادي بسيطرة الدولة على كل المجتمع والتوسع الحربي ونشر المدنية والحضارة اليابانية في كافة أنحاء العالم. وقد مارست المؤسسة العسكرية دوراً مؤثراً في التغريب والحدثة وتحويل اتجاهات الفرد وربطه بالمؤسسة العسكرية بدلا من ولائه للأسرة باستخدام نظام الأسرة داخل الثكنات مع تركيز الاتجاهات على علاقة الجندي بالضابط بصفتها علاقة الأبناء تجاه آبائهم. كما ركزت المؤسسة العسكرية على أهمية العوامل المعنوية كالشجاعة والتضامن والجماعية في عملية التجنيد. وجعلت من كل مدرسة في البلاد معسكراً للتدريب الحربي ومصدراً لتجذير الحماسة الوطنية مع أن القيم اليابانية أساساً تنادي بالطاعة والنظام والولاء. فقد اجتاحت العسكرة الفاشية اليابانية الصين والكوريتين وفورموزا واحتلت منشوريا الصينية وضمتها لليابان كمستعمرة. ودلالة واضحة على بشاعة العسكرة قامت منظمة الأبحاث والتطوير التي أنشأها الإمبراطور هيروهيتو عام ١٩٣٦ في إرسال الدكتور إيشيمارو لإجراء البحوث الطبية البشعة على أبناء هذه المستعمرة، وذلك بحقنهم بالجراثيم والفيروسات للأمراض المستعصية، ومن ثم يقوم بتشريحهم لمعرفة كيفية تعامل الجسم البشري مع هذه الفيروسات لمنفعة الجنس البشري الياباني، وتقول الدراسات: إن عدد أبناء منشوريا الذين قتلهم اليابانيون عدة ملايين منهم من كانت تجرى عليهم هذه التجارب. وبعد الحرب العالمية الثانية، تم إلقاء القبض على الدكتور إيشيمارو وتم نقله إلى أمريكا لتقديم معلوماته واستخلاصاته العلمية حتى مات بسرطان الحنجرة عام ١٩٥٩.

وفي الحرب العالمية الثانية تعرضت اليابان لهزيمة كاملة لأول مرة في تاريخها وفقدت ثلاثة ملايين من أبنائها، ودمرت القوات الأمريكية ربع الثروة القومية و ٦٦ مدينة و ٣٠٪ من القدرة الصناعية و ٨٠٪ من السفن و ٤٧٪ من إمكانات توليد الطاقة الكهربائية. كما انتحر وزير الحربية وقتل وزير المالية والمفتش

العسكري العام وشقيق رئيس الوزراء في يوم الاستسلام والتسليم للقوات الأمريكية. وانتقلت اليابان إلى العداء والتشكيك بالعسكرة، واستهلت عهداً جديداً في تجريد المؤسسة العسكرية من سيطرتها بمحاكمة عشرة آلاف قيادي عسكري. وقد أسهمت أمريكا كذلك في بناء أهم مصادر الدخل إذ صرفت على سبيل المثال إبان الحرب الكورية عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ (١٣٩٠) مليون دولار التي كانت تشكل ضعفي صادرات اليابان الإجمالية آنذاك. ومع توفير نفقات التسليح بدستور ١٩٤٧ الذي ركز على بناء دولة بلا جيش وبرنامج خطة دودج في المنح والمساعدات المحدودة من أمريكا وبنك الإنشاء والتعمير الذي هدف إلى بناء يابان جديدة مسالمة يجب أن تقف على قدميها بنفسها وبالتركيز على معارضة تدخل الحكومة في الاقتصاد والنقد.

٢ نستنتج من ذلك أن ارتباط المجتمع الياباني بالعسكرة في الضبط والربط والترتيب إلى جانب الشجاعة والعنف. ويرتبط الولاء القومي الياباني في الأساس على التجانس العرقي مما حقق الانسجام بين أفراد الشعب بما تم تجذيره من الروح العسكرية في التضحية بالحياة في ساحة الحرب بصفته جزءاً من القيم والشرف والدلالة على الولاء وانتقلت هذه الروح في التضحية في الحياة لصاحب العمل والولاء، المؤسسة. أي إن عمليات الصراع والأحلال قد جمدت فيها الأنماط القديمة، واستمرت وتكيفت وتواءمت مع انتهاء العسكرة وتلاشيها واختفائها وحل محلها المهارات المكتسبة من العسكرة مثل الضبط والربط والترتيب والولاء والطاعة لصاحب العمل وأسس التنظيم. ٣

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٧٩-٨١، ١٠٢-١٠٩، ١٢٧-١٣٠، ١٤٩-١٥٣.

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Publishers, 1995. pp. 39-46.

Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 182-203.

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 151-163.

الاحتلال الأمريكي

استمدت خصائص الإدارة اليابانية جذورها من أربعة فصول: أولها الثوابت الجغرافية والتاريخية والديانات الوضعية التي هذبت الروح. أما الفصل الثاني فهو التكوين الإقطاعي وخصائصه في العزلة وعدم الرغبة في التوسع أو التبادل التجاري مقتنعة بالزراعة واستمرارية الفن والفلسفة. وجاء الفصل الثالث بوصول الأسطول الأمريكي بقيادة الجنرال بيرلي إلى اليابان عام ١٨٥٣ واحتلال شواطئ اليابان مع النزعة للانفتاح ومنافسة الغرب وصولاً إلى أبعاد شبح الاستعمار الغربي، وما تبعه من عودة الإمبراطور مييجي إلى السلطة عام ١٨٦٨، والتوجه نحو الحداثة في التجارة والصناعة والبحث عن الخامات التي تفتقدها من الخارج وإيجاد منافذ لصناعاتها في الأسواق الخارجية. يضاف إلى ذلك قتالها المستميت - بسبب ازدياد عدد السكان وصغر حجم أرض اليابان - للتوسع الاستعماري في احتلال جزء من الصين وهزيمتها لروسيا واحتلال كوريا وفورموزا وتايوان لتحكي الفاشية والنازية بسيادتها على الشرق الأقصى مثلما كانت ألمانيا وإيطاليا تسعى لسيادة الغرب، وانتهى هذا الفصل عام ١٩٤٥ بهزيمة اليابان أمام الاحتلال الأمريكي. أما الفصل الرابع الذي نحن بصدده فهو الآثار الإيجابية التي أحدثتها قوات الاحتلال الأمريكية على خصائص الإدارة اليابانية خلال سبع سنوات من إصلاحات اقتصادية وإدارية كان لها أبلغ الأثر على اليابان الحديثة. وتؤكد كثير من الكتابات التاريخية أن الفصل الثالث بعصر الميجي والفصل الرابع بعصر الاحتلال الأمريكي مجتمعين يمثلون بحق عصر النهضة اليابانية.

لا شك أن بداية التغيير في الانفتاح على العلم والعالم والتوجه نحو الصناعة في عصر الميجي كان مبنياً على التخطيط المدروس بعناية فائقة للتقليل من أخطار

الفشل والقلق والمقاومة. وكانت تجربة التحديث أو التغريب أو التنمية تتم من أعلى ومن القمة أو من النخبة، كما كانت هذه التجربة نابعة من قناعة ورغبة وغير مفروضة على النخبة. وقد استفادت اليابان بطوعية من تجربة النقل والمحاكاة والاستعارة من بروسيا ومن ثم من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وتشبعت من النظم الاقتصادية والتجارية والإدارية والقضائية الألمانية، كما كانت قد تشبعت قبل ذلك من النظم الصينية في الحكم المحلي والبيروقراطية والكونفوشية. إلا أن تولية السلطة لهؤلاء الخبراء من أفراد النخبة بعد أن عادوا من الغرب أدى إلى عوامل سلبية مرتبطة بالعسكرة والاتجاه نحو الفاشية والنازية والاحتكار والتوسع وبناء آلة الحرب التي أدت إلى انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية.

وبانتهاء التجربة الأولى ذات الطوعية والمركزة على القانون والفلسفة والاتجاه الألماني، نجد اليابان بالإكراه ونتيجة الاحتلال والتبعية الأمريكية، تتجه بعد الحرب العالمية الثانية نحو البراجماتية الأمريكية وإخضاع اليابان للتوجه الديمقراطي في قيام هيئة تشريعية تعبر بحقيقة عن الصفة التمثيلية وتحرر من هيمنة السلطة التنفيذية والبيروقراطية على كل المستويات وبصياغة دستور جديد يركز على دولة بلا جيش والقضاء على العسكرة من جذورها. وقام مكتب الجنرال مكارثر بعملية تطهير وإصلاح سياسي واقتصادي وتعديلات جوهرية في الأنظمة التجارية والعمالية، بالإضافة إلى نظم التعليم والاتصال. كما أدى هذا الإكراه إلى تأثيرات سيكولوجية على الشعب الياباني بالاندفاع نحو السلم والإنجاز الاقتصادي بدلاً من السمات العدوانية والتوسعية. وكان لهذا الفرض والإكراه نتائج إيجابية في تغيير دور النخبة من تولي السلطة إلى مساعدة السلطة المنتخبة بناء على الدستور والديموقراطية، كما أسهمت البرامج التصحيحية للاحتلال في الإقلال من السمة الأبوية للمجتمع الياباني. ولا بد من الإشارة إلى أن الاحتلال أسهم بشكل كبير

في القضاء على الرقابة المتعددة والمتزايدة على الفكر وشجع الحرية الأكاديمية وحرية التعبير مما مهد للكثيرين من الدارسين في محاكاة ونقل واستعارة النظريات الأمريكية في العلوم الإنسانية مثل الإدارة العلمية ووسائلها المتخصصة في الكفاءة والإنتاجية والتنميط والإنتاج المكثف وبطريقة تطبيقية خاصة في تحذير الشركات المتعددة الجنسية لاستثماراتها في اليابان وانتقال الخبراء الأمريكيين للعمل مع اليابانيين على نقل التقنية.

إن ما قام به الجنرال مكارثر في الإكراه واستخدام الأوامر العسكرية الصارمة وبطريقة مهيمنة مع مستشاريه اليابانيين الذين كان لهم دوراً فاعلاً آنذاك في تحقيق الفعالية بمحاكاة واستعارة أنماط جديدة منطلقها الديمقراطية. ولم يكن لذلك أن يتم لولا تجريد وإلغاء وتدمير المؤسسة العسكرية الفاشية من جذورها وانتقال السلطة إلى المدنيين على أنها بداية للتحديث والتطوير الذي نشهده اليوم. ومن غرائب الصدف أن النموذج الألماني الذي ابتدأت اليابان بمحاكاته طوعية اندثر بسرعة غريبة نتيجة الإكراه السافر للنموذج العسكري واحترام سلطة الكبار على أنه محور رمزي. كما أن تجربة التنمية بالطوعية التي تتم من أعلى بواسطة النخبة الذين تولوا السلطة، كما حدث في اليابان الفاشية، يمكن لها أن تتجه نحو اليمين أو اليسار بما يختلف ورغبات الجماهير العريضة. بينما نلاحظ أن تجربة التنمية بالإكراه من الاحتلال الأمريكي في غرس بذور الديمقراطية وإلغاء العسكرة مع الجوانب الإصلاحية كافة، أضف إلى ذلك المعونات والمنح المالية الأمريكية خلال الحرب الكورية أسهمت بشكل فاعل في التوفيق ما بين القديم والحديث الذي نراه اليوم في النتائج الاقتصادية اليابانية.

ومن أهم إسهامات الاحتلال الأمريكي على خصائص الإدارة اليابانية في القضاء على الاحتكار الذي مارسه الزياتسو، إذ كانت جميع الشركات التابعة

للشركة الأم تُعدُّ شركات فرعية يتم من خلالها تعيين المديرين العامين من خارج الشركة، وكذلك أعضاء مجلس الإدارة انطلاقاً من مبدأ عدم الفصل آنذاك ما بين الملكية للشركة وإدارتها. وعلى أثر انحلال الزيبتاسو واعتبار كل شركة بوصفها وحدة قائمة بحد ذاتها وليست تابعة للشركة الأم، ابتدأت هذه الشركة بتعيين المديرين وأعضاء مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية من داخل الشركة نفسها، مما كان له أكبر الأثر في تكوين وتطوير فئة المديرين المحترفين وصولاً إلى ما وصلت إليه الدول الغربية في احتراف الإدارة. وكانت الزيبتاسو تؤكد على تعيين المديرين من خريجي القانون بجامعة طوكيو وممن لديهم خبرة في البيروقراطية. وقد غيرت لجنة الاحتلال هذا التوجه وأعطت أهمية كبيرة إلى التأهيل الهندسي والشخصية التي أطلق عليها شوميكر لفظ (Entrepreneur) وتعني مروج المشروع أو ذلك الشخص المجدد والمخترع الذي يتحمل المخاطرة والمجازفة ويشرف على تنظيم وإدارة المشروع. وأسهم ذلك كله في تكوين خصائص متميزة للإدارة اليابانية تتماثل مع خصائص الإدارة الأمريكية من حيث النظرية والتطبيق والحركة.

وقبل ذلك، قام مكتب الاحتلال بصفته جزءاً من عملية حل الزيبتاسو في تعديل نظام الشركات مؤكداً فيه الفصل ما بين الملكية والإدارة، والذي لم يكن معروفاً للنظام البروسي-الألماني، وأدى الفصل إلى ظهور طبقة المديرين المهنيين. كما أسهمت في إحداث نظام العمل والعمال الياباني وانبثاق نقابات العمال في كل شركة بدلاً من الارتباط في الصناعة كما كانت في الفترة الميجية، ولم يكن أعضاء النقابات يشكلون إلا ٧٪ من العمال. وتكون ترابط عضوي ما بين الشركة والنقابة العمالية حتى إن بعض أعضاء النقابة أصبحوا أعضاء في مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية وأصبحت هناك رابطة دائمة بين العامل والشركة والنقابة ضمن المعطيات التقليدية بالتدرج. وكان لإكراه الاحتلال في فرض مبدأ الوظيفة الدائمة

على الشركات اليابانية ما يعطي محورياً توافق هذا المبدأ مع القيم والأعراف اليابانية حتى إنه يصعب علينا أن نقبل أن مبدأ الوظيفة الدائمة الياباني قد تم استعارته أو إكراه الشركات اليابانية على استخدامه على أنه جزء من الإصلاح الشامل وكوسيلة لوقف التزيف مما خلفه الدمار الشامل من جوع وفاقة وبطالة للشعب الياباني بعد الهزيمة .

وفوق ذلك ، أوجد مكتب الاحتلال بديلاً فعالاً للزياتسو في إنشاء هيئة أطلق عليها اسم (Keidanren) تهدف إلى التركيز على تحقيق أهداف ورغبات الشركات الصغيرة والمتوسطة في علاقتها مع الأجهزة البيروقراطية للتأثير عليها في إعداد أنظمة وسياسات وإجراءات حكومية إيجابية . وقد بلغ أعضاؤها ١١٠ صناعة وتجارة وبيوتات مالية وعضوية ٧٣٩ شركة كبرى في البلاد بخلاف آلاف الشركات الصغيرة . وينبثق عنها (٣٧) لجنة رئيسية متخصصة تعمل مع صغار البيروقراطيين في الرئجي المعروف وأكثر أعمال هذه اللجان مع وزارتي المالية والتجارة الدولية والصناعة (MITI) وتركز جهودها النفوذية والتأثيرية على الشؤون الضريبية وسياسات النقد الدولية والانفتاح . وانبثق عنها حتى عام ١٩٨٨ ما لا يقل عن ٢٥٠ لجنة استشارية في كافة الأجهزة الحكومية في تعيين مستشارين في الأجهزة الحكومية تخدم متطلبات القطاع الخاص .

أسهمت فترة الاحتلال الأمريكي لمدة سبع سنوات في تجذير الديمقراطية وانهلال العسكرة واستخدام النخبة من المفكرين لمساعدة سلطات الاحتلال في تحديد معالم الاتجاهات التحديثية الفاعلة . وكان للقضاء على الزياتسو ردود فعل إيجابية كثير في المهنة الإدارية والتعلم الإداري وانتقال النظريات الإدارية الأمريكية إلى حيز التطبيق عن طريق النخبة الجديدة المخترين من الشركات نفسها . ولا بد أن التعديلات الدستورية والنظم الخاصة بالشركات ونظام العمل والانتساع الأفقي

للتقابات العمالية على مستوى الشركات مع إنشاء الهيئات الخاصة بجماعات النفوذ والتأثير كما في أمريكا أدى إلى تطوير خصائص الإدارة اليابانية.

ويتضح لنا بأن الفصلين الثالث والرابع من تاريخ عصر النهضة الياباني وتجربة التحديث في كليهما قد تمت من سلطة مركزية عليا إذ تمت تجربة التطوير والتنمية في عصر الميجي بطوعية واختيار ودراسة مخططة بواسطة النخبة التي تولت السلطة إلا أنها ما فتئت وتمركزت هذه السلطة بيد العسكر. أما في فصلها الرابع بالاحتلال الأمريكي فقد انطلقت من الإكراه المفروض بالإصلاح السياسي والاقتصادي من جهة ومن جانب النخبة اليابانية بصفتها مستشارين لقوات الاحتلال وبرنامج دودج نتيجة شعورهم بالكارثة الكبرى المتمثلة بالهزيمة لأول مرة في تاريخهم منذ آلاف السنين ورغبتهم الابتعاد عن ويلات الحرب أولاً وقبلها ويلات الكوارث والهزات والفقر والمجاعة وبعد كل شيء إحساسهم الرئيسي بالندرة. وفوق كل شيء لا بد من إضفاء الروح القيادية الكريزية للجنرال مكارثر الذي كان له أبلغ الأثر في دوره المتميز في وضع اللبنات الأساسية لخصائص الإدارة اليابانية الحديثة. ومع أن الاعتماد على الذات كان ولا زال الإستراتيجية الأساسية والجوهرية، إلا أنه لا شك بأن المساعدات المالية الأمريكية وغير الموجهة لليابان بل للصرف الأمريكي على الحرب الكورية، أسهمت بتنشيط الاتجاه التصديري. فعلى سبيل المثال، قامت القوات الأمريكية بشراء كميات كبيرة من الحافلات من شركة تويوتا المعروفة والتي كانت قد أعلنت إفلاسها وإغلاق مصانعها، وتكرر النهج نفسه من وزارة الدفاع الأمريكية لشركات عديدة مثلها مثل شركة تويوتا على حافة الإفلاس. وقد تكرر هذا النهج كذلك من وزارة الدفاع الأمريكية خلال حرب فيتنام مما أسهم بشكل جزئي في استمرارية انتعاش الاقتصاد التصديري الياباني.

المراجع:

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan.

Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 155-201.

Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity.

Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 105-112.

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Ec-

onomics - How new engines of prosperity are reshaping global markets.

London, Harper Collins Publishers, 1995. pp. 30-33.

Schaller, M. The American Occupation of Japan, New York, 1985 -

pp. 280-291.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة

الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٣٠-١٣٧.

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د.

أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية

١٩٨٥، ص ٥٣-٦٤.

التوفيق والملاءمة

في البداية، لاختتلف اليابان فكراً وممارسة عن مختلف دول العالم غير الغربي في السلوك والاتجاهات الرافضة بشكل كلي لكل ما هو جديد أو كل ما هو غربي. إلا أن ما يميز اليابان عن غيرها من دول العالم بأنها تستند تاريخياً على ازدواجية فكرية أحد شقيها هو الرفض لكل ما هو غربي وتنادي بتفوق كل ما هو ياباني أو ما أسموه لاحقاً بالفكر الياباني على كل ما هو أجنبي أو غربي. ويؤكد هذا التفكير ما يعتقد اليابانيون بأن كل ما هو خارج اليابان أجنبي وما بداخلها ياباني حتى إنهم يعتقدون بأن كل محاولة من أجنبي تعلم اللغة اليابانية وثقافتها وحضارتها يطلقون عليه تعبيراً يابانياً بأنه (مهووس أو مصاب بلوثة عقلية). وعلى الشق الآخر من هذه الازدواجية يُعدُّ بعض الكتاب والمفكرين بأن الفكر والثقافة اليابانية هي ثقافة مستقبلية فقط وغير ممكنة لأن ترسل ثقافتها لأحد لكون البداية التاريخية هي استعارة ونقل ومحاكاة للفكر والثقافة واللغة والأنظمة والمعرفة الصينية والهندية كالديانة الوضعية كالبودية والفلسفة الكونفوشية، إلى جانب الانفتاح على كل ما هو غربي في عهد الإمبراطور مييجي في القرن التاسع عشر وما تبعه كذلك من انفتاح جديد في التوفيق والملاءمة في الفكر الياباني، لأن التقنية الغربية تفوقت في النهاية واتجه اليابانيون بنهم لاحترامهم لهذه القوة التقنية ونقلها واستيعابها ومحاكاتها وتكوين نماذج يابانية توفيقية ما بين الأعراف والعادات والتقاليد ومتطلبات التقنية.

وإذا افترضنا دون جدل ما يُعدُّ كافة المفكرين ببداية الانفتاح الواضح والواعي في عصر المييجي الذي بحق هو عصر صياغة التاريخ الياباني الحديث الذي انطلق من فذلكة مؤداها استعارة الوسائل والأدوات العلمية والتقنية والمصانع مع تبني

نظام أخلاقي يكفل الحفاظ على الخصوصية اليابانية ويجعلها موضع الاحترام والقبول الدائم نظراً لما لاحظته القياديون من ولع وتلهف وانبهار اليابانيين بالحضارة الغربية، وهذا يتناسق مع الانبهار الذي حدث في مصر أيام الخديوية كذلك. وقد تأكد حذرهم من المجموعة الأولى المبتعثة للدراسة والتي انبهرت بالحضارة الغربية بشكل واضح مما أدى إلى تعديل أسلوب الاختيار والانتقاء لشبيبة تتمتع بحكمة كبيرة ولا تبهرها مظاهر الغرب وتتمتع بأخلاقيات عالية وتحدد لها برنامج واضح في تلقي التعليم والتدريب المناسب. وما بين عامي ١٨٦٨-١٩٠٠، بلغ عدد أعضاء هذه البعثات ما يزيد عن ألف من كبار المسؤولين والدارسين حتى إنه يقال: بأن محمد علي باشا أرسل مجموعة تزيد عن مائتي مصري إلى فرنسا خلال الفترة نفسها التي أرسل فيها الإمبراطور ميحي عدد مشابه للدارسين اليابانيين إلى فرنسا. وكان لصدور المرسوم الإمبراطوري للتعليم عام ١٨٩٠ الذي أكد بوضوح تام التركيز على الأعراف والعادات والتقاليد اليابانية في علاقات الولاء والطاعة من قبل الابن لأبيه واحترام القانون والإمبراطور، مما أكد التوفيق ما بين الطاعة والولاء للإمبراطور والكونفوشية والروح الانضباطية العسكرية في المحاولات الأساسية للتوفيق والملاءمة وظهور كتابات أينو كواشي وزير التعليم آنذاك والذي يُعدُّ بحق باني النظام التعليمي الياباني الحديث التي أسماها (أبتر) بالاتوقراطية التحديثية. ومن أهم السمات لما أسماه البروفسور أبتر إحياء التراث التقليدي مع تكييفه وفق الظروف المستجدة وفي الوقت نفسه أصباغ الطابع التراثي التقليدي على الجديد الغربي الوافد والتي تُعدُّ تنقية للتقاليد القديمة دون إهمال عن أفضل ما في النماذج المعاصرة مما أدى لأن يسميه البروفسور أبتر (التقليدية الجديدة).

إن إمكانات التوفيق والملاءمة اليابانية تعود إلى قدرة الثروة البشرية في نقل وهضم واستيعاب التقنية التي تعود إلى عام ٧٤٧ بإتقانهم صهر والحام النحاس في

صناعتهم لتمثال نحاسي لبوذا فاقت قدرة الهند آنذاك. ونجحت في التجربة الثانية عام ١٥٤٣ في استيراد البندقية الحربية البرتغالية، ومن ثمّ صناعتها عام ١٥٦٥ بعد مرور (١٢) عاماً فقط على استيرادها. ووصل إنتاجهم منها عام ١٦٠٠ إلى مائة ألف مقارنة بإنتاج فرنسا آنذاك التي كانت لديها عشرة آلاف بندقية فقط. وقد وصل إنتاج مصنع مدينة سكاي اليابانية اليومي إلى (١٥) بندقية وإجمالي سنوي وصل إلى ستة آلاف بندقية وتغلبت فيه على إنتاج البرتغال آنذاك. وكما نقلت عن فرنسا عام ١٨٦٨ صناعة الحرير وفي عام ١٨٧٣ تم شراء مصنع للحرير كامل بما فيه الطوب الخاص لبناء المصنع مع استقدام (١٥) فني فرنسي، ومع بداية عام ١٩١٠ أصبحت اليابان أكبر دولة منتجة للحرير في العالم وبعد أربعين عاماً من إنشاء المصنع. كما أخذت عن بريطانيا عام ١٨٨٢ صناعة النسيج وتم إنشاء أول مصنع متكامل عام ١٨٨٥ وأصبحت دولة منتجة ومصدرة للنسيج من القطن الذي أصبح يضاهي مصانع ماتشستر.

ومع أن كامل الاحتياطات قد جذرها عهد الإمبراطور مييجي، إلا أن الاحتلال الأمريكي أحدث تحولات اجتماعية واقتصادية معتمدة على تجربة وممارسة كانت نتائجهما في النهاية تغلب التوفيقية والملاءمة ما بين الأعراف والعادات والتقاليد الموروثة ومتطلبات التحديث التي أفرزتها محاكاة ونقل التقنية الغربية، وانتهى الجدل القائم ما بين الإفراط في محاكاة الغرب والتناثر مع كل ما هو أجنبي، وأصبحت عمليات الاستعارة مدروسة ومخططة للتطويع والتوفيق والملاءمة مع التقاليد والأعراف اليابانية. كما أصبح على أثره التعامل مع المتناقضات جزء من الفكر والسلوك الياباني بما أسموه (علوم غريبة وأخلاقيات شرقية) أو ما تجده عنواناً وشعاراً (تكنولوجيا غريبة وقيم يابانية).

وينعكس التوفيق فيما يسمى (تناموشي) في الوصف المؤثر للمديرين صانعي

ومتخذي القرارات إذ إن معناها مقزح اللون، أي إن اللون يبدو مختلفاً اعتماداً على الجهة التي تنظر منها، وهذا التقزح اللوني في الموقف، هو بسبب أن الموضوع المطروح إما غامض أو معقد أو من الصعب على متخذ القرارات أن يتخذ منه قراراً أو تصريحاً حاسماً. وكما أن اللعبة (قو) والتي يمارسها اليابانيون تؤكد عليهم التحرك خطوة بناءً على الخطوة التي يتخذها الجانب الآخر، ولهذا يتصف اتخاذ القرار الياباني بالتأخر في المبادرة، لأن المدير الياباني يريد أن يعرف المبادرة أولاً حتى يستطيع أن يأخذ المنهج التوفيقي في الاستجابة للمبادرة تاركاً لنفسه سلسلة من الخيارات. ولهذا كذلك يتم التأثير على قرارات المدير الياباني بالتحدث إلى طرف ثالث بصفته جزءاً من السلوك التوفيقي في التفاوض.

إن ضرورات الحياة أكدت وفرضت على اليابانيين التغيير في الأفكار والنماذج وكلها لا تفرض مطلقاً إلغاء التراث والثقافة المتراكمة وخلع الأعراف والعادات والبيئة من سلوك واتجاهات الإنسان. وقد حقق اليابانيون في خصائص الإدارة التوفيقية ما بين التقاليد ومتطلبات التغيير الذي أحدثته التقنية والمحاكاة للغرب. ولهذا تحققت عملية توفيقية للسلوك واتجاهات للإدارة اليابانية في الازدواجية ما بين القديم والجديد وأساليب الإدارة المرتبطة بالتقاليد والأعراف والعادات وما فرضته المحاكاة للتقنية الغربية والصناعات الحديثة، وهو ما أطلق عليه العديد من خبراء الإدارة مرونة الحراك الاجتماعي والنفسي بيسر وسهولة بين المهن والأدوار والوظائف، ويواكب ذلك حركة علاقات رشيدة مبتعدة عن بعض التقاليد المرعية دون أثر سلبي على التقاليد والأعراف والعادات المتوارثة.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٦٧-٧٤، ٩٠-٩٤، ١١١-١١٨.

التغيير المخطط

نستطيع القول دون تحن على الحقيقة بأن كل المجتمعات المعاصرة في العالم، وفي النصف الثاني من القرن العشرين، نقلت واستوعبت بطريقة أو بأخرى موجات التحديث. وعلى أثره لا يمكن مطلقاً أن نصف مجتمعاً معيناً بأنه تقليدي صرف أو اتجه إلى الحداثة الصرفة، وإنما نجد مزيجاً من التقليدية والحداثة. فالتقليدية تعني الأفكار والمفاهيم والأنماط والقيم والأعراف والعادات المستمدة من التراث وفي تقديرها واحترامها. أما الحداثة فيقصد بها كذلك الأفكار والمفاهيم والقيم والسلوك المرتبط بالتصنيع وانتقال التقنية والتحضر والرفاهية الاقتصادية التي عادة ما يطلق عليها بالعناصر الغربية الوافدة. وترتبط الحداثة بهذا المعنى في بناء المؤسسات التنظيمية الفاعلة بأسلوب ترابطي وتكاملي وعلائقي وبتغيير مخطط من نخبته المثقفة، مما يؤدي في النهاية إلى التعايش والإحلال ما بين التقليدية والحداثة. وما نحن بصددّه في خصائص الإدارة اليابانية في التغيير المخطط والمتوازن الذي تمكنت النخبة اليابانية في إحداثه والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال حركة التغيير المعروفة بعصر الميجي عام ١٨٦٨ وما تبعها من تغييرات مفروضة على المجتمع الياباني في التوسع الحربي الاستعماري لدول شرق آسيا ونتج عنها في النهاية هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية واحتلالها من أمريكا والتغيير الإستراتيجي للسلم والصناعة حتى عصرنا الحاضر.

فكانت انطلاقة التغيير في عصر النهضة بصدور ميثاق القسم الصادر عام ١٨٦٨ والذي نادى لنبد العادات السخيفة المضحكة والاتجاه نحو الأنماط العصرية. وأرسلت عدداً كبيراً من اليابانيين إلى ألمانيا وفرنسا لدراسة الأفكار والأنماط الغربية وهدفها المدرّوس والمخطط الذي يُعدُّ أساساً لعملية التغيير وفي تكوين الدافع المبني

على الحاجة منطلقاً من الجغرافيا والتاريخ وقلة الثروات الطبيعية والهزات الأرضية والمجاعة والفقر وازدياد عدد السكان. حتى لا يتم إثارة مشاعر القلق والانزلاق في الحداثة دون تخطيط مدروس، فقد اتخذت اليابان أسلوباً متميزاً في اختيارها للنخبة المثقفة التي بلغت أكثر من ألف دارس والتي تم إرسالها إلى أوروبا. وكانت عملية الاختيار محكمة وانتقائية وذات أهداف واضحة في اختيار الشخصيات اليابانية من هذه النخبة، والتي تتمتع بحكمة كبيرة وذكاء غير عادي وبقدرة استيعابية غير منبهرة بمظاهر الحداثة السائدة في أوروبا. وركز القادة والإمبراطور ميجي على الانتقائية لهذه النخبة التي ستقوم بالانتقاء وتحديد أكثر مظاهر الحداثة ملاءمة ومتوافقة مع التقاليد اليابانية. لقد كان الانبهار الياباني في الغرب مثيلاً لانبهار الخديوية في مصر بالغرب، وكان عدد الدارسين المصريين آنذاك مساوياً لعدد اليابانيين، إلا أن تميز اليابانيين في الانتقائية والاختيار السليم لحركة التحديث والتغيير المدروسة والمخططة واضحاً وملموساً في حركة التغيير في مرحلتها الأولى والذي نلمس نتائجها في النتائج الاقتصادية المتميزة الحديثة.

وكان التغيير المدروس والمخطط يهدف إلى أن هؤلاء النخبة المنتقاة بعناية عليهم أن يعودوا بعد إنهاء دراستهم وتدريبهم للعمل كخبراء تنفيذيين في استعارة ومحاكاة ونقل التقنية الغربية والعمل على توفيقها وملاءمتها للتقاليد اليابانية. ولأن الاختيار المقتن للمبتعثين بحكمة وحنكة، مع ارتباط المختارين من طبقة الساموراي التي تتمتع بالولاء والطاعة العمياء للإمبراطور، وما تتصف به من مواهب قادرة على تحويل الصراع المجتمعي نحو التحديث إلى توفيق وملاءمة. إلا أن انتقال هؤلاء الخبراء بعد عودتهم إلى مواقع تنفيذية في السلطة وممارستها وضغوط الندرة والإحساس بالحرمان وما سماه بيرك بعقلية الخوف من الجوع وتطلعاتهم التوسعية واستغلال العسكريين للتحديث البروسي والألماني النازي والإيطالي الفاشي أدى

إلى استعمارهم عدداً من الدول المحيطة للحصول على الثروات الطبيعية اللازمة لصناعة الحديد والسفن والصناعات الحربية. وقد أوصلهم ذلك في النهاية إلى الهزيمة الساحقة في الحرب العالمية الثانية وابتداء الموجة الثانية في التحديث بعد الاحتلال الأمريكي.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن القدرة اليابانية على محاكاة واستيعاب التقنية الغربية قد ابتدأت في القرن الخامس عشر عندما تمكنوا من صناعة البندقية وقدرتهم الفائقة على صهر النحاس. وتبعها قبل بداية عصر النهضة المعروف بعصر الميجي في احتلال الجنرال الأمريكي بيرى عام ١٨٥٣ لبعض الشواطئ اليابانية وتوقيع المعاهدة المعروفة التي أطلقت عنان الانفتاح على الصناعات والتقنية الغربية. إلا أن الموجة الأولى في التحديث ابتدأت بهذا الزخم التاريخي عام ١٨٦٨ بعصر الميجي الذي جاء إلى السلطة بمساهمة رجال الصناعة التواقين إلى نقل التقنية الغربية بشكل سريع واتجاههم آنذاك إلى ألمانيا باقتباس المناهج الألمانية الدراسية وإلحاق عدد كبير من اليابانيين المختارين بعناية فائقة للدراسة والتدريب.

وكان لأراء أحد هؤلاء المبتعثين للدراسة وهو أينو كواشي أهمية عظمى في التوفيق والملاءمة وخاصة فيما قدمه للنظام التعليمي الياباني بنظام التعليم عام ١٨٧٢ و ١٨٩٠ وإلغاء المدارس الأجنبية والتركيز على الأخلاقيات والروحانيات اليابانية بعد أن عين وزيراً للتعليم وتركيزه على القيم الكونفوشية وصياغة أسس التعليم الفني والعلوم الأساسية. وكان لدوره المحوري كما يقول أبتراً أثراً فاعلاً في بناء الأوتوقراطية اليابانية في إحياء التراث التقليدي مع توافقه وسمات التحديث الوافد، والذي أسماه كذلك (بالتقليدية الجديدة).

وجاءت الموجة الثانية من التغيير المدروس والمخطط بعد هزيمة اليابان بالحرب العالمية الثانية في الإكراه على التحديث من قوات الاحتلال واستئصال الأنماط

التقليدية في إلغاء العسكرة وصدور الدستور وقوانين الإصلاح . إلا أن الإكراه من الجانب الأمريكي صادفه صراع داخلي في المجتمع الياباني في الرجوع إلى الماضي والتراث والتقاليد الموروثة مثل: الرنحي في صناعة واتخاذ القرارات الجماعية وخصوصية نظام أماي الياباني في شعور القوي برعاية الضعيف . كما كان للتغيير المفروض خصائص عديدة على الثقافة اليابانية مرتبطة بالخبرات المؤلمة من الكارثة الأولى بتاريخ اليابان لأول هزيمة حرب في التحول نحو التغيير بطريقة أدت للرجوع إلى التقاليد الموروثة .

ويمكن القول بأن تقبل التغيير بعد العزلة اليابانية يُعدُّ البذرة الأساسية لعمليات التصنيع والتحضير الذي تحقق بفضل التجانس القومي والتوجه الأساسي نحو التعليم والتعلم قبل كل شيء . ولا بد من القول بأن إرسال البعثات من الطبقة المؤهلة والمختارة بدقة متناهية من الساموراي وغيرهم من المؤهلين وما يتمتعون به من حكمة وتريث وموهبة انتقائية قد أسهمت بشكل فعال في نجاح التحديث التنموي . ولا يمكن لنا إغفال الحضارة والثقافة اليابانية في الطاعة والولاء والالتفاف حول القيادة الوطنية بكل التفاني والإخلاص مما عزز التغيير المدروس وتوفيقه وملاءمته مع التقاليد الإيجابية الموروثة . وبعد كل شيء لا بد من القول بأن التغيير المدروس والمخطط في عملية التحديث من أعلى ومن القمة ومن هذه النخبة الجماعية من الخبراء والمتقنين قد أسهم في تدعيم قيمهم التقليدية ومكانتهم الاجتماعية في الإقناع لحدوث التغيير .

المراجع:

- تاكانوسا تاكامورا ويزنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٥-٢٠، ٦٥-٨٤.
- د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٤٦-٥١، ١٠٩-١١٢، ١٢٣-١٣٠.
- د. إبراهيم عبدالله المنيف، إستراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي، الرياض، دار العلوم، ١٩٩٢، ص ٧١-٧٩.

الفصل الثاني

القيم الاجتماعية

- الانتماء إلى الأرض
- بناء القدرة الذاتية
- الثقة المتبادلة
- الجماعية
- الإجماع
- العمل الجاد
- المسلك والموقف
- الحياة الوظيفية
- الوظيفة الدائمة
- تقييم الأداء

الانتماء إلى الأرض

نتعلم من الجغرافيا الشيء الكثير وأهم دروسها في الارتباط والانتماء إلى الأرض التي تشكل مصدراً أساسياً للسلوك بشكل عام دون الدخول في تعابير ومصطلحات كثيرة. لا تدعو أي ضرورة إلى مقارنة حجم أرض اليابان بدول أخرى، فهي صغيرة بكل المقاييس علاوة على أن ١٢٪ من أرضهم يمكن استغلالها زراعياً وفترة الزراعة عندهم (٢٦٠) يوماً بحدها الأعلى مع افتقار الأرض للثروات الطبيعية. وأضيف إلى ذلك فصل الشتاء القارس الذي يرافقه الأعاصير التايفونية المؤدية إلى الخسائر الكبيرة في الأرواح والموجودات. ولا ننسى كذلك الزلازل والهزات الأرضية وآخرها في عام ١٩٢٣ التي أدت إلى انهيار كامل لمدينة طوكيو. كل هذه الخصائص الجغرافية تجعلنا نتساءل عن طبيعة الانتماء الشديد من الفرد والأمة اليابانية إلى أرضهم. هذا الانتماء من منطلق جغرافي سببه الرئيسي القلة والندرة في حجم الأرض وانعدام ثرواتها الطبيعية والذي يعزز المبدأ والعمود الأساسي الذي بني عليه علم الاقتصاد في مبدأ الندرة. وهذه الندرة أشعلت فيهم الانتماء الذي نتج عنه الولاء والارتباط والكفاءة في استغلال الأرض.

فقد مهدت ضرورات العيش على أرض صغيرة ومحدودة لتحقيق البقاء بزراعة الأرض الذي يُعدُّ مصدراً أساسياً للحياة إلى بناء وتعزيز وتوثيق هذا الانتماء للأرض. وكان معروفاً لديهم أن إنتاج كفاية العائلة من الأرض لا يتم إلا بتعاون مجموعة من العائلات معاً لإنتاج ما يكفيهم جميعاً ويفيض عن حاجتهم. هذه البيئة في الإنتاج المكثف على زراعة الأرض مع انعدام حياة الصيد والرعي لانعدام وجود الحيوانات المساعدة للإنسان في الزراعة أدى إلى تكثيف الإنتاج من جهة وكذلك إلى تنميط العملية الزراعية (Standarization) لزيادة الإنتاج أمام الظروف

المناخية القاسية والأرض المحدودة. ومن جانب آخر، فإن الولاء يتأثر في الانتماء والذي كثيراً ما يرتبط بانتماءات متصادمة في بعض الأحيان كالانتماءات العقائدية أو الوجدانية أو العصبية القبلية أو العشائرية أو الطائفية. ولأن المجتمع الياباني ليس له انتماءات متضاربة أو متنافرة كونهم من نسيج متجانس، فأصبح الولاء والانتماء للأرض هو ديدنهم.

اليابانيون يشيرون إلى بلادهم باسم (نيهون أو نيبون) بلغتهم أي المكان الذي تشرق منه الشمس، وهذه دلالة رئيسية في التعبير عن الانتماء. كما أنهم يطلقون على علمهم الوطني اسم (نيسوكي) أي علم الشمس الصاعدة. يعبرون عن ارتباطهم وانتمائهم للأرض بصور مختلفة لها علاقة مباشرة بصبرهم ومثابرتهم وإتقانهم لعملهم بالإجماع وبروح الفريق أو المجموعة بكلمة نيمواشي والتي تعني الزراعة بالأرض للشجرة ككل متكامل مرتبط بالتربة المغذية للجذور وإتقان زراعتها واقفة غير منحنية وتسميدها حتى تثمر. هذا الانتماء بالتعابير المرتبطة بأن مصلحة اليابان بالأرض والوطن فوق مصلحة الجميع وصالح الجميع أهم من مصلحة الفرد.

الانتماء إلى الأرض التزام شخصي وليس إلزاماً للفرد والجماعة ينتج عنه سلوك وموقف تأثرنا به في مجلس التعاون لدول الخليج على شاشات التلفزيون خلال التصفيات الآسيوية لكأس العالم لعام ١٩٩٤ في الدوحة عندما قام الجمهور الرياضي الياباني بشكل جماعي بتنظيف المدرجات الرياضية التي كان يقف عليها بأستاد خليفة بعد انتهاء فريقهم مع الفريق الإيراني. والأكثر إدهاشاً وانبهاراً وإعجاباً وبشكل لافت للنظر أنهم قاموا بتنظيف أماكن جلوسهم في المدرجات من بقاياهم وهم مهزومون أمام الفريق الإيراني. إن الانتماء إلى الأرض هو أساس الشعور بالمسؤولية التي أدت إلى هذا الالتزام السلوكي، وهم بالفعل غير ملزمين

بتنظيف المدرج .

كما أن الموقف الياباني في الانعزال قبل عصر النهضة استمر في عصر الميجي بالسلم والانفتاح والتطور الصناعي الحربي ، الذي نقلهم إلى تجربة الحرب واستعمار كثير من الدول المجاورة ، والذي انتهى بهزيمتهم بالحرب العالمية الثانية واستعمارهم عام ١٩٤٥ وجنوحهم للسلم والتركيز على الصناعة وبناء اقتصادهم مكنت وجذرت الانتماء إلى الأرض . فقد تمكنت اليابان من خلال هذا الانتماء في التركيز على المثابرة والجد والتحدي والالتزام بعدما دمرته الحرب العالمية الثانية والهزيمة الساحقة المدمرة التي منيت بها للكفاح المرير من أجل إعادة البناء ، كما حدث ذلك بشكل مشابه في ألمانيا . ومن حالفه الحظ برؤية المسلسل التلفزيوني الطويل (أوشين) وفيلم هيروشيما حبييتي يتذكر المآسي التي منيت بها بالقتلى والتشويه الذري لقتلى هيروشيما ، ويتذكر جيداً ما يتردد من ذاكرة لا تعرف النسيان والعزاء . إن تصميم الشعب الياباني بانتمائه إلى أرضه حول هيروشيما القنبلة الذرية إلى مجد صناعي كما حول طوكيو المهذومة بأكملها نتيجة الزلزال عام ١٩٢٣ إلى أكبر مدن العالم .

إن أسرار التقدم الياباني في الانتماء إلى الأرض بحكم التاريخ والجغرافيا فرض وجوده بقوة الإنسان الياباني وليس بقوة السلاح النووي والتقني . لا بد لنا من تحليل دقيق لقدرة الانتماء إلى الأرض حتى يتحقق من خلالها ما حققه اليابانيون لبلادهم .

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations.

Kondasha America, Inc. 1995. pp. 39-43, 61-71, 194-197, 273-282.

Ohmae, Kenichi. The End of Nasion State, the rise of Regional Ec-

onomics - How new engines of prospoerity are reshaping global markets.

London, Harper Collins Pubblishers, 1995. pp. 98-99.

Reischauer, Edwin O. The Japanees Today, Change and Continuity. To-

kyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 47-52, 107-110.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan.

Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 36-39.

بناء القدرة الذاتية

لا بد أن الجغرافيا اليابانية بحجم الأرض الزراعية الصغير وعدد السكان الكبير وندرة الثروات الطبيعية وكثرة الهزات الأرضية والانفجارات البركانية أدت إلى تفجير قدرات الإنسان الياباني أمام القلة والندرة. ولا بد أن التاريخ الانعزالي للبلاد منذ مئات السنين وقبل القرن التاسع عشر وبدء عصر النهضة المعروف بعصر الإمبراطور مييجي، الذي يسمى بعصر صياغة التاريخ الياباني الحديث وما رافقها من فاقة وجوع وحرمان خلال بناء الترسانة الحربية لليابان قبل الحرب العالمية الأولى وما بين الحربين العالميتين وانتهاء بهزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية ذات أثر هز مشاعر الإنسان الياباني في بناء توجهاته في تحقيق إرادته لبناء قدراته الذاتية في العصر الحديث. وكان لتقرير (دودج) الذي قدمه للحكومة الأمريكية بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية، الذي ابتدأ بفذلكة وخلاصة واستنتاجات تنص على أنه (على اليابان أن تقف على قدميها وتنعش اقتصادها بفضل جهودها) أكبر الأثر المحفز لبناء القدرة الذاتية اليابانية وعن طريق المنافسة التجارية دون انتظار مساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية.

بناء القدرة الذاتية بشكل عام ولأي بلد في العالم تُعدُّ الوسيلة الرئيسية لتحقيق الإرادة وهدفها النهائي في الوصول إلى القوة في مجال صناعي منافس يحقق الرفاهية الاقتصادية. إن القدرة الذاتية لأي دولة يمكن تعريفها بأنها الاستطاعة على تلبية وتوفير أهم الاحتياجات اللازمة للقوى البشرية من جهود وعمل جاد ومثابرة وبذل من أبناء البلاد بأيديهم وعقولهم ضمن إطار يمكن هذه الاستطاعة أن تنبت وتترعرع وتترسخ. وضمن هذا الإطار، فقد استطاعت اليابان من استيراد واستحواذ وامتلاك التقنية وصولاً إلى أن أصبحت تقنية ذاتية عن طريق

القدرة المتمكنة والمستمدة من تلقي العلوم والتمرس في نقلها للاستخدام والتطبيق .
وقد أوضحت سابقاً كيفية بناء القدرة الذاتية في نقل التقنية الخاصة بصهر
النحاس وصناعة البندقية بنقلها من البرتغال عام ١٥٦٥ ونقل التقنية بصناعة الحرير
من فرنسا عام ١٨٧٣ ، وكذلك نقل تقنية صناعة النسيج من بريطانيا عام ١٨٨٢ .
وأصبحت اليابان مختصة بالصناعة حتى إن هذا الاختصاص في تركيز
الإستراتيجية الصناعية على الترميط (Standardization) . للمنتج وكذلك ترميط
الإجراءات وخطوات العمل للعاملين وترميط المعلومات وكل ذلك عن طريق
الإستراتيجية الأساسية في الإنتاج المكثف (Mass Production) . إن شعور اليابانيين
بضغوط عدم الأمان لمستقبل حياتهم للأسباب البيئية التي سبق التعرض لها أدى
إلى تركيزهم الحثيث على مبدأ الكمال والفعالية المتناهية (Optimization) الذي
يتحقق عن طريق الإنتاج المكثف والترميط والتأطير لكافة العمليات الإنتاجية
والإجرائية .

ابتدأت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية في استحواذ التقنية بفتح المجال
للاستثمارات الأمريكية في بناء المصانع واستقدام الخبراء الأمريكيين وتوقيع عقود
أسمتها الشركات الأمريكية المستثمرة في اليابان (عقود نقل التقنية) وكانت في عدد
من الدراسات تشير إلى قبول الجانب الياباني لدفع نسبة ١٠-٢٠٪ من الأرباح
مقابل هذه العقود . وقد استخدم الجانب الياباني حذاقته في استخدام نماذج
وإجراءات تتعلق بدفع تكاليف هذه العقود تتركز أهدافها الرقابية في تدريب
اليابانيين على التقنية . وكانت هذه الإجراءات المطلوب إعدادها من الخبراء
الأمريكيين تتطلب معايير وإثباتات فعلية قبل دفع النسبة المطلوبة على أنها خدمات
لنقل التقنية تتطلب رقابة صارمة هادفة لإثبات التدريب وفعاليته ونجاحه . كان لدى
اليابانيين النهم للتعلم والتمرس في الإدارة والصناعة والسلوك الغربي لا مثيل له

في العالم . لم يصدر كتاب في أمريكا عن الإدارة وقبل الحرب العالمية الثانية وبعدها إلا وتمت ترجمته إلى اليابانية، حتى إن جميع كتب تايلور رائد الإدارة العلمية وزملائه تمت ترجمتها إلى اليابانية، وبدأ تطبيق أفكاره في الكفاءة والإنتاجية خلال فترة الاحتلال الأمريكي عام ١٩٤٥ .

ولإثبات هذا الاهتمام والنهم للعلم والتعلم والتطوير، استقبلت اليابان نظريات وأبحاث وأفكار إدواردز ديمينج الأمريكي، الذي لم تستوعب أمريكا أفكاره في الكفاءة والإنتاجية، وذهب إلى اليابان في مطلع الخمسينيات وبقي يعمل في اليابان على مدى (٣٥) عاماً متصلة في القياس الإحصائي للجودة وريادته لنظرية التحسين المستمر للمنتجات، ولم تكتشفه بلده أمريكا إلا في مطلع الثمانينيات التي عاد إليها وبقي يحاضر ويجوب الولايات لإلقاء المحاضرات حتى وفاته عام ١٩٩٠ عن عمر يناهز (٩٣) عاماً على كرسي متحرك. وقد نال ديمينج الوسام الإمبراطوري وجائزة ديمينج التي يستقبلها اليابانيون بالفخر والاعتزاز كما يستقبل العالم جائزة نوبل. ومثله جوران رائد تصميم الجودة الذي انتشر فكره ونظرياته وتجاربه في إدارة الجودة.

في كل العقود الخاصة بنقل التقنية، كان التركيز الأساسي في اليابان للقضاء على البطالة لأنها، أي البطالة، في أي مكان في العالم مصدراً أساسياً لعدم الاستقرار الاجتماعي والأمني والسياسي والاقتصادي. وركز الاحتلال الأمريكي على بترها منذ البداية في صياغة قواعد التوظيف الدائم التي يعتقد الكثيرون أنها يابانية الأصل، إنما هي يابانية الولادة والمنشأ ولم تكن موجودة حتى في أمريكا إلا أنهم تمكنوا من استخدامها بأسلوب حقق الولاء والانتماء. وقد كانت هذه العقود مع الشركات الأمريكية تحتم على مرافقة ثلاثة يابانيين لكل خبير أمريكي. وحتى إنه كان يطلق للفكاهة على هذا الفريق الياباني، فريق الظل، بأن أحدهما ليحمل

حقيقية الأمريكي أينما ذهب، والآخر ليجلس إلى جانبه والثالث ليقرأ كتاباته ورسوماته وأفكاره من المذكرات التي يكتبها ويرميها بسلة القمامة بمكتبه.

لقد تأثرت الإدارة اليابانية بالإدارة الأمريكية الحديثة دون شك فكرياً وممارسة في استيرادها للنظريات الإدارية وتطبيقها كما استوردت السيارة والكمبيوتر والهامبرجر وخلطة الكنتاكي السرية. وعلى مدى أربعة عقود متتالية بعد الحرب العالمية الثانية أتيح للإدارة اليابانية من منطلق توفير المناخ الملائم واللازم والإستراتيجية المخطط لها للرؤية المستقبلية لبناء القدرة الذاتية، لأنه لا مجال لهم إلا ذلك بحكم الجغرافيا والثروات، في الاستثمار بالعلم والتعلم الذاتي حتى قيل إن الهامبرجر والكنتاكي يختلف في جودته وطعمه وأسلوب إدارته وتشغيله عن الشركة الأم التي منحت الامتياز. أكل اليابانيون الخبرات والاستشارات ودراسات الجدوى وهضموها جيداً بما يتفق مع معدتهم مما مكنهم من الاستحواذ وامتلاك تقنية ذاتية اختلفت كثيراً عما اشتروه في البداية.

تمكن اليابانيون من استحواذ التقنية بفعل نجاح تجربتهم وممارستهم للشركات المختلطة مع شركاء أمريكيين في عقود التقنية والتي أعطتهم المراحل الخمسة في بناء القدرة الذاتية لامتلاك التقنية. ابتدأت في إدارة وتشغيل المصنع ومعداته في الفترة الممتدة ما بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠، وانتقلوا بعد ذلك إلى تعلم الصيانة وإجراء العمرات لهذه المصانع والمعدات. وفي الستينيات وصل اليابانيون كما هو معروف إلى صناعة قطع الغيار ومن ثم صناعة المعدات بفعل عوامل عديدة مرتبطة بالعمل الجاد تحقيقاً لإستراتيجية بناء القدرة الذاتية من البداية.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 41-43, 144-148.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٠٧-١١٩.

الثقة المتبادلة

إن الفحص الدقيق للإدارة اليابانية يكشف لنا أسرار الإنتاجية العالية لهذه الأمة والتي أصبحت مثلاً يحتذى به عالمياً . وكما أن البحوث الأكاديمية عن الجو الثقوي البالغ والمفترض في علاقة الإدارة اليابانية بالعمال قد أشبعه الباحثون في كتب إدارة الأعمال بالجامعات العالمية . ومع أن جل هذه الكتابات كذلك يركز على الإدارة الجماعية أو المشاركة في صناعة واتخاذ القرارات ، إلا أن هنالك عنصراً أساسياً أغفله معظم الباحثين ، وهو أنه إلى جانب الثقة المتناهية من المديرين اليابانيين بالمرؤوسين والعمال ، فإن ثقة المديرين بزملائهم وأقرانهم ورؤسائهم تتساوى مع مرؤوسيهـم وعمالهـم .

يركز علماء الاجتماع على أن الجفاء وانعدام الألفة يؤثر في نوازع النفس البشرية ؛ لأن انعدام الصداقة بين العاملين يقلل الثقة ويزرع الحسد والحقد والكراهية بدلاً من الألفة والمودة . إن الرقة والتهذيب مصدرها النفسي الثقة المتبادلة من خلال بناء العلاقات الاجتماعية والصداقة المبنية على تبادل المصالح وانعدام الأنانية . إن نوازع النفس البشرية تتصف بالتعقيد والتقلب والتغير والمزاجية ، إلا أن اليابانيين بحكم ظروفهم المعيشية (الجغرافية والديموغرافية) يتصفون بالرقة والتهذيب وحدة الذهن أو ما يمكن وصفه بالحذق والمهارة (Subtlety) التي تنبع من أمور تربوية والعشرة الطويلة في العمل بروح الجماعة والثقة المتبادلة التي كونت فيهم هذه الخصال ، ولأن العمال يتولون شؤون عملهم بأنفسهم دون رقيب مما يولد فيهم الرقة والتهذيب . فالثقة والاعتمادية المتبادلة بين الشركات أدت إلى تقليل التكاليف على صناعة السلعة ، إذ لا ضرورة لدى المصنع لتوفير حيز للتخزين بأن تقوم الشركة الموردة للأجزاء بتمويل المصنع بقدر كافٍ من القطع التي تكفي لأيام

معدودة. هذا السلوك يؤدي إلى الارتقاء بمستوى الإنتاج وتقليل التكلفة على المصنع لأسباب التنسيق المبني على الثقة المتبادلة بين المصنع والمورّد. إن الاعتمادية بين الشركات ظاهرة فريدة لا يجاريهم بها أحد في العالم منطلقاً من مبدأ الثقة والجماعية والتي يصدر عنها الألفة والمودة بما تنطوي عليه من اهتمام ودعم للزملاء من خلال إقامة علاقة وثيقة وصدّاقة.

إن توفر عنصر الثقة المتناهية بين المديرين ومرؤوسيهـم وعمالهم وكذلك بين المدراء وأقرانهم ورؤسائهم يؤدي بسهولة إلى الاستنتاج الأول ببساطة الهيكل التنظيمي للشركات اليابانية الذي يؤدي في النهاية إلى قدرة الشركات اليابانية على المنافسة كونهم منتجين بتكاليف أقل من مثيلهم في الدول الغربية. ولأنهم يفترضون جدلاً بأن الموظفين والعاملين على كافة المستويات مؤهلون وقادرون على أداء العمل وفوق كل ذلك كله ذو ثقة متناهية باهتمامهم بمصالح الشركة. وكما هو معروف، بأن الشركات اليابانية لا يوظفون مديريـن تنفيذيين برواتب ضخمة، كما في الغرب، والذين يتركز عملهم في مراجعة وتقييم الدراسات المقدمة وتحويلها إلى من يليهم من مديريـن تنفيذيين آخرين ذوي رواتب ضخمة. لا تشغل الشركات اليابانية نفسها في كتابة الوصف الوظيفي كما في الدول الغربية ومن تحذو حذوها والذي يحدد به الأمور الخاضعة لسلطات المديرين والتي مع الوقت تصبح إقطاعية خاضعة لهم وعلى أثره يبدأ الصراع بين إقطاعيات المديرين. وبدلاً من كل ذلك فإن الهيكل التنظيمي والأعمال التنفيذية في الشركات اليابانية تتصف باليسر والسهولة والمرونة، لأنها في قمة الهرم الإداري تكون هزيلة ونحيلة جداً وكبيرة على المستوى التنفيذي المحقق للأرباح. ولهذا يردد البعض أن الشركات اليابانية تزدهم بأعداد كبيرة من الموظفين، بيد أن هذا العدد الهائل هم من أصحاب الياقات الزرقاء أو من أصحاب الوظائف المحققة للأرباح. كما أن

المستويات الدنيا والمتوسطة من الموظفين والفنيين والعمال في الشركات اليابانية يلاقون منذ تعيينهم تدريباً مكثفاً ويتنقلون بين الأنشطة المختلفة ويعملون بأيديهم مقارنة بالمديرين الأمريكيين أو الغربيين أو من يحذو حذوهم في الدول الأخرى بالجلوس في المكاتب وكل عملهم يتركز في معضلة الأواني المستطرقة في مديرين يراجعون (Reviewers) بعضهم على بعض. لهذا يرى كثيرٌ من الخبراء الإداريين في أمريكا أن الهيكل التنظيمي الياباني يتصف باللامركزية وقلة المستويات الإدارية مقارنة بالهيكل التنظيمي الغربي، لأن المشرف الياباني مثلاً يتصل مباشرة بمدير المصنع مقارنة بأقرانه الغربيين الذي ترى في هياكلهم التنظيمية ضرورة اتصاله بثلاث مستويات قبل وصوله إلى مدير المصنع. فمثلاً بين العامل والرئيس التنفيذي في شركة فورد أحد عشر مستوى، بينما بالمقارنة تجد في تويوتا فقط ستة مستويات، ولذلك تجد التكاليف غير المباشرة لشركة فورد، بالإضافة إلى الروتين سبباً في ارتفاع تكلفة السيارات الأمريكية مقارنة بالسيارات اليابانية.

وإن كان هناك عناصر أخرى أدت إلى زراعة الثقة المتبادلة وحصاد آثارها مثل الوظيفة الدائمة وغيرها من الأساليب اليابانية، فإنها تبقى ثابتة ذات آثار إيجابية على تخفيض المستويات في الهيكل التنظيمي والتركيز على العمل بدلاً من التركيز على حل الصراعات وبالنهاية تؤدي إلى تخفيض التكاليف. ومن الصعوبة بمكان تطبيق الأساليب اليابانية المبنية على الثقة المتبادلة في الإدارة الغربية ومن تحذو حذوها والتي تتصف بغياب الثقة وهياكل تنظيمية منتفخة في الإدارة العليا ذات التكاليف غير المباشرة العالية. فإذا نظرنا إلى الدراسة المقارنة بين الشركات الأمريكية واليابانية والتي ثبت فيها أن الشركات الأمريكية تتوفر بها عشرون ضعفاً من المستشارين القانونيين وسبعة أضعاف من المحاسبين، بينما تتوفر في الشركات اليابانية خمسة أضعاف المهندسين عن الشركات الأمريكية، تتضح لنا الفجوة في

عنصر الثقة وكثرة المراجعين (Reviewers) في الشركات الغربية وقلة العاملين (Doers) على أثره تستمر لعبة الأواني المستطرقة في الإدارة الغربية ومن تحذو حذوها مقارنة بعنصر الثقة في الإدارة اليابانية التي حققت المعجزات. ولا شك أن دول حوض الباسيفيكي أو النمر الستة تحذو حذو اليابان الآن في زراعة وتطوير عنصر الثقة ما بين الإدارة العليا والعاملين مما يمكن للإدارة العربية الاقتداء به بزرع عنصر الثقة المتبادلة بدلاً من الحقد والحسد وآثارهما السلبية بهياكل تنظيمية منتفخة في قمة الهرم وذات التكلفة العالية وهزيلة على المستوى التنفيذي المحقق للأرباح.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٨٣-٨٥، ١٣٣-١٣٧.

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 43-54.

Musashi, Miyamoto. The Book of Five Rings, New York, Bantam Books, 1982. pp. 38-52.

Joran, Joseph M. Joran on Leadership for Quality, New York: The Free Press, 1989. pp. 76-78.

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 164-166.

الجماعية

إن أسلوب حياة اليابانيين برمته يرسم صورة لأمة وشعب متمائل ومتوحد من حيث العرق والتاريخ واللغة والدين والثقافة جبلتهم العزلة والفاقة والجغرافيا بوشائج القرى الحميمة التي لم تترك للخصوصية والتفرد مكاناً وجعلت الألفة والمودة نظاماً موروثاً لا غنى لهم عنه . إن الأساس والقاعدة للعمل المشترك أو ما أسميته (الجماعية) في اليابان يعود إلى نمط الحياة في زراعة الأرز الذي يعود إلى آلاف السنين ، حيث إنه هو الطعام والغذاء الأساسي للسكان . فزراعة الأرز تتطلب بناء صيانة نظام للري يحتاج إلى العديد من الأيدي العاملة . والأهم من ذلك كله أن زراعته وحصاده لا يمكن مطلقاً أن يتم بكفاية (أي يكفي احتياجات عائلة واحدة مثلاً) إلا بتعاون أكثر من عشرين فرداً على العمل الجماعي في زراعته وحصاده وتجهيزه . إن الأسرة الواحدة التي تعمل منفردة لا يمكن لها إنتاج ما يكفيها من الأرز ، ولكن إذا عملت عدة عائلات معاً يكون بإمكانها إنتاج محصول يفيض عن حاجتها جميعاً . وكانت هذه العادات في جماعية الإنتاج وصولاً لحد الكفاية جزءاً من حياتهم نتيجة الاعتماد على الذات وسياسة العزلة عن العالم حتى عصر الميجي أو عصر النهضة عام ١٨٦٨ .

الشركات اليابانية وحتى المؤسسات الحكومية تشبه العشائر في عالمنا العربي ، حيث إنها مجموعات متآلفة تربط أفرادها صلات ووشائج مؤدية إلى المودة والألفة والثقة . فالياباني يؤمن أن حرية الفرد لا تتم ولا تكتمل إلا إذا تنازل برغبته عن مصالحه الذاتية في سبيل المصلحة العامة . فالفرد في اليابان ليس له قيمة تذكر بالنسبة إلى الجماعة ، إذ كان لا بد أن تظهر لحيز الوجود أحد القيم الاجتماعية المركزية والأكثر أهمية من أي قيمة أخرى ، والتي من غيرها لا يمكن لأي مجتمع

أن يستمر في الوجود. لقد استطاع اليابانيون بسبب عزلتهم عن العالم آلاف السنين حتى عام ١٨٦٨ البقاء على قيد الحياة بفضل قدرتهم على العمل الجماعي في إنتاج الأرز، والتي تجذرت وتعرفت ولا زالت قاعدة وخاصة للإدارة والإنتاج والصناعة.

تتجه الثقافة والحضارة اليابانية بمصادرها التاريخية والجغرافية دائماً نحو الجماعات التي تبدأ بالوحدة وهي الأسرة، وتمتد خلال علاقات الزمالة التي يكونها الفرد خلال تربيته وعمله وتعليمه وتضمن ذلك الشركة التي يعمل بها لتحقيق مصلحتها في إحداث هذه الجماعية. فذاتية الفرد تختفي كلية في ذاتية الجماعة، والفرد لا يعمل من أجل منفعته الشخصية قصيرة المدى وإنما من أجل رقي جماعته أو الجماعات الأكبر التي هو عضو فيها. كما يتحدد مركزه من خلال أداء جماعته أكثر مما يحدده أداؤه كفرد. فصلة الفرد بالجماعة تُعدُّ روحية؛ لأنه يعمل على تحقيق الاعتراف به الذي تمنحه إياه جماعته ومن أجل اعتراف الجماعات الأخرى بجماعته، وليس من أجل مجرد منفعته المادية قصيرة الأجل، المتمثلة في مرتبه الشهري. إنها الذاتية الجماعية التي تجعل من التوظيف مدى الحياة وسيلة رئيسية لتحقيق الولاء الأبوي الذي تقدمه الشركة لموظفيها وعمالها وتسترده في صورة جهد أعلى من العامل الذي يعمل ليس فقط من أجل نفسه، ولكن من أجل مجد وسمعة الشركة التي تحقق له الاعتراف بالذات ومظلة الحماية للأسرة.

الفرد لا يستمد مركزه تبعاً لقدرته وقيمه الفردية، وإنما على أساس عضويته في واحدة من الجماعات المترابطة. إن المجتمع الياباني، بناءً على ثقافته، يمنح الاعتراف للجماعات أولاً وكرامة الفرد تعتمد على عضويته في جماعة يخضع لقواعدها. إن أية محاولة للتركيز على الكرامة والحقوق الشخصية الفردية خارج الجماعة تؤدي إلى العزلة وفقدان المركز للفرد.

وينظر اليابانيون إلى الجماعة على أنها قيمة اجتماعية نتج عنها عادة يتمسكون بها ألا وهي تحمل المسؤولية الجماعية؛ لأن المحاربين الساموراي وهم في قمة الهرم الاجتماعي يعتبرون أن خطأً فردياً في المعركة يكون قاتلاً للجميع. فالمسؤولية الجماعية عنصر رئيسي ومن الخصائص المجتمعية في العصور القديمة، إذ كانت العادة إذا ارتكب فرد جريمة كان يتم معاقبة جميع أفراد العائلة بالإضافة للجاني. وانتقلت هذه الخصائص المجتمعية وأصبحت من الخصائص للإدارة اليابانية.

فإذا ظهرت الحسابات الختامية للعام المعني وكانت النتائج سلبية على الشركة وتحققت خسائر، فمن المألوف جداً أن يتحمل جميع العاملين المسؤولية في تخفيض رواتبهم وعندما يتم تحديد شخص لتحمل المسؤولية الفردية فإن معنى ذلك أن يقدم استقالته ويتم ذلك فقط على أنها عملية استثنائية وتبقى القاعدة في المسؤولية الجماعية. والحوافز أو المكافآت الفردية المتميزة غير موجودة في الشركات اليابانية إذ إن المكافأة تكون للمجموعة بواقع محدد مثلاً رواتب ستة أشهر للعام الذي تحققت فيه أرباح معينة، ولا تجد مفارقات بين العاملين في المكافآت؛ لأن الموظف الياباني يستمد قناعته الكبيرة من كونه عضواً نافعاً في مجموعة، ويرفض حسب مثلهم الشعبي (أن يبرز كإبهام متقبح وسط مجموعة أصابعه). فالمدبر الياباني كذلك لا يستطيع أن يختار أو يعين أو يفصل أي موظف، كما أنه لا يستطيع أن ينقل أي موظف من وإلى إدارته إذ يتم ذلك عن طريق إدارة شؤون الموظفين للقضاء على أي شعور بالفردية. كما أن تحريك موظف ضد آخر أو استخدام سياسة فرق تسد لا يمكن الاستفادة منها.

يقول كيسنجر: بأنه يصعب عليك أن تعرف مع من تتعامل في اليابان ولا يمكن أن تنسب النجاح إلى فرد معين. في الاجتماعات تجد كبيرهم يتكلم وكلُّ

من معه جالسون صامتون وتعتقد أنهم لا دور لهم في المناقشات وتكتشف لاحقاً أن السلطة لدى هؤلاء الصغار وليس كبيرهم؛ لأن المسؤولية جماعية. أي محاولة إستراتيجية لحث الإدارة العليا بالاتصال ومحاولة تحريك أي موضوع من خلالها لا يمكن لها النجاح وتعطي نتائج عكسية، لأن السلطة لدى الصغار. باختصار، إن كل الفعالية والكفاءة والإنتاجية اليابانية تحققت بسبب تنمية وتطوير روح العمل الجماعي في التآلف والتعاون والمودة والثقة. إن الانتماء الاجتماعي أساسه الألفة المنطلقة من الشعور بالمسؤولية الجماعية. إن الفرد الذي يفقد هذا الود والألفة مع الجماعة يؤدي إلى ضعف الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية معاً. ويتج عن انعدام الألفة أفراداً كحشد لا تربطهم رابطة. ويلاحظ هذا السلوك الفردي في مواقع العمل في الإدارة الغربية؛ لأننا نؤكد للعامل والموظف بأن المشاعر الشخصية ليس لها مكان في موقع العمل.

إن حرية الفرد الياباني لا تتحقق إلا بتنازله عن رغباته ومصالحه الذاتية في سبيل المصلحة الاجتماعية العامة. فهم يرون أن الفرد المهتم بمصالحه الذاتية فقط سيكون بحالة حرب مع الآخرين وعلى أثره لا يتحقق العيش الكريم للمجتمع. ولذلك فإن المؤسسة الاجتماعية تحفظ التوازن مع الحرية الفردية التي تنعكس في اليابان في طريقة بناء بيوتهم المترصة والمتجاورة بسبب أسعار الأراضي الباهظة الثمن ومساحة أراضيهم الصالحة للاستعمال الإنساني، مما كان له أثر على الجماعية والاعتماد على التعاون الجماعي بدلاً من الاستقلالية والاعتماد على الذات وحماية الأنماط الفردية. فالنظرة الفردية للعمل أدت إلى التركيز على حسابات التكاليف ونظام المعلومات ومعالجتها المالية وتحميل التكاليف على الإدارات وعدالة هذا التحميل. النظرة الجماعية اليابانية لا تتجه إلى التقييم القصير الأمد أو التقييم الفردي لتكلفة الإدارة أو القسم. فهم يرون الحياة الصناعية والخدماتية بأنها

متشابكة ومتكاملة في العلاقات المشتركة التي لا يمكن من خلالها للفرد أن يكون له بطولة فردية في إنتاج سلعة أو خدمة بمفرده وهذه النظرة الجماعية تتفق مع منطق الأمور بأنه لا يمكن للفرد أن ينتج دون المجموعة. فالاقتراحات اليابانية لا يمكن لها إلا أن تصدر من مجموعة عمال معاً. فالعقلية اليابانية تؤمن بالعمل الجماعي لأن طبيعة الأمور تقضي بأن أي شيء لا يتم نتيجة للجهد الفردي وحده. فالمعتقدات اليابانية ركيزتها أن جميع الأمور المهمة بالحياة تتحقق بفضل العمل بروح الفريق أو بفعل الجهد الجماعي المشترك. ولأن كل شيء في اليابان مبني على المسؤولية الجماعية، التي تعزز القيم المشتركة. ولهذا فإن نظام الاقتراحات الجماعي وليس الفردي هو المتبع.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 15-32, 121-127, 140-144, 188-195, 208-216.

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 39-54, 238-244, 271-273.

الإجماع

أول هذه الحقائق أن الإستراتيجيات والسياسات العليا والقرارات المصيرية يتم اتخاذها من قمة الهرم (من أعلى إلى أسفل بالإجماع) ويتم نقلها إلى المستويات الأدنى بعد ذلك للتنفيذ. وتعود المعلومات التنفيذية لهذا القرار (من أسفل إلى أعلى بالإجماع) عن كيفية التنفيذ للإستراتيجية والسياسات والقرارات المتخذة. ربما أن هذه الخاصية يمكن القول بتطابقها وعالميتها مع الشعوب والأجناس الأخرى أي لا جديد فيما يتم من المدير الياباني مقارنة بالمدير العربي أو الغربي هنا، إلا بالإجماع مع خاصية الرنجي وغيرها التي سنأتي لتفصيلها لاحقاً .

ما يدعو للمفارقات والغرابة أن المدير الياباني من خلال عملية اتخاذ القرار أو في صناعته، فإن الخاصية الرئيسية التي يصعب علينا ممارستها من المديرين العرب هي خاصية الاتفاق الكلي أو الإجماع في الرأي للمجموعة التي تصنع القرار أو حتى الإدارة العليا التي تتخذه. هذا الإجماع يتطلب جهداً وصبراً ورؤية حواراً وتنمية وتطويراً لتحقيق الانسجام والتوافق العاطفي بين أفراد المجموعة. هذه العملية الإجرائية الصبورة في بناء الإجماع يسمونها (نيمواشي) والتي تعني زراعة الشجرة كاملة بما فيها التربة التي تغذي جذورها وتوقف موتها. أي إنه لا يمكن لفرد من المجموعة أن يمنع فرداً آخر من رفض الحل المفروض لمشكلة معينة دون أن يبحث معه جذور رفضه لهذا الحل ومن الضرورة بمكان تحويل الرفض إلى مرحلة الإجماع على ما تم اتخاذه من قرار للتقيد بتنفيذه.

هذه الخاصية في الإجماع تتطلب مقدرة ومهارة متميزة في العمل مع المجموعة أو العمل بكونها فرداً في مجموعة، وهي من أكثر الخصائص المحببة والمحققة للتميز والفعالية، وهذا سر تميز الإدارة اليابانية في التحمس العاطفي

للترباط بين الأفراد في الإدارة اليابانية بحيث أصبحت جزءاً من حياتهم. فالمدير الياباني لا مجال إلا بتوفر مقدرته على التعبئة العامة لفكر وإبداع وجهه أصغر عامل لديه لأنه بدون ذلك لا يتحقق له (الإجماع).

ولكن ما الذي دعى اليابانيين للتركيز على هذه الخاصية المحببة؟ دون شك يعود ذلك إلى جغرافيتهم وتاريخهم التي تتميز بكونها فقيرة بالثروات الطبيعية جغرافياً وتسلط القلة والندرة والفقر على فكر وهاجس كل ياباني تاريخياً بشكل مقلق ومفرط حتى الآن. هذه الخصائص الجغرافية والتاريخية أصبحت جزءاً من حضارة اليابان المعاصرة، والتي كان آخرها نتائج الحروب العالمية الأولى والثانية، والتي أوصلتهم إلى ما يمكن تسميته بحضارة الحرب ضد الفقر والعوز، أو ما قد يمكن أن نستخلصه من التصرفات المعاصرة التي تركز على أن الاقتصاد الياباني منظم حول محور الاقتصاد المرتبط بالحرب، ولذلك فهم يشعرون دائماً وكأنهم في حرب اقتصادية، ومن المستغرب عليهم جداً أن يكون هناك مثالية يمكن أن يتخيلها أي ياباني بأن الدول المتقدمة الأخرى ستعاون مع بعضها بعضاً لضمان حماية الآخرين من الفقر والقلة والعوز. إن كل ما نراه من تقدم في اليابان على أنه نتيجة للتراكمات التاريخية والجغرافية في محاولة الهروب أو الابتعاد عن الفقر والقلة والندرة والعوز وهاجسهم المفرط وليس كنزعة استعمارية كما عهدناها من دول متقدمة غنية أخرى عبر التاريخ المعاصر والقريب. إن إفراطهم في العمل الجاد ليس إلا من منطلق ما يمكن تسميته الحاجة أم الاختراع وحاجتهم إلى القضاء على هاجس الفقر والقلة أوصلهم إلى مرحلة التقدم هذه، ومع هذا كله لا يزالون يخافون من الفقر. ولهذا كله تجدد الشركات اليابانية منظمة هيكلية حسب التنظيم العسكري، لأن هاجسهم الدائب والدائم هو (البقاء) وهذه الكلمة، أي البقاء، تجدد معظم المديرين اليابانيين يرددونها خلال لقاءهم مع أقرانهم المديرين الغربيين

والعرب. ولهذا فإننا لا يجب أن ننسى أن العاملين في شركة يابانية يعتبرون أنفسهم جميعاً ضمن عائلة واحدة، وهذا التنظيم العسكري يعكس كالمراة خصائص النظام الأبوي الذي يعطي كبير السن أو الأب السلطة المطلقة.

نعود مرة أخرى للإجماع الذي يمارسه اليابانيون في الإدارة على أنه حاجة نابعة من التاريخ والجغرافيا. فجغرافيا قلة الثروات الطبيعية المقترنة بتاريخ الحروب والبقاء أدت إلى التنظيم العسكري بالفكر الحربي في بناء الاقتصاد وكأنه اقتصاد حرب ولا زالوا يعتبرون أنفسهم في حرب اقتصادية للبقاء دون أي تفكير استعماري؛ لأن اقتصادهم دون هذه الخصائص الأساسية كان سيبقيهم دون شك في حدود (٥٠٠) دولار لدخل الفرد بدلاً مما هي عليه الآن والتي وصلت إلى (٢٠) ألف دولار دخلاً للفرد عام ١٩٩٣.

إن البحوث العديدة في أمريكا وأوروبا أثبتت بأن الإجماع في اتخاذ القرارات يؤدي إلى الإبداع والفعالية في اختيار أفضل الحلول التوفيقية والكفاءة في التنفيذ من خلال التنسيق والتعاون في ذلك للالتزام ومناصرة جماعية للقرار. والرموز والطقوس اليابانية في الرنجي تؤكد ضرورة تمرير القرار على ما لا يقل عن ٦٠ إلى ٨٠ مديراً بالنسبة للقرارات المهمة والتي تتطلب وقتاً وصولاً إلى إجماع أولاً والذي ينتج عنه التزام بالقرار ومناصرة تنفيذه. ولهذا فإن القرارات في اليابان ليست مسؤولية فردية منظوية على لائحة صلاحيات محددة للفرد، بل يُعدُّ القرار مسؤولية جماعية ويتحمل الجميع مسؤولية الاشتراك في التنفيذ ونجاح القرار أو فشله. الإجماع وليس الأغلبية من عوامل انعدام الكفاءة الإدارية في اليابان إذ إن اتخاذ القرارات بنظام الرنجي وكذلك لوجود نظام هوشيكي الخاص بالاستشارات الأفقية والعامودية والتداول الطويل الأمد الذي يأخذ وقتاً وصولاً إلى مرحلة الإجماع. إن الإجماع على صناعة واتخاذ القرار بنظام الرنجي وهوشيكي يؤدي

إلى انعدام الكفاءة الإدارية نسيباً لطول الوقت الذي يتطلبه القرار، إنما يبقى القرار فعالاً في النهاية.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 22-47, 121-144, 316-329.

العمل الجاد

بعد خاصية الإجماع، يتميز اليابانيون بقدرتهم الفائقة على العمل الشاق والجاد لساعات طويلة مقارنة بغيرهم من الأوروبيين والغربيين أو العرب بشكل عام. اليابانيون يرون العمل على أنه في منزلة مقدسة كما في الديانات السماوية. فهم يرون العمل كجزء من أشياء أخرى مؤدية إلى النمو والتطوير الذاتي للشخصية، كما يرونه بأنه الشيء الوحيد المحقق لنمو وتطور وسمو الذات ولا شيء غيره البتة. العمل بالنسبة للياباني هو الشيء الوحيد المحقق للحصول على ثقة الآخرين وبناء الشخصية. ولأن اليابان جغرافياً تُعدُّ بلداً فقيراً من حيث الثروات الطبيعية، لذلك فإن من يعمل بجهد وجد وتфан يُعدُّ مصدره الوحيد لتحقيق الذات والحصول على أعلى المراتب والتقدير المجتمعي وإلا فلا ضرورة لوجوده على وجه الأرض ومن الأفضل له أن يموت أو ينتحر.

ولا بد من إعطاء صورة لأثر الديانة الوضعية كالشتو والبوذية اليابانية والكونفوشية والجودوشينشو والشينجيكو في تركيزها جميعاً على الأسرة والمساواة، كما تركز على الاقتصاد والتدبير والأمانة والعمل الجاد والموقف التقشفي تجاه الاستهلاك، بينما أجلت موضوع الربح للأمد الطويل. إن الأهمية القصوى للعمل تجذرت حتى أصبحت قيمة اجتماعية، إذ إن قيمة الموظف في مجتمعه السكني أمام أهله وجيرانه مرتبطة بوصوله المتأخر إلى منزله بعد الساعة التاسعة مساءً بصفته شرفاً تناله الأسرة في أوساط الجيران. فالعمل يبدأ صباحاً وينتهي في الخامسة-السادسة مساءً وينصرف الموظفون والمديرون بانتقالهم إلى أحد المطاعم أو صالات اللعبة اليابانية المشهورة لديهم (باشينكو) وفي الثامنة يتجهون إلى القطارات ليصلوا بيوتهم في التاسعة مساءً. وإذا لاحظ الجيران أن أحد العاملين يعود مبكراً

فإنهم يتوقعون أنه يواجه بعض المتاعب في عمله ويشكل ذلك إحراجاً للعائلة أمام الجيران .

العمل الجاد للياباني شيء مقدس ومن لا يعمل ويحاول الخروج عن إجماع المجموعة يجد نفسه مضطراً للانتحار ، لأنه لا يوجد لديهم أي اهتمام آخر غير العمل للأسباب السابقة الذكر في التاريخ والجغرافيا . وأكثر ما يزعج الهيئات الطبية اليابانية في العصر الحديث ما يسمى باللغة اليابانية (كاروش) أو الوفاة بأسباب الإرهاق أو الإدمان على العمل ، والذي يهدد نصف المجتمع الياباني العامل . إن جل تركيزهم واهتمامهم بالعنصر البشري يركز في البحوث والدراسات المعاصرة على هذا الوباء الذي قد يؤثر في المجتمع الياباني بشكل مزعج ، والذي لا نعرف له آثاراً في عالمنا العربي ألا وهو الموت من الإرهاق أو الموت من العمل الجاد أو العمل الشاق .

لا شك أن ظاهرة الإدمان على العمل المنتشرة في اليابان والتي بدأت تنتشر في بعض البلدان المسماة (الحوض الباسيفيكي) تُعدُّ سلوكاً مقبولا والتي تمثل نمطاً سلوكياً في الارتباط بالعمل إلى درجة كبيرة . إن هذا الإدمان أو الارتباط الكبير بالعمل لا شك يؤثر في توازن الشخصية ويعتبر نمطاً سلوكياً غير سوي . وهناك سبب آخر لهذا الشغف أو الانفعال المتحمس وغير الطبيعي للعمل ألا وهو الخاصية الاجتماعية اليابانية في قابلية التحرك المجتمعي السريع ، أي اتسام المجتمع الياباني بامتزاج الفئات الاجتماعية وسرعة التحرك من فئة إلى أخرى نتيجة العمل الجاد . إنه من غير المستغرب أبداً في اليابان أن يقول العامل بأنه يشعر بالدفء والرابطة الأقرب لزميله العامل معه في الشركة أكثر من رابطة القربى من أهله ومجتمعه العائلي . لقد قرأت منذ فترة تعليقاً على مقابلة أجريت مع رئيس مجلس إدارة شركة سوني المعروفة عالمياً عندما قال ما معناه بأنه يشعر بقرب ورابطة أقوى

مع أصغر عامل في شركة سوني من علاقته مع زملائه وأقرانه بالشركات اليابانية الكبرى المتعددة الجنسية. وعندما سأله عن السبب لهذا الشعور بالرابطة الأقوى مع عامل سوني، أجابهم بأنه (لأن من هؤلاء العمال في سوني سيكون رئيس مجلس الإدارة اللاحق والذي سيخلفني وليس غيره). إن هذا الشعور الجياش نحو إدمان وعشق العمل وزملاء العمل لا يماثل أي شعور في أي بقعة من العالم.

ونظراً للاهتمام بآثار إدمان العمل كظاهرة اجتماعية خطيرة بتأثيرها في الحياة العامة للثروة البشرية، فقد قامت وزارة الصحة بإجراء دراسة اجتماعية أظهرت آثاراً سلبية على وقع الحياة الطبيعية. وترى وزارة الصحة أن التضحية بهذه الثروة البشرية التي حققت المكانة الدولية لليابان بسبب قدرتها الإنتاجية قد تتأثر مستقبلاً بسبب انتماء العامل إلى شركته أكثر من انتمائه إلى أسرته. وكتيجة للدراسة والهدف في الحفاظ على الثروة البشرية، قامت وزارة الصحة بإقامة مصحات وعيادات طبية نفسية وصلت إلى (٥٠٠) عيادة منتشرة في البلاد لعلاج حالات الإدمان على العمل. وعلى النقيض، قامت الهيئات النقابية المتخصصة في كل صناعة برفض ما وصلت إليه هذه الدراسة، وابتدأت الحوار الجاد بأن هذا ما تسميه الدراسة إدماناً ليس إلا عشق العمل الذي أوصل البلاد إلى هذه المكانة الدولية. وترى النقابات كذلك أن التوجه العام لعشق العمل ينعكس فيما قرره جميع العمال بالإجماع عندما قررت الحكومة تعطيل العمل ليوم إضافي في الأسبوع مع أجر مضاعف في حالة العمل الإضافي لهذه العطلة الإضافية إن قرر العمال بالإجماع مواصلة العمل بيوم العطلة المقترح مع التنازل الكامل عن أجر هذا اليوم ورضوخ الحكومة للمطالب العمالية بالاستمرار بالعمل. وبقي هذا الموضوع ما بين نتائج دراسات وزارة الصحة التي تسمى هذه الحالة بالخطر (إدمان العمل)، وبين النقابات التي تسميه (عشق العمل)، قراراً سيخذه مجلس الدايمو

(النواب والشيوخ) للفصل في الخلاف ما بين وزارة الصحة والنقابات ما يعكس العمل الجاد الذي نحن بصددده.

وقد نتج من هذا العمل الجاد أن أصبح لدى الفرد الياباني موجودات تعادل ثلاثة أضعاف موجودات الأمريكي. ويتحقق لهم توظيف كامل ونسبة عطالة ضئيلة بلغت عام ١٩٩٤ بنسبة ٣٪ مع تضخم بنسبة ١٨٪. يرافقه نسبة إدخار بالمتوسط العام بنسبة ١٤٪. ويرى السيد (Taichi Sakaiya) مؤلف كتاب (What is Japan?) أن الياباني يستطيع التوقف عن العمل والحصول على إجازة مدتها تسع سنوات بما لديه من مدخرات وموجودات. ومما يعكس العمل الجاد كذلك ما صرفته الشركات اليابانية على موظفيها لأغراض الترفيه والسفر للخارج الذي بلغ (٤٠) بليون دولار لعام ١٩٩٣ مقارنة بمبلغ (٣٠) بليون دولار تم توزيعها على المساهمين.

المراجع:

- Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 32-47, 133-135, 236-237, 273-283.
- Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 199-200.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٧٠-٧٤، ١٥٤-١٥٥، ١٧٠-١٧٢.

المسلك والموقف

في اللغة والحضارة اليابانية يتم استخدام تعبيرين متناقضين هما (توتيمو) و (هون). توتيمو تعني مبدأ وقاعدة وعنصر عاطفي أو الموقف، بينما هون تعني المقصد الحقيقي والباعث الأساسي أو المشاعر الحقيقية أو المسلك. يستخدم اليابانيون تاتمو وهون في وسائل اتصالهم الشفهي والكتابي، حيث إنه يسمح للشخص بالتعبير عن (هون) مقصده الحقيقي وباعثه الأساسي ومشاعره الحقيقية، أي مسلكه، بشكل غير رسمي وفي حالات نمو العلاقات بين شخصين وارتفاع الحواجز بينهم ويتم استخدامها على أنها طريقة للتنفيس. وفي العلاقات الرسمية يتم استخدام وسيلة الاتصال (توتيمو) التي تعبر عن المبدأ والقاعدة أو الموقف الذي يمثل رأي الشركة أو المجموعة أو رأي الجهة البيروقراطية مثلاً وليس بالفعل رأي الشخص نفسه. ويتعامل اليابانيون في أنماط وسائل الاتصال بينهم ومع الأجانب باستخدام هذه الأفكار والمشاعر المتناقضة، أي أنه لدى الشخص مبدئين متناقضين في عقله وفي الوقت نفسه ويتعامل مع كليهما أي أن المسلك يتعامل مع نقيضه الموقف بشكل معتاد وبصفته جزءاً تم حفره في عقول اليابانيين وكنزاً من الحضارة والتقاليد اليابانية. إن استخدام (توتيمو) و (هون) معا يُعدُّ جزءاً من الممارسة في الحياة اليومية وقبولاً لهذا الفكر المتناقض.

هذه المقدمة أساسية لتوضيح الاختلافات في أنماط وسائل الاتصال، حيث إن الانطباع الوارد والمعروف بخصوصية وسائل الاتصال اليابانية، حيث إن استخدام (نعم) و (لا) غير واضح. ليس فقط أن اليابانيين لا يقولوا (لا) ولكنهم يرتبون أهمية قوية على عدم استثارة جواب (لا) من الآخرين. والأسباب لمثل هذا النوع من التعامل يبدأ في ضعف الجدلية لدى اليابانيين كحضارة وتقاليد، أي إن

اليابانيين ليس لديهم الشجاعة للخوض في مجادلات ولهذا السبب لا يقول الياباني كلمة (لا) في حديثه أو اتصاله والسبب الآخر لاستخدام تاقمو بأن اليابانيين يأخذون كلمة (لا) عند سماعها بطريقة شخصية جارحة لكبريائهم. وحيث إن الشركات والبيروقراطية اليابانية تعول بأهمية قصوى على فكرة التناغم، فإن هؤلاء الذين ينتمون إلى المجموعة يعتبرون أي نقاش أو مجادلة على أنه عنصر ممزق. وسبب ثالث لاستخدام توتيمو و هون أو الموقف والمسلك وبعدم إيضاح المقصد الحقيقي بقول (لا) أو (نعم) بشكل واضح هو لتجنب الاستفزاز الناتج عن علاقات مؤدية إلى مزيد من المجادلات والمناقشات وهو ما يعني عندهم تبادل العداء. ويرى العالم النفسي الياباني ماياموتو أن ترك الحواجز بين الناس سيمنع تبادل العداء من الظهور ويسمى الانعكاس والتناغم الذي يدعم الحس بالاتكالية المتبادلة. ومن وجهة نظر نفسية، فإن استخدام توتيمو وهون مع البعض يعني العجز عن التعامل مع دوافع المرء والتصرف بدون عواطف. إن اليابانيين يرون أن ارتداء القناع بحضارتهم وتقاليدهم هو علامة مميزة للنضج والذي هو بالفعل القدرة على التكيف.

يتربى الإنسان الياباني على صفات قاسية منذ صغره، فالألم لا يمكن أن تعنف ابنها إذا بكى من الجوع والألم، لأنها تعنفه بقولها له: ماذا لو بقيت جائعاً لمدة يوم أو قطعت رجلك في حادث أو إذا أجبرت على الانتحار. ومن سلوكياتهم المأخوذة عن الساموراي الذين كانوا يتركون أبناءهم في الوديان ويعرضونهم للأخطار والمهالك، ويحرمونهم من الطعام، ويتركوهم في البرد القارس، كما يمارس الآباء عادة إرسال أبنائهم لرؤية أحكام الإعدام وعمليات الانتحار. وسلوكهم نابع من فلسفة اليوشيدو المسماة كذلك (أخلاق الفروسية) والتي تم اشتقاقها من فلسفة كونفوشيوس التي يتعلمها الياباني منذ صغره، لأنها

تُعدُّ من المكونات التقليدية للثقافة اليابانية . وقد عبر عنها الدكتور نصر أبو زيد في كتابه (اليوشيدو - إلهام المجهول) الذي ركز فيه على الجوانب السلوكية في المحافظة على فضيلة ضبط النفس والتحمل دون شكوى . وتنادي هذه الفلسفة بعدم إظهار العواطف وتوصف الشخصية القوية بتلك التي لا يبدو على وجه صاحبها بواذر الفرح أو الغضب . فعاطفة الأب لا يمكن إظهارها لابنه أو زوجته ؛ لأن اليوشيدو تُعدُّ مثل هذه الوسيلة في إظهار العواطف نوعاً من إهدار الكرامة . وفي الوداع أو الاستقبال يلتقون بالانحناء دون الأحضان والقبلات والدموع . وعبارة (هوهنزوليرن) معناها تعلم كيف تخفي مشاعرك وعواطفك ، لأن ضبط النفس وإخفاء المشاعر وصعوبة إعلان العواطف هي أحد أسرار الإدارة والقدرة اليابانية في إخفاء الأفكار .

إذن ، الصراحة ليست من الأعراف اليابانية ويحتاج عرض أي موضوع إلى كياسة وإيهام وغموض وتلمص . فقد أوضحنا أنه من غير المفترض قول (لا) لأنها إثم وبدلاً منها يجب استخدام عبارات لطيفة بما يعني (لا) ويقولون أن هناك (١٦) طريقة لدى الياباني لقول (لا) لا مجال لها الآن ، وكذلك فإن قول (نعم) لا تعني الإيجاب . ولهذا فإن الياباني قد تدرب على هذا التفكير المتناقض وبدلاً من حل التناقض لصالح موقف شخص أو آخر تعلموا على القبول بكليهما أي توتيمو وهون أي الموقف والمسلك ، ولهذا كله يتم التركيز في الأعراف والعادات والتقاليد اليابانية على الانسجام مع المجموعة والتناغم والتوحد والاستجابة والالتكالية المتبادلة للجماعية لتخفيف حدة التوتر مع هذا التفكير المتناقض .

// ما أود أن أصل إليه أن الانسجام مع رأي المجموعة والاستجابة لما تمليه القيادة العليا والالتكالية المتبادلة باستخدام تاتمو أي الموقف أو المبدأ أو القاعدة بدلاً من استخدام (هون) بالمقصد أو المشاعر أو الباعث الحقيقي الفردي هو ما أود أن

أؤكد عليه في خصائص الإدارة اليابانية . الموظف أو المدير الياباني لا يمكن أبداً أن يفتح بوقه بكثير من لفت النظر لتسويق أو إظهار أعماله أو نتائجها . التنفيذيون اليابانيون يجلسون بصمت رهيب في الاجتماعات ولا يتدخلون ويتركون كل شيء لرئيسهم وكل الاعتقاد السائد الخاطئ أنهم غير معنيين في صناعة القرار أو اتخاذه مع العلم بأنهم هم الذين يصنعون القرار لرئيسهم . والمسلك الياباني نتيجة الانسجام والانعكاس لما تريده المجموعة يؤدي إلى أن الأعراف قد تجذرت في الصبر والانتظار الطويل . إن القدرة على الانتظار الطويل ، أي الصبر ، تُعدُّ أحد المتطلبات الأساسية للوظائف القيادية ، وهذا الانتظار مقصود منه إعطاء الفرصة لاستيعاب وملاحظة القيمة الحقيقية وتقدير الأشخاص مع الوقت لإظهار سلوكهم الحقيقي مع مزيد من الوقت .

ودون الدخول في موضوع الإجماع في صناعة القرار ، فإن خصائص الإدارة اليابانية في العلاقات غير الرسمية مثل الغداء أو العشاء أو لعب الجولف أو الغناء في النوادي الليلية ، هي تؤكد تصرف الفرد بطريقة تعكس موقف رئيسه ، أي إن الانعكاس يعني أن كل واحد سينظر وسيفكر وسيعمل بالطريقة نفسها . والمشكلة أن مثل هذا الانسجام لا يسمح بتطور الشخصية والاستقلالية . إن إمكانية تطوير المقدرة على التحكم بدافع الشخص أمر ضعيف ، والقصور على تطوير الاستقلالية سيؤدي إلى صعوبة في التعبير (بنعم) أو (لا) بوضوح . إن هذا القمع لتطوير الشخصية يؤدي إلى المحافظة على الوضع القائم والذي يُعدُّ ذا أهمية عليا في اليابان مع صعوبة في التعامل مع التغيير .

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 184-209, 212-219.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٧٨-٨٣.

الحياة الوظيفية

بعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية والاحتلال الأمريكي، قدمت أمريكا سياسات وإجراءات لوقف البطالة المتفشية بعد الحرب منعاً للجوع والفاقة ومحاولة أساسية لبناء الاستقرار الأمني والاجتماعي إلى جانب إجراءات عديدة أخرى ليست مرتبطة في هذا الموضوع. كان أهم ما طبقه الأمريكيون فكرة الوظيفة الدائمة التي لم تكن ممارسة في أمريكا للأسباب الجوهرية في القضاء على البطالة المتفشية. إلا أن اليابانيين حولوا هذا الإجراء إلى فكرة وفلسفة وسنة حياة، إذ يشكل فئة الموظفين الدائمين بشكل عام ٣٥٪ من القوى العاملة. هذه المجموعة ذات الخطوة والتي تم اختيارها بعد سنوات من العمل الجاد كموظف مؤقت إلى موظف دائم. تنغرس فيهم خاصية الولاء والانتماء والإخلاص. وتصبح هذه المجموعة ذات الخطوة هي التي تعمل للحصول على أعلى إمكانية إنتاجية من الموظفين المؤقتين. والحافز هنا لكل موظف جديد بالوظيفة المؤقتة أن يعمل بكل جد واجتهاد حتى يصل إلى مرحلة الموظف الدائم التي تعطيه الأمان والاستقرار بأنه لا يمكن فصله إلا لأسباب جوهرية في الإخفاق الأدائي الواضح أو انهيار الأعمال مرة واحدة.

يتم التوظيف مرة واحدة في السنة في شهر أبريل بعد التخرج في الجامعات، وتقوم به إدارة شؤون الموظفين والتي تُعدُّ أهم إدارة بأي شركة في اليابان، إذ إنها هي التي تقوم بالتعيين والنقل والترقية وحل الخلافات وإنهاء الصراعات الداخلية والتقاعد. فهي الإدارة الوحيدة التي تتولى أمور الموظفين إذ إنه لا يوجد مدير ياباني قادر على إنهاء خدمات أي موظف أو حتى نقله من إدارته إلى أي إدارة أخرى. وأكثر ما يستطيع أي مدير أن يتخذه من إجراء هو الطلب إلى إدارة شؤون الموظفين بنقل الموظف فيما إذا اعتمدت ذلك. يستطيع العامل أو

الموظف أن يرسم خطة سيره الوظيفي ابتداءً بالوظيفة المؤقتة ومن ثم الوظيفة الدائمة حتى التقاعد منطلقاً من فلسفة شؤون الموظفين التي تعتمد على الوظيفة الدائمة أو الأمان الوظيفي المتحقق للخريج منذ تعيينه في أبريل وحتى تقاعده. في دول العالم الأخرى، يحدد الموظف حياته الوظيفية بالانتقال من شركة إلى أخرى طوال حياته الوظيفية وضمن اختصاص واحد. في اليابان، يحدد الموظف حياته في شركة واحدة فقط وضمن عدد من الاختصاصات والأنشطة.

بعد التعيين في الوظيفة المؤقتة ولمدة تصل إلى سنوات يستمر الموظف في الحصول على علاوات متساوية وترقيات محددة مرتبطة ببرنامج التدريب والتطوير المستمر. وبعد مرور عشر سنوات تتوقف العلاوات والترقية ويدخل سجل الموظف إلى مراحل التقييم الرسمي للصعود للوظائف الإشرافية بعد انتقاله إلى الوظيفة الدائمة. ويكون خلال عشر سنوات قد تقلب في أنشطة واختصاصات عديدة ضمن الشركة الواحدة وليس اختصاص واحد. هذه هي الخاصية المميزة للإدارة اليابانية التي لا تُعدُّ مجرد سياسة بل سنة الحياة الوظيفية والقاعدة التي تقوم عليها الحياة اليابانية. في هذه المرحلة، يبتدئ البطء في التقييم الرسمي؛ لأن الوظيفة الدائمة مرتبطة بنظرة طويلة الأمد، ويشعر الموظف بالأمان الدائم ويتحقق له الاستقرار النفسي ينغرس لديه الشعور بالثقة والإخلاص وتنمي لديه السلوك المؤدي إلى ارتقاء الإنسان، وتجعل ميوله أكثر انفتاحاً للتعاون وصدق التعامل لصالح شركته. فالدوران الوظيفي يُعدُّ منعماً لأن الشركة تطور موظفيها وتنمي شعورهم بالالتزام، وبذلك يكون التطوير الوظيفي استثماراً ذا مردود طويل الأمد، وبذلك تحقق لليابان خاصية في الإقلال مما يسمى بسعر الاجتذاب ولا خوف على الشركة اليابانية من استقالة الموظف بعد تدريبه وتطويره والاستثمار الرأسمالي به في أن ينتقل إلى شركة أخرى وعلى أثره يصبح سعر الاجتذاب صفر في النهاية.

١٨ عند التحاق الموظف الياباني بالعمل بعد تخرجه من الجامعة أو من المعهد، يتم إلحاقه ببرنامج تدريبي إداري في التعرف على ثقافة الشركة والعاملين في جميع الإدارات والدوائر والأقسام والشعب والوحدات. ويستدئ برنامجه التدريبي في العمل على أنه في جميع الأنشطة لفترة قد تصل إلى شهر واحد في كل إدارة. وبانتهاء الفترة التدريبية ينتقل للعمل في إدارة المعلومات، وبعد فترة من الضروري عمله في إدارة شؤون الموظفين التي تُعدُّ أهم إدارة في اليابان. ويستمر في التنقل إلى أن يكون قد حصل على معرفة تفصيلية بكل أنشطة الشركة، وبهذا يصبح متعدد الخبرات، ويتمكن خلال هذه المعرفة من التنسيق مع جميع الإدارات كونه عضواً في مجموعات العمل أولاً ولكونه قد سبق وأن عمل بهذه الإدارات. إن لهذه التعددية في المعرفة والمهارات أثراً في تحقيق الشمولية والاتساع وفعالية في التنسيق. فالإدارة التي طلب منها المساعدة سبق له وأن عمل بها وساعد فيها والعكس كذلك.

إن تكريس الحياة الوظيفية بهذه التعددية والانتقال إلى عدد كبير من الأنشطة الوظيفية يؤدي إلى تركيز جهودهم المؤسسية لقدرتهم على خدمة الشركة من خلال المعرفة التي اكتسبوها من هذه التعددية في التنقل الوظيفي. كما أن الانتقال يؤدي إلى تحقيق الرضا الوظيفي والحيوية والنشاط والإنتاجية. وفوق ذلك يستطيع من خلال هذه التعددية ومعرفته بالناس والمشكلات الخاصة بالنشاط أن يقدم الخدمة للاختصاصات الأخرى في الشركة لكونه خبيراً بها. في الغرب تتمثل الحياة الوظيفية بتعددية ودوران وظيفي بين عدد كبير من الشركات في تخصص واحد. أما في اليابان فتتوزع حياة الموظف على عدة اختصاصات ضمن شركة واحدة. تُعدُّ الرواتب والأجور في اليابان عاملاً محورياً إذ تشكل كما هو معروف

عالمياً أكبر حصة من تكاليف الإنتاج والتسويق. ويُعدُّ الأجر الشهري الثابت ممثلاً لما لا يقل عن ٧٥٪ من دخله، إذ إن البدلات الخاصة بالنقل والسكن والوجبات لا تمثل التزاماً رسمياً على الشركة، بل تعتمد على موقف الشركة المالي والحالة الاقتصادية العامة من ركود وانتعاش. كما أن بدل العمل الإضافي عن ساعات العمل الإضافي لا يُعدُّ حقاً للموظف إذ إن معظم الشركات تدفع تعويضاً عن جزء من ساعات العمل الإضافي وليس تعويضاً عن كل ساعات العمل الفعلية الإضافية. وكذلك يزداد دخل الموظف السنوي بمقدار المكافأة السنوية والتي تتراوح ما بين صفر وراتب ستة أشهر معتمدة على الأرباح الفعلية للشركة.

ولذلك فإن قدرة اليابان التنافسية تتمثل في ضالة التكاليف الثابتة في الرواتب والأجور الرئيسية وقلة التكاليف المتغيرة مثل البدلات الأخرى والحوافز، لأن الحوافز النقدية لا دور لها في المجتمع، على الرغم من ارتفاع متوسط الدخل السنوي للفرد الياباني مقارنة بنظيره في أوروبا وأمريكا. إن هذه الفلسفة الخاصة بالأجور الثابتة التي تُعدُّ تكلفة ثابتة ترسخ أفكاراً إيجابية في عقل وتوجهات العامل أو الموظف الياباني تتمثل في إيمانه بأن الراتب الشهري غير كافٍ لجلب الدخل الذي يطمح إليه للادخار لمستقبله ما دام الأجر الشهري لا يكاد يغطي نفقاته المعيشية، بل في إنتاجية الشركة وارتفاع أرباحها حتى يحصل على المكافأة السنوية والتي تمثل ثلث دخله السنوي والتي يعدها ادخاراً للمستقبل. ولهذا كله يتحقق للشركات اليابانية المنافسة بسعي الموظف والعامل لزيادة أرباح الشركة وإنتاجيتها وضغط نفقاتها الثابتة والمتغيرة.

ومن منطلق الوظيفة المؤقتة انتقالاتاً إلى مرحلة الوظيفة الدائمة مروراً بالتدريب والتطوير وزيادة السنوية في الأجر للجميع، مع الترقية من داخل الشركة إذ لا يمكن أن يتم التعيين لوظيفة متقدمة من شركة أخرى لبقاء الموظف في

شركته نفسها منذ تعيينه حتى تقاعده. فالتدريب ينطوي على تكاليف باهظة بصفته منطلقاً أساسياً ، وتلتزم الشركة اليابانية بتدريب موظفيها بما يسمى (التدريب الدائم) إلى أبعد الحدود، لأن الموظف مرتبط بالشركة بالوظيفة الدائمة. وعلى العكس يتردد أصحاب العمل والمديرون في الغرب من الاستثمار في التدريب؛ لأن الموظف الذي حصل على التدريب يمكنه الانتقال إلى شركة أخرى مما يؤدي إلى خسارة الشركة في تكاليف التدريب. ولهذا تتجه الشركات إلى تعيين الموظفين ذوي المهارة والخبرة للتقليل من التكاليف التدريبية في الغرب وغيره من دول العالم.

هذا التسلسل في العلاقة الوثيقة يقودنا إلى موضوع التقاعد الذي يختلف عن معظم دول العالم إذ إن الشركات في اليابان ليس لها نظام تقاعدي يتلقى الموظف راتباً تقاعدياً عند انتهاء خدماته. فعند بلوغ الموظف السن القانوني لإنهاء الخدمة وهو (٥٥) سنة، تدفع له الشركة مكافأة مقطوعة قد تصل إلى راتب ست سنوات أو أكثر. وبعد ذلك تقوم الشركة بإرسال الموظف المتقاعد إلى شركة صغيرة من الشركات التي تورد لها أو شركة تابعة وتطلب تعيينه بوظيفة دوام جزئي لمدة عشر سنوات حتى يصل إلى الخامسة والستين. فمع ما يحصل عليه من مكافأة التقاعد وما يتقاضاه من الوظيفة الجزئية يصبح في وضع يمكنه من العيش بحياة مطمئنة رغم أنه ترك وظيفته الرئيسية ليتيح الفرصة لمن هم أصغر منه سناً لينالوا حظهم من العمل. هذه القيمة الاجتماعية اليابانية في ضرورة إتاحة الفرصة لمن هم أصغر سناً لا تجدها في أي بلد من بلدان العالم حيث إن من بلغ سن التقاعد يحاول بكل الوسائل الاستمرار في وظيفته حتى لا يفتح مجالاً للجيل الجديد في الحصول على وظيفته.

الحياة الوظيفية للياباني مرسومة ومبرمجة ومعروفة، وكأن المتخرج منذ تعيينه

في أبريل يستطيع أن يحدد ملامح حياته الوظيفية حتى تقاعده وانتقاله للوظيفة الجزئية مع إحدى الشركات التابعة. الأجور الثابتة التي أصبحت من عناصر المنافسة والتميز للسلعة اليابانية مع البدلات التي لا تُعدُّ حقاً ثابتاً للموظف انتهاء بالتقاعد، وبدون راتب تقاعدي حسب الأعراف العالمية، بل بمكافأة مقطوعة تجعل خصائص الإدارة اليابانية منظومة متكاملة ومرتبطة بخصائص عديدة أخرى أهمها سعيهم للمصلحة العامة بدلاً من المصلحة الخاصة.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٥٤-١٥٥، ١٧١-١٧٢.

د. إبراهيم عبدالله المنيف، إستراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي، الرياض، دار العلوم، ١٩٩٢، ص ٧٤-٩٠.

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985.

الوظيفة الدائمة

لا بد من إيضاح السمات والخصائص المميزة للإدارة اليابانية مقارنة بالإدارة الأمريكية أو الأوروبية في المنهج والنهج. أي أننا نريد أن نوضح الأسس التي يبنى عليها منهج الإدارة اليابانية ولا توجد في غيرها من مناهج الإدارة الأمريكية مثلاً أو الغربية أو العربية. وبما أن الإنسان العامل يعدُّ أحد عناصر المقارنة لإيضاح التميز أو عدمه، فإنه من الضروري أن نحدد الآليات التي جعلت اليابان منافساً للصناعات الغربية من حيث التكلفة والجودة، أي ما هو دور العامل الياباني أو أسلوب عمله وسماته في الاقتصاد الياباني.

كما نعلم، يتمتع الاقتصاد الياباني بالنمو المضطرد منذ أربعين عاماً متواصلة مع احتفاظه بمستوى يقرب لمستوى التوظيف الكامل للعمالة. فمن النادر حتى في حالات الانكماش الكامل للاقتصاد نتيجة هزات غربية مفتعلة ومعروفة أن تصل البطالة في اليابان إلى مستوى يزيد عن ٣٪، أي أنه مع كل الأزمات الاقتصادية وارتفاع أسعار صرف الين لم تصل مطلقاً البطالة إلى معدل يزيد عن ٨٫٢٪ عام ١٩٨٦. وإذا أخذنا في الاعتبار المعدلات الفعلية للبطالة وتفاوتها لأسباب متعلقة بالعمالة غير النظامية التي سنأتي لبعض تفاصيلها لاحقاً، فإنه يمكن القول دون تجن على الحقيقة أن معدل البطالة الفعلي لا يزيد عن ١٥٫١٪ وهذا معدل مقبول جداً عالمياً، ويعطي دلالة على صحة الاقتصاد الياباني ونموه ومنافسته للمنتجات والصناعات الغربية من حيث التكلفة والجودة بسبب انعدام البطالة أولاً وقلة تكلفة العمالة الثابتة ثانياً.

المنتجات اليابانية منافسة لغيرها؛ لأن الإدارة اليابانية تستخدم وسائل وآليات تقلل دائماً التكلفة الثابتة للعمالة، وذلك في التوظيف المؤقت غير النظامي للعاملين المؤقتين، والذين ليس لهم تكلفة دائمة وثابتة على الشركة، والذين يتم

تعيينهم عند الحاجة وإنهاء العلاقة مع هذه الفئة اعتماداً على المواسم والنشاط والحالة التجارية للشركة ودون أن تطالب هذه الفئة بتعويضات ودون تكاليف ثابتة مثل المكافأة التقاعدية أو التأمين العام أو التأمين الصحي أو مكافأة نهاية الخدمة. وهذا الأسلوب في تقليل التكلفة الثابتة يتعارض مع ما يردده الكثيرون من أن نظام وأسلوب ومميزات الإدارة اليابانية بوجود الوظيفة الدائمة. وبما أننا أوضحنا أن سمات وخصائص الإدارة اليابانية في الاقتراب من مستوى التوظيف الكامل (Full Employment) مع المعدل المنخفض للبطالة سببه الرئيسي تقليل التكلفة الثابتة، وذلك بتعيين عدد قليل من الموظفين الدائمين مع عدد كبير من الموظفين المؤقتين.

الوظيفة الدائمة المعروفة في منهج الإدارة اليابانية، والتي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة وبعد هزيمة اليابان الساحقة واحتلالها واستعمارها من أمريكا، ليست نظاماً من البيئة والحضارة اليابانية بل اعتمدته الإدارة الأمريكية في البداية للقضاء على الاحتكارات، ووضع حد للجوع والفاقة والكساد الذي تلى الحرب العالمية الثانية، أي أنها نظام دخيل ومفروض على اليابان أثبت جدارته على مدى الأيام، كان القصد منه التوظيف بعد الحرب وإيقاف التزيف في إجراءات الفصل وإنهاء الخدمة وصولاً إلى إمكانية إيقاف البطالة التي نتجت كأثر للهزيمة في الحرب العالمية الثانية. ما حدث بعد الحرب أن طوع اليابانيون الوظيفة الدائمة كوسيلة مؤدية للتميز في إعطاء كل من تختاره الإدارة اليابانية في تحويله من موظف مؤقت وليس له تكاليف ثابتة إلى موظف دائم.

الوظيفة الدائمة كإستراتيجية تُعدُّ مصدراً لحماية الاستقرار الوظيفي بكل ما تعنيه هذه الكلمة. وتعتمد الشركات اليابانية على مبدأ البداية بالوظيفة المؤقتة لفئة معينة من العاملين بالإضافة للنساء اللاتي يعملن لفترة محددة بوظائف مؤقتة يتوقفن بعدها لسبب الزواج والإنجاب، ومن ثمَّ تعود للعمل بعد دخول الأبناء

للمدارس بوظيفة مؤقتة، كذلك يتم الاستغناء عنهم في فترات الكساد الاقتصادي (مع الأخذ بالاعتبار المرونة في جدولة ساعات العمل للنساء للجمع ما بين رعاية الأبناء والمنزل والعمل). ولذلك يُعدُّ توظيف النساء في اليابان وقاءً لحماية الاستقرار الوظيفي للرجال بالوظيفة التي تؤدي على مدار السنوات لاحقاً إلى الوظيفة الدائمة.

العلاقة الأبوية الشمولية للعامل أو الموظف الياباني تتمحور حول الوظيفة الدائمة بشكل يؤكد جو العمل الرسمي والسلطوي إلى حد ما. فلا يمكن للموظف أن يخالف رؤساؤه بالتذمر والمواجهة لأنه سيقضي جل حياته في الشركة، لأن الخلاف والرفض لا مكان لهما في جو العمل بناء على قاعدة الوظيفة الدائمة مما يؤدي إلى الاحتواء الشامل. إلا أن التنفيس عن هذه الخلافات ما بين الرئيس والمرؤوس قد تتم لاحقاً في الحفلات أو بعد انتهاء ساعات الدوام خلال تناول المرطبات أو العشاء قبل توجه الجميع إلى منازلهم مساءً. فالفرد الذي يعرف أنه سيعمل مع هذه المجموعة طوال حياته ومع هذه المجموعة في اللجان المختلفة التي لا تقل عن خمس لجان ليس أمامه إلا أن يكون علاقة حميمة مشتركة معهم. تصبح القيم والمعتقدات موحدة ومقبولة ولا مجال للمكر والخديعة بل مشاعر الألفة والثقة والتفاهم.

وعندما تختار الإدارة بالانتقاء أفضل العاملين ليصبحوا عمالاً نظاميين ونقلهم إلى مرحلة الوظيفة الدائمة فإن الشركة تكون قد زرعت في هذه المجموعة الصغيرة الشعور العميق بالولاء للشركة التي يعملون بها. إن عملية الاختيار هذه تجعل هذه الفئة ذات حظوة أولاً وتجعل لهم نظاماً للوظيفة الدائمة بمزاياها العديدة وفي تطويرهم وتنمية مهاراتهم ثانياً. وأكثر ما تتميز به الإدارة اليابانية أنها بعد أن تختار من العمالة غير النظامية والتي ليس لها تكلفة ثابتة (مزايا مالية، ومزايا

عينية، وتأمين صحي، وتأمين حياة، و مكافآت سنوية) وتحويلها إلى عمالة نظامية يتم اعتماد تسميتها بالوظيفة الدائمة تجعل هذه الفئة مسؤولة عن إدارة وإنتاجية العمالة غير النظامية . إنها وسيلة تثبت فيها هذه الفئة المختارة للإدارة اليابانية العليا قدرتها على إدارة العاملين المؤقتين والضغط عليهم للإنتاجية والكفاءة المتناهية. كما أن الإدارة اليابانية تعطي هذه المجموعة الخطوة في استقطاب العاملين الصالحين مستقبلاً للتعيين الدائم مع الشركة وانضمامهم للمجموعة نفسها في الوظيفة الدائمة .

لقد استغل اليابانيون آليات الهزيمة بما قدمه لهم الغرب بعد الحرب العالمية الثانية في الإقلال من البطالة خلال مرحلة إعادة هيكليّة الاقتصاد بابتكار مفهوم الوظيفة الدائمة الذي أوضحه السيد أكيون مورتيا (Akion Morita) رئيس شركة سوني بكتابه بعنوان (مصنوع في اليابان - Made in Japan)، بأنه مفروض من خبراء الجنرال مكارثر خلال فترة الاحتلال الأمريكي على أنه وسيلة للقضاء على البطالة المتفشية بعد الحرب وحل الاحتكارات وتغيير نشاط الشركات من الصناعة الحربية إلى الصناعة التنموية. ونتج عن هذا الابتكار أن قامت الشركات باستخدام هذا الحافز الجديد لدفع العمال للإنتاج بشعور العاملين للاستقرار الوظيفي. إلا أنهم ابتكروا كذلك طريقة السلم أو التدرج وصولاً للوظيفة الدائمة بأن يلتحق العامل أو الموظف بالعمل براتب متدني ودون حوافز إضافية لحد الكفاية لسنوات عديدة تمكنت من خلالها الشركات تحقيق تكاليف ثابتة متدنية وصولاً إلى منافسة الصناعات الغربية محلياً وتصديراً . وبعد مرور عشر سنوات على هذه العمالة المؤقتة ذات التكاليف الثابتة المتدنية تنتقل إلى مرحلة الوظيفة الدائمة بمزاياها وحوافزها السنوية الإضافية. وقد أثبتت هذه الإستراتيجية جدواها على المدى الطويل في استثمار الطاقة البشرية. ويقول بيتر دركر عالم الإدارة الأمريكي:

المعروف أن خاصية التكاليف الثابتة للعمالة المؤقتة والمنتجة أكثر من العمالة التي وصلت إلى مرحلة الوظيفة الدائمة أسهمت في تكوين القدرة العالية التنافسية للصناعات اليابانية.

إن اتجاه الإدارة اليابانية الصناعي في تقليل التكاليف الثابتة هي التي ساعدت فيما وصلت إليه اليابان من منافسة في بيع منتجاتها ذات القيمة المقارنة في الأسواق العالمية. هذا الاتجاه، والاتجاهات الأخرى، أصبحت قنوات تحتشد فيها القدرة على تحقيق الإدارة من منظار التقييم الذاتي؛ لأن القدرة الذاتية هي الوسيلة المحققة للإدارة.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 241-245

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Publishers, 1995. pp. 135-136

Sakaiya, taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 39-42

Komiya, R., Okuno, M., Suzumura K. (editors) Industrial Policy of Japan. Tokyo, Academic Press Inc. 1988. pp. 436-439

تقييم الأداء

مرة أخرى نعود للجغرافيا في ندرة الثروات الطبيعية وللتاريخ في اقتصاد الحرب والحروب الاقتصادية والانفعال أو الانغماس الياباني في قضيته الأزلية في تحقيق ما يسمى (البقاء). إن هذه العناصر التاريخية والجغرافية جميعها أدت إلى شغفهم في تحقيق سياسة مرتبطة بالبقاء وهي تأمين الوظيفة الدائمة أو ما يسمونه (الوظيفة مدى الحياة). والسؤال الذي يطرح نفسه أمام هذه الوسيلة بالوظيفة مدى الحياة هو كيفية إيجاد معايير لتقييم الأداء المؤدي إلى الترقية للوظائف العليا؟ أي أنه إذا كانت الوظيفة مدى الحياة فإن معايير الترقية مرتبطة بمدة الخدمة والأقدمية وليس الكفاءة والمقدرة، وإذا كانت الوظيفة كذلك مدى الحياة فإن العقاب للمتكاسل لا يكون فيه أسلوب الفصل من العمل.

على مدى عشر سنوات متتالية في العمل المتواصل بالوظيفة الدائمة لخريج الجامعة مثلاً ، يتلقى كبقية زملائه العلاوة نفسها في الراتب وكذلك المكافآت دون أي ترقية. وتجري أول عملية تقييم رسمي للموظف بعد عشر سنوات. هذه السياسة اليابانية منطلقها عدم إسناد الوظائف العليا في مراحل مبكرة حتى للقادرين والطموحين إلا بعد إثبات قدرتهم على تحمل المسؤوليات دون حصولهم على اللقب الرسمي للوظيفة العليا. هذه السياسة في تحمل ضغط العمل والمسؤوليات دون تعويض وترقية تترك في النفوس آثاراً سلبية تم معالجتها في عضوية مجموعات العمل التي تترك آثاراً إيجابية على المواقف والدوافع والسلوك. فكل موظف في الشركة يلتحق بحكم الإجراء في عضوية ثمان إلى اثنتي عشرة مجموعة عمل. ويشعر أعضاء المجموعة بوشائج القربى بينهم وتعدُّ جزءاً من ممارسة الرقابة الإدارية ومصدراً لمعرفة الميول التعاونية والانصهار بالمجموعة وتقمص حضارة الشركة بغرس هذه الخصائص المؤكدة لتحمل الضغوط والمسؤولية

واستخدام السلطة في الابتكار والمبادرة بطرح أفكار ومشروعات جديدة لصالح شركته على المدى البعيد. فهم لا يعرفون الحوافز الفردية كما في أمريكا وأوروبا مثل الأجر بالقطعة، أي كلما ازداد إنتاج الفرد ازدادت الأجرة. الراتب المقطوع هو القاعدة في اليابان ولا مجال لتغييره، لأنه يمثل قيمة مشتركة؛ لأن العامل يتقاضى راتباً مرتبطاً بعمره ويحصل على الزيادة السنوية كغيره من العمال في عيد ميلاده ولمدة عشر سنوات متتالية دون أي تقييم. وهنا تبرز أهمية الابتكار والإبداع في قولة الاستعارة والاستيعاب لتجارب الآخرين إذ إننا نعرف أن العالوة السنوية يحصل عليها الموظف سنوياً في تاريخ تعيينه، ولم نسمع في كل العالم حصوله على الزيادة السنوية في تاريخ ميلاده. لا يمكن أن ترى في اليابان تقويماً للفرد الأكثر إنتاجاً، لأنه يعدّ إهانة شخصية لبقية العاملين وازدراءً لمن حصل على مثل هذا التقويم. إن سرعة الترقى ودوران العمل في الانتقال من شركة إلى أخرى وصولاً إلى الهدف الفردي بالوصول إلى الوظائف العليا الحساسة وذات النفوذ المؤثر في اتخاذ القرارات يؤدي إلى أن يتعود هؤلاء الأفراد الطموحين على العمل الفردي ودون اعتماد على رؤسائهم أو حتى التشاور معهم.

بشكل عام، تتميز اليابان بأن أهم المعايير لترقية الموظف تعتمد على ثلاثة أبعاد وهي الأداء والانتماء لمدة طويلة بالشركة والإخلاص أو الولاء للشركة. فالأداء يتحقق من توفر المعرفة وتنمية المهارات التنفيذية في اكتساب الخبرة من التنقل بين الأنشطة المختلفة في الشركة، والتي قد تحدث بشكل واضح في اليابان في نقل العامل من نشاط إلى آخر، قد لا يمت بصلة إلى تخصصه وحتى تدريبه. وبما أن العمل كما أوضحنا سابقاً، وفي المجتمع الياباني، وصل إلى مرحلة تحديد قيمة العمل بأنه هو القيمة الوحيدة للإنسان، ولهذا فإن السعادة للياباني هي العمل والعمل هو السعادة كذلك. إن التنقل بين الأنشطة يعطي فرصة لاكتساب مهارات

وخبرات جديدة إلى جانب تطوير العلاقات بين الزملاء لتكوين الروابط العاطفية التي كما أسلفنا تُعدُّ من القيم الاجتماعية العالية في اليابان.

وبما أن الترقية في اليابان كانت مبنية على الأقدمية وليس الجدارة أو الأهلية أو الاستحقاق بالكفاءة، إلا أنه ومنذ عشر سنوات وبداية انخفاض سعر الصرف للين أو فترة الأزمات الاقتصادية الحالية في اليابان، فإن القيم السائدة قد تغيرت الآن وأصبحت الترقية تعتمد على الجدارة والاستحقاق التأهيلي وليس الأقدمية فقط، كما كانت عليه سابقاً كون الاقتصاد الياباني الذي حددنا خصائصه بأنه اقتصاد حرب قابل للتغيير والتعديل بما يتفق والتغيرات الاقتصادية. ولا شك أن في هذه الخاصية للاقتصاد الياباني المتغير والذي لا تجده في الاقتصاديات الغربية أو حتى العربية التي تتصف بصعوبة التغيير إذ إن كثيراً ما تجد المديرين الغربيين يتقيدون بالمبادئ بينما، يتقيد المديرون اليابانيون بالفرص المتاحة.

ومع هذا التغيير النسبي في أسلوب الترقية من الأقدمية إلى الجدارة، يبقى موضوع الوظيفة مدى الحياة والذي يتعارض مع أسلوب التأديب أو العقاب في الفصل من العمل. لا شك أن من خصائص النظام الإداري في اليابان عدم الفصل مهما كانت الأسباب والمسببات وخاصة في الشركات العالمية الضخمة. فإذا ارتكب الموظف أي خطأ، فإن الذي يتحمل مسؤولية الخطأ الرئيس أو المشرف المباشر. تنظر الإدارة اليابانية من منظور يختلف عن الإدارة الغربية أو حتى الإدارة العربية إذ يفترضون أن الموظف المخطئ لم يكن لديه الدافع الإيجابي للعمل المنوط به؛ لأنه ليس على إلمام كامل بالعمل أو أن العمل المنوط به لا يليق به أو أنه لم يتمكن من تحقيق المحبة والعاطفة من المجموعة التي يعمل معها، وهذه الأسباب مجتمعة هي خطأ رئيسه المباشر وليس خطأه. وترى الإدارة اليابانية أن الموظف بكونه فرداً في العائلة إذ إنه في العائلة إذا كان لديهم طفل معاق فإن العائلة تهتم به وتعتني به أكثر من غيره، وهذا ينطبق على بيئة العمل، إذ إن الموظف المخطئ يتم التعامل

معه بعناية مفرطة . وكلما زاد إذلال وخزي الموظف من نفسه ولشعوره بالخطأ ازداد الصنح والمسامحة عنه . وكثيراً ما يحدث أن يعاقب المخطئ نفسه بالانتحار في حالات الخطأ المفرط . ومع كل ذلك ، فإن أهم مرحلة قد يتخطاها الموظف المخطئ في محاولة الإبقاء على احترام زملاء العمل له كما كانت قبل ارتكابه الخطأ والتي ربما لا يتحقق إذ يشعر الموظف مع كل ذلك بأن احترامه قد أصبح أقل مما كان عليه سابقاً وبالطبع تقل عليه المكافأة السنوية .

إن حب الموظف الياباني لعمله والتفاني من أجله يُعدُّ الافتراض أو المفهوم الذي أوصلهم لمبدأ (الوظيفة مدى الحياة) لأن المهنة وأداء العمل على الوجه المطلوب يشكل كل حياة الموظف . إن الانتماء والولاء كذلك مطلب أساسي مفترض في اليابان ويسبق حب العمل والتفاني من أجله أو أن الانتماء والولاء مسببات لحب العمل . يتضح إذن أن الانتماء والولاء يؤدي إلى حب العمل والرضا الوظيفي . إن أسس وخصائص التعامل الإنساني في اليابان عن طريق مبدأ الوظيفة مدى الحياة أدت إلى الاحترام والتسامح والعدل والتي تُعدُّ مسببات الولاء والانتماء والتفاني في العمل .

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٥٤-١٥٥، ١٧١-١٧٤ .

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 123-125, 211-

الفصل الثالث

الإستراتيجية الإدارية

- البيروقراطية
- احتكار الزبائتسو
- التعلیم والتدريب
- قطاع الأعمال
- إستراتيجية قطاع الأعمال
- السياسات الإدارية
- القيادة الإدارية
- اتخاذ القرارات
- الكفاءة والإنتاجية
- التنظيم والإدارة

البيروقراطية

لا يوجد لغة في العالم لمصطلح البيروقراطية وتعني شيئاً جيداً كما يقول عدد كبير من المنظرين بهذا التخصص. ففي اللغة اليابانية تعني الموظف الرسمي للإمبراطور عبر التاريخ، إلا أن هذا التعبير تغير عام ١٩٤٩ من الموظف الرسمي للإمبراطور إلى (خادم الشعب). ومع تغير التعبير، فإن معظم المؤرخين اليابانيين يرون أن الموظف الرسمي للحكومة على مرّ التاريخ كان ولا زال أثره واضحاً في التأثير على صياغة الإستراتيجيات والسياسات العامة. وقد كانت مزاياهم المادية والعينية عالية جداً، إلا أنها أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية أقل من قطاع الأعمال (الصناعة والتجارة والبنوك). ومع ذلك كله، فإن الرغبة الجامحة للشباب الياباني المتخرج من جامعة طوكيو المشهورة ومن كلية القانون بشكل خاص تركز في الالتحاق بالوظيفة الحكومية والتي يتنافس عليها الخريجون بناءً على معدلاتهم الدراسية العالية ونجاحهم المتميز في امتحان القبول للوظيفة الحكومية. والسبب الرئيسي لهذه الرغبة في طموحهم للانتقال إلى مجلس الشيوخ والنواب أو الالتحاق بوظيفة عليا في قطاع الأعمال؛ لأن الالتحاق بوظيفة في الصناعة أو التجارة أو البنوك لا يتم إلا باتجاه واحد من الحكومة لقطاع الأعمال وليس العكس، ويركزون على هذا الطموح لتقاعد موظفي الحكومة عند سن (٥٠) عاماً من الوظيفة الحكومية والالتحاق بوظيفة لها مردود مالي جيد بعد التقاعد.

لكل وزارة وزير معين بكونه عضواً من أعضاء مجلس الوزراء يتم اختياره من الحزب الحاكم بترشيح من رئيس مجلس الوزراء ومعه نائبين للوزير أحدهما معين من مجلس الشيوخ والآخر من مجلس النواب. ومع أنهم من الأهمية ومصدراً للإستراتيجيات والسياسات، إلا أنهم ثلاثتهم لا يمكنهم التعامل مع

الأمر بشكل فعال إلا من خلال نائب الوزير الدائم، الذي ترقى لهذا المنصب بحكم عمله الوظيفي في الحكومة. ومع أن الوزير ونوابه المعينين من مجلس الشيوخ والنواب لهم صلاحيات وسلطة وقوة محددة، إلا أن نائب الوزير الدائم بصفته موظفاً مهنيًا له سلطات واسعة في تحريك وتسيير وتسهيل العملية الإدارية التي يتطلبها الوزير ونوابه، فأثره الواضح في رجال السياسة والحزب بالغ جداً من خلال المهنية والاستمرارية. وتؤثر وتتأثر البيروقراطية اليابانية بشبكة العلاقات غير الرسمية لخريجي قسم القانون بجامعة طوكيو، حيث إنهم موجودون في جميع الوزارات والأجهزة الحكومية. هذه الشبكية تجعل ترقية وحواضهم مرتبطة بعلاقاتهم غير الرسمية والتزواج، مما يؤكد أن المتميزين لا يمكن لهم الصعود دون هذه الارتباطات (Networking).

تفرد اليابان عن باقي دول العالم في طبيعة ومنهج ونهج العلاقة ما بين القطاع الحكومي، أو ما تم الاتفاق على تسميته بالبيروقراطية عرفاً، وقطاع الأعمال من تمازج وتلاقح وتجانس في الترابط والتلاحم والتلاحق الفكري والعملية ما بين البيروقراطية وقطاع الأعمال والنقابات العمالية بتناغم يحقق التنمية والتطوير الذي حققته اليابان في عصرنا الحديث. وما تم الاتفاق على تسميته بشركة اليابان (Japan Inc) يعكس هذا التوافق دون أي فوقية للبيروقراطية على قطاع الأعمال أو بالعكس. ويقف وراء هذه الخاصية المتميزة وزارة التجارة الدولية والصناعة المسماة ميتي (MITI) التي يعتبرها الكثيرون هي معجزة اليابان التي صاغت وأسست وقامت على تنفيذ السياسة الصناعية والتقنية والتي لعبت دوراً قيادياً رائداً ورئيسياً في تطوير الاقتصاد الياباني. وبما أننا نركز على خصائص الإدارة اليابانية ودور البيروقراطية اليابانية في إيجابيات الإدارة، فإننا سنترك بحثاً عن دور هذه

الوزارة في زيادة السياسة الصناعية لتفصيل آخر، ونركز هنا على إيجابيات بناء البيروقراطية ما بين التقليد والتحديث في عرض لتطور تاريخي للبيروقراطية إلى ما وصلت إليه اليابان وبيان جذورها التقليدية وارتباطها التحديثي في هذه الخاصية المتميزة بالعلاقة الودية والمتكافئة مع قطاع الأعمال.

قبل عصر النهضة، عصر الإمبراطور مييجي في عام ١٨٦٨، الذي يُعدُّ بحق هو عصر صياغة التاريخ الياباني كانت البيروقراطية قد استمدت قيمها وأعرافها وعاداتها من الصين التي كانت تُعدُّ متفوقة على معظم العالم في القرون التي سبقت القرن التاسع عشر، وهذه ميزة للبيروقراطية اليابانية في محاكاة وتقليد البيروقراطية الصينية التي كانت تُعدُّ متقدمة مقارنة مع الغرب الذي كان يعيش عصر الظلام آنذاك. وكانت الممارسات البيروقراطية الصينية أساسها مبدأ مسابقات الاختبار لتعيين موظفي الحكومة؛ مما جذر في البداية الجدارة في التعيين على أساس المسابقات. واستمر النظام البيروقراطي خلال فترة الحكم لتوكوجاوا ما بين عام ١٧٠٠ وعام ١٨٦٨ مستقراً نسبياً مع استمرار عزلة اليابان عن العالم ما عدا الارتباط مع الصين والكونفوشية الصينية وظهور طبقة الشوجن وهم كبار النبلاء العسكريين في احتلالهم لمعظم المناصب في الحكومة، والذي قضى عليهم رجال الساموراي الذين أعادوا السلطة إلى الإمبراطور مييجي.

وفي أوائل عصر الإمبراطور مييجي، أرسلت اليابان العديد من موظفي الحكومة، إلى الدول الغربية لدراسة الأفكار والمؤسسات الحديثة. ولدى عودتهم أصبح هؤلاء خبراء قاموا بدور مركزي في عملية التوفيق بين التقليدية والحداثة اليابانية وسيطروا على عملية التطوير من خلال هيمنتهم على بناء نظام تعليمي

حديث وصياغة مختلف القوانين والأنظمة والإجراءات ووضع ترتيبات لبناء نظام بيروقراطي للدولة الحديثة. وسيطرت طبقة الساموراي خلال خمسين عاماً على البناء المجتمعي الطبقي، والتي لم تكن تشكل إلا ٥٪ من السكان بهيمنتها ونظرتها المتعالية على الفلاحين والحرفيين والتجار. وقد سبق للبروفسور الأمريكي بارسونز وهو من أكبر منظري البيروقراطية أن حدد دور هذه الطبقة بأخلاقياتها وسلوكها الكونفوشي وانضباطها وتفانيها في خدمة الإمبراطور وعقلانياتها بأنهم يسروا بناء رأسمالية متميزة في العصر الحديث. إلا أنه بعد القضاء على طبقة الساموراي خلال فترة الحرب العالمية الأولى وإحلال العسكرية الألمانية مكانهم ونزولهم من الطبقة العليا إلى الطبقة الوسطى اجتماعياً، فقد استمر تكريس الفرد وتفانيه لذاته وإفناء حياته في سبيل العمل الذي يشغله في البيروقراطية أو المصنع. ومع أنه من الصعب في العصر الحديث التحدث عن سلالة الساموراي في اليابان؛ لأنهم ينظرون إلى هذه الطبقة بنظرة فيها نوع من الكراهية، لأنها كانت مسيطرة على ٩٨٪ من الأراضي المسجلة في اليابان خلال القرن السادس عشر، إلا أن نشاطهم في مجالات الترجمة والأدب والفكر لا زال ملحوظاً إذ بينت دراسة حديثة أن قيادة المفكرين المعاصرين تصل إلى ٣٣٪ من سلالة الساموراي و ١١٪ للقيادات السياسية و ١٥٪ من رجال الأعمال.

ومع القضاء على الطبقة المهيمنة من الساموراي تم إلغاء الامتيازات في المناصب لهذه الطبقة على أساس المركز وتم القضاء على التوارث مع بداية القرن العشرين وقبل الحرب العالمية الأولى، واتجه النظام البيروقراطي إلى التخصص والتمايز والمسابقات الموروثة من النظام البيروقراطي الصيني. وبناءً على هذا التخصص والتمايز، أصبح أغلب البيروقراطيين من خريجي كلية الحقوق بجامعة

طوكيو وأصبح يغلب على ممارستهم شكل متزايد من اللغة القانونية والتقيد بالقواعد والتنظيمات والضبط والربط المنهجي المرتبط بدراسة القانون. كما تحصنت مواقعهم بشكل متزايد بقيام الجنرال مكارثر إبان الاحتلال الأمريكي في استمرارية تفوقهم لولوجهم في إعداد الأنظمة والقوانين والإجراءات الإصلاحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتي أدت إلى ما هي عليه اليابان كمعجزة اقتصادية في عصرنا الحديث.

وأكثر ما يميز خصائص الإدارة اليابانية هذا الترابط الوثيق ما بين البيروقراطية وقطاع الأعمال بمصدرها الأساسي والرئيسي الذي نحن بصددته بالإضافة إلى القواعد السلوكية الموروثة في الكونفوشية وطبقة الساموراي أن معظم كبار موظفي البيروقراطية أصبحوا أعضاء في الحزب الديمقراطي الليبرالي، الذي أنشأه رجال المال والأعمال بعد الحرب العالمية الثانية. ويمثل هذا الحزب الذي تولى الحكم منذ عام ١٩٥٥ حتى اليوم حجر الزاوية في هيكلة صناعة القرار التي تتم بكل تكتم وسرية داخل الأجهزة البيروقراطية والحزب الذي يشكل منه مجلس الوزراء. ويتميز هنا البيروقراطيون في كل وزارة بتماسكهم وترابطهم في أداء مهامهم مع رجال الأعمال في قطاع الأعمال بالاحصاء على المعلومات والبيانات المقننة لقراراتهم المتخذة. وبما أن مجلس الوزراء من الحزب الديمقراطي الليبرالي البيروقراطي ورجال الأعمال كذلك من الحزب نفسه، فإن هذه العلاقة الوطيدة التي تربط وزارة التجارة الدولية والصناعة (ميتي) والتي تُعدُّ بحق معجزة اليابان أدت إلى هذه الخاصية المتميزة للإدارة اليابانية في تيسير وتبسيط وتسهيل الأعمال على قطاع الأعمال دون فورية في هذا الترابط والانسجام المحقق للتنمية والتطوير في السياسة الصناعية والتقنية والاقتصادية المتميزة لليابان.

ولا بد من إعطاء صورة عن تاريخ ونشاط وزارة التجارة الدولية والصناعة منذ القرن التاسع عشر والتي بنت سياسة الترشيد الصناعي التي ركزت بتدخل الدولة بقوة في العمليات التفصيلية لتحسين العمل في كل مصنع وعلى المستوى الدقيق، كما صاغت سياسة البنية الصناعية التي تتعلق بحصة الصناعة والزراعة والتعدين والخدمات في الناتج الإجمالي للأمم، كما تدخلت في المستوى الدقيق داخل كل صناعة أو زراعة بالنسبة المئوية للصناعة الخفيفة والثقيلة وذات المعرفة ونموها السنوي. وكان تركيز الوزارة قبل الحرب العالمية الثانية على نقل التقنية الإدارية مثل مبادئ الإدارة العلمية ودراسات الحركة والوقت وتبسيط الإجراءات، وكذلك النظريات الألمانية النازية في الاقتصاد السياسي وتكوين اتحادات العمال واتحادات المنتجين هادفين تقليل المنافسة وتحسين الإنتاجية. واستمر زخم العطاء بعد انهزام اليابان في الحرب بانضمامها للنارية والفاشية وتطورت الوزارة إلا أن عناصرها الأساسية في الترشيد و البنية الصناعية استمرت مع إعطاء دفعة كبيرة لإنشاء اتحادات المنتجين والمصدرين وخاصة ما بعد الحرب الكورية والتي حققت أمريكا فيها أموالاً وصلت إلى ٢٩٦٧ مليون دولار ما بين عام ١٩٥٠ و١٩٥٣ مما أدى إلى منح الإعانات من بنك اليابان للتنمية بناء على دراسات الوزارة.

ولا بد من الإشارة إلى قدرة البيروقراطية اليابانية على التعلم والابتكار، إذ أتى أحد المسؤولين اليابانيين الذي كان يعمل في سفارة اليابان بباريس بالمفهوم الفرنسي للاقتصاد المدبر الذي تم اقتباسه وتغييره ليصبح يابانياً يركز على شراكة الشركات والدولة والاتحادات الصناعية والعمالية والتصديرية، إذ يقوم مديرو الشركات وموظفو الدولة بتشغيل الاقتصاد بالتعاون الإيجابي وتعمل من خلاله الوزارة دور المشجع والمعلم والمتدخل وصولاً إلى كفاءة أكبر وإنتاجية أعلى وتنمية

أكبر. ولإعطاء مثال على القدرة والابتكار لليبروقراطية اليابانية قامت الوزارة عام ١٩٦١ بتأسيس شركة تأجير للكمبيوتر والتي أسهمت في تقدم صناعة الكمبيوتر، كما قامت الوزارة في عام ١٩٨٠ بإنشاء شركة لتأجير الإنسان الآلي من أجل تأجير وحدات الإنسان الآلي بشروط ميسرة وتوفير خدمة هندسة النظم مقدرين عدم استطاعة الشركات شراء وحدات الإنسان الآلي بغية تطوير صناعة هندسة النظم بالطريقة نفسها التي أسهموا بها في صناعة الكمبيوتر. إن معجزة اليابان هي هذه الوزارة الحية والتي تولت الرعاية والإمداد والتمويل والإعانة لقطاع الصناعة من أجل مضاعفة الطاقة الإنتاجية وتطوير التقنية.

فوزارة التجارة الدولية والصناعة المشهورة بالترابط العضوي مع قطاع الأعمال والصناعة على سبيل المثال، تغطي خدماتها وسياساتها الاستيراد والتصدير، التعاون الاقتصادي، والاستثمار الأجنبي، والاستثمار في معدات التقنية، وتحديد مكان إقامة المصانع، ومصادر الطاقة والاختراعات. وترتبط مع الوزارات الأخرى بشكل إجرائي معروف إلى جانب مجلس البرلمان والزيكاي (رجال المال) و كيدانرن (اتحاد التنظيمات الاقتصادية) و الشنجاكاي (المجالس الاستشارية). ويرأس الوزارة الوزير المعين من مجلس الوزراء المنتخب عن الحزب الديمقراطي الليبرالي إلى جانب نائبين للوزير من مجلس البرلمان (Diet) ونائب وزير دائم من البيروقراطية يرأس مجموعة من رؤساء الدواوين المتخصصة. وتتخذ القرارات من خلال الاجتماع الوزاري الأسبوعي والاجتماعين الأسبوعي مع نائب الوزير الدائم والاجتماعات اليومية بين رؤساء الدواوين حسب نظام الرنجي في المشاركة والإجماع وتمرير كل وثيقة على كل الرؤساء للدواوين ورؤساء الأقسام جميعهم. وكثيراً ما يتم إعداد السياسات والتوجيهات الإدارية لجميع الصناعات

وقطاع الأعمال من هذه الوزارة ومن صغار المديرين في الوزارة والتي تعكس دائماً مواقف رؤسائهم.

ويتركز اهتمام الوزارة بشكل شامل في مساعدة الصناعة والتصدير وإيجاد حلول للعوائق التي تقف في طريق تحقيق أهدافهم دون تدخل مباشر في الإدارة والصناعة عن طريق إصدار التوجيهات الإدارية (Administrative Guidance). هذه التوجيهات تحدد عمليات التوسع في الصناعة وقيام صناعات مماثلة بناءً على الدراسات المعدة من الوزارة إذ لا يمكن إنشاء مصنع دون الحصول على ترخيص من الوزارة بإنشائه ومكانه. ويلعب نظام الرئجي في اتخاذ القرارات بالإجماع والجماعية والمشاركة دوراً فاعلاً في انتقال المعلومات عن جميع القرارات في الوزارة حتى إن أحد المختصين في الوزارة وضع ختمة (الرئجي) على ثلاثة آلاف وثيقة في يوم واحد..

ويبلغ عدد موظفي الوزارة (١٤) ألف موظف، ينتقل نسبة عالية منهم عند بلوغهم سن الخمسين بعد التقاعد للعمل في قطاع الأعمال والصناعة. ويتم تعيينهم في الصناعة بعد التقاعد بناءً على الطلبات العديدة التي ترد إدارة شؤون الموظفين في الوزارة على احتياجات هذه الشركات والمصانع لهذه الثروات البشرية المتدنية والمؤهلة للاستفادة منها في المجال التخصصي للصناعة أو التجارة ولاستمرارية التلاحق ما بين الحكومة وقطاع الأعمال. ويتم الانتقال بعد التقاعد وبعد مرور عامين من الراحة لموظف البيروقراطية وعلى شرط أن لا يكون له علاقة سابقة من قبل مع الصناعة أو التجارة التي سينتقل إليها.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanees Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 3-43, 270-274

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٧٤-٧٦.

Komiya, R., Okuno, M., Suzumura K. (editors) Industrial Policy of Japan. Tokyo, Academic Press Inc. 1988. pp. 27-37

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformational Kondasha America, Inc. 1995. pp. 43-54

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 143-149, 167-197

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٣٣-١٥٧.

احتكار الزياتسو (العوائل المحظوظة)

مجموعات الزياتسو (Zaibatsu) تعني باليابانية Zai أي الحظيظ وBatsu تعني العائلة أو العصابة، العوائل المحظوظة أو العصابة المحظوظة. جميع هذه الشركات كانت تملكها عائلات ولديهم شركة قابضة تتحكم في عدد كبير من الصناعات والشركات التجارية والبنوك. عشر مجموعات كانت تملك ٥٣٪ من البنوك و ٤٩٪ من الصناعات. وقد تم عام ١٩٤٩ الاستيلاء على أملاك ٥٦ فرداً من هذه العائلات، وتم بيع حصصهم على المواطنين، وتم تجريدهم من مناصبهم الإدارية التي بلغت آنذاك ٢٢١٠ وظيفة بالإدارة العليا تبعها في عام ١٩٥٠ كذلك ٢٥٣٢ وظيفة وعضوية مجلس إدارة، مما أدى إلى تحويل ما لا يقل عن ٥٠٠٠ وظيفة إدارية عليا فقط للعاملين في هذه الشركات من الإدارة الوسطى مما أوجد لديهم الدافع للعمل والإنتاج. ومع أن هذا الاحتكار قد تم إلغاؤه عام ١٩٤٩-١٩٥٠، إلا أن جو الثقة الأساسي الرابط بين هذه الشركات دون تشاحن أو خصومة أو ادعاء بالاستقلالية وطلب الحماية يعقود واضحة ومراجعة دقيقة للأداء انتقل إلى النهج الجديد كفلسفة مما نتج عنه تجمعات جديدة لا تسعى للاحتكار بل تسعى للتنسيق والفعالية للجميع.

لا يمكن أن تبحث في موضوع قديم أو حديث يتعلق باليابان إلا وتجد علاقة ما لمجموعة الزياتسو التي كانت موجودة منذ عصر الميجي وتطورت في عهده وانتهت بشكل غير قاطع من قبل الجنرال مكارثر قائد الاحتلال الأمريكي لليابان عام ١٩٥٤ بعد الحرب العالمية الثانية. الزياتسو كانت كهيئة أو نقابة أو جماعة تمثل رجال المال والأعمال في اليابان وذات أثر ونفوذ كبير في المجتمع الياباني قبل الحرب العالمية الثانية. وما دعى هيئة الاحتلال للقضاء عليها على أنها جزء من

حملة الإصلاح الاقتصادي والإداري لليابان هو قدرة الزياتسو على الاحتكار الكلي للاقتصاد الياباني وقدره العساكر الفاشيين والنازيين للسيطرة عليها واستغلالها لبناء آلية الحرب التي هددت فيها اليابان العالم مع ألمانيا النازية .

إن السبب الأول والرئيسي لظهور احتكارات الزياتسو نابع من الموقع الاجتماعي الطبقي المتدني للتجار في الحضارة اليابانية في القرون السابقة . وبعد عودة الإمبراطور ميحي للسلطة بمساعدة التجار وجدوا البيئة المناسبة لتكوين إستراتيجية التكتل حتى يحافظوا على استثماراتهم من منطلق التأثير لتغيير موقعهم الاجتماعي الطبقي . والسبب الثاني : هو انعدام الأحزاب السياسية آنذاك وكذلك انعدام جماعات المصالح . ومع أنه تاريخياً ثبت قدرة التجار على التنظيم الذاتي وتمتعهم بنفوذ واسع لسبب الحاجة المستمرة والتي كانت تتزايد بمرور الوقت وبسبب المجاعات والكساد الذي حدث ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية من قبل الفئة العسكرية والمحاربين المهيمنة آنذاك والذي ازدادت قروضهم من التجار . وكان من الضروري بزوغ هيئة الزياتسو لتبلور مصالح رجال المال والأعمال والتعبير عنها لدى البيروقراطية . وقد سيطرت أربع شركات من الزياتسو وهي متسوي وميتسوبوشي ويوسودا وسوميتومو على قطاع الأعمال وأمدت الحكومة بالمساعدات الفنية والمالية . فمثلاً شركة ميتسوبوشي لم تكن تهتم بتحقيق أعلى حد من الربح بل تركز على أن يتحقق الربح العالي لبنك ميتسوبوشي . ولأن بنك ميتسوبوشي كجزء من الزياتسو يسعى إلى احتكار الصناعة والشركة بدلاً من احتكارها من المساهمين ، ولأن الاتجاه للزياتسو يركز على أن المواطنين يأتون للبنك لرصد مدخراتهم فقط وليس للمساهمة في هذه الشركات ، لأن مهمة المساهمة متركزة في التمويل البنكي للشركة .

وقد أثر العسكريون على الزياتسو من منطلق التوجه الذي بنوه بأن اليابان دولة فقيرة، ذات جغرافيا صغيرة ومكتظة بالسكان وتم إغلاق منافذ الهجرة لأبنائها للخارج، ويصعب تصدير المنتجات وليس أمام اليابان إلا التوسع الجغرافي الحربي. واضطرت جماعات المصلحة إلى الانقياد لتوجهات العساكر. ومع أن الزياتسو يركز على مصالح المجموعة التجارية قبل كل شيء، إلا أن بعضهم وجدوا في العقلية الحربية التوسعية نهوضاً ونمواً لتصدير منتجاتهم. وكان كذلك مجموعة أخرى محافظة تعارض تدخل البيروقراطية في مشكلات الحياة، وطالبوا عام ١٩٤٠ بالحد من طغيان الرقابة الحكومية على مجالات الحياة كافة.

كانت المجموعة الاحتكارية الزياتسو لا تفرق بين الملكية للشركة والرقابة عليها. وكانت هذه الشركات قبل الحرب تعتبر فروعاً للشركة القابضة الأم التي تتحكم وتفرض الرقابة الشاملة على الشركة من حيث تحويل التوظيف للإدارة العليا في الشركة من الشركة القابضة الأم، والتي تملك الشركة الفرع (Subsidiary). ولما كانت الشركات خارج الاحتكار للزياتسو هي شركات عائلية وأسهم هذه الشركات في بورصة الأسهم محدودة جداً في عملية البيع والشراء، لأن العائلة تسيطر كذلك على هذه الشركة، فقد كان نمو الاقتصاد وتطوره مرهون بقدرة وإرادة الزياتسو. ومن ذلك يتضح أن الشركات الاحتكارية الأربع الرئيسية للزياتسو لم تكن للجمعية العمومية للمساهمين أي دور يذكر في القرارات الإستراتيجية وإنما دورها بكونها عملية إجرائية روتينية. ولما جاء الاحتلال الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية وابتدأت عملية الإصلاح الاقتصادي والإداري والسياسي، كان أول إجراء اتخذه هو تغيير نظام الشركات الصادر عام ١٨٩٦ وتأكيد وتجذير الفصل ما بين الملكية والرقابة.

ومع هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية، كانت رؤوس الأموال لعشر شركات احتكارية للزيباتسو تشكل ٣٥٢٪ من مجموع رؤوس أموال جميع الشركات في اليابان. كما كان عدد الشركات الفرعية التابعة للمركز الرئيسي أو للشركة الأم قد تصل إلى ١٢٠٠ شركة، والتي تشكل معظم الشركات اليابانية لما قبل الحرب. وقد كانت الرقابة والإدارة العليا والتحكم في التمويل لكل هذه الشركات يتم من المركز الرئيسي للشركات الاحتكارية الأربعة، وهي (ميتسوي، ميتسوبيشي، ويوسودا وسوميتومو). قد تم خلال خمس سنوات بعد الحرب عن طريق المكتب الرئيسي للجنرال مكارثر نقل ملكية ٥٠٪ من هذه الشركات إلى الحكومية اليابانية، وبذلك انتقلت الرقابة إلى وزارة المالية، ومن ثم إلى وزارة التجارة الدولية والصناعة. كما أسهمت قوات الاحتلال الأمريكي في بذر وتجزير الديمقراطية في النظام الاقتصادي في تحويل ٢٥٠٠ شركة يابانية مرتبطة بالزيباتسو أو مرتبطة بشركات عائلية تأثرت وأسهمت وتأقلمت مع نظام العسكرية الفاشية خلال الحرب في إنهاء خدمات معظم المديرين التنفيذيين لهذه الشركات وبنوكها المرتبطة بها، وبذلك تم فتح المجال للجيل التالي من مديري الإدارات من الشركات نفسها في الإدارة المتوسطة لاحتلال المناصب العليا في الشركات وليس من الشركة الأم إذ كانت التجارب اليابانية للزيباتسو تقوم بتعيين كبار المديرين من الشركة الأم وليس من داخل الشركة.

ومع أن سلطات الاحتلال الأمريكي قامت بحل الزيباتسو وتخطيط احتكاراتهم بصفته جزءاً من البرنامج الإصلاحية ما بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٤ وإدخال تعديلات على هيكلية رؤوس أموال الشركات التابعة للزيباتسو وتحويلها إلى شركات مساهمة عامة بدلاً من تركيز ملكيتها من شركة قابضة، وتعيين كبار

المديرين من الشركة نفسها بدلاً من أسلوب الزياتسو في تعيين كبار المديرين من الشركة الأم. وتمكن المديرون الجدد الذين كانوا يحتلون مناصب الإدارة المتوسطة بفعل الدافع والحافز تحقيق المردود والعطاء مما أوصلهم إلى مرحلة الاحتراف. وعلى أثره ارتبطت الشركة بشكل مباشر مع البنك بدلاً من ارتباط الشركة مع البنك عن طريق الشركة الأم والتعامل بالنسبة إلى البنك مع الشركة على أنه فرع مما أدى إلى تغيير شبكة العلاقات إلى مشاركة ما بين البنك والشركة. الإصلاح أعطى ١٢٠٠ شركة الاستقلالية والقضاء على التبعية للشركة الأم والنظرة الدونية للفرع من قبل البنك الممول لتعامله مع الشركة الأم الذي انتهى وتكونت العلاقة في المشاركة والثقة ما بين الشركة والبنك.

وقد ظهر بديلان للزياتسو من مجموعات النفوذ والتأثير والتي أدت إلى الترابط ما بين الحكومة وقطاع الأعمال بشكل أكثر تناسقاً أولهما مجموعة أطلق عليها اسم (Gyokai) والتي تجمع الشركات الصناعية ضمن تخصص صناعي واحد مع بعض للتنسيق في كل أبعاده من تحديد الإنتاج وحصة السوق. أما الثانية وأطلق عليها اسم (Zaikai) لمجموعة من نخبة رجال المال والأعمال معاً ذات أثر ونفوذ في النشاط الحزبي والسياسي والبيروقراطية. وقد نجحت هاتين المجموعتين اللتين وصل عدد اللجان المرتبطة بهما إلى أكثر من (٣٠٠٠) لجنة بسبب التقاعد المبكر لموظفي البيروقراطية ذوي الخبرة والتعليم العالي في جامعة طوكيو والتحاقهم كمديرين في هذه الشركات مما أسهم في تأكيد وتنسيق النفوذ والتأثير على السياسات الحكومية تجاه قطاع الأعمال.

✖ إن خصائص الإدارة اليابانية في التأثير والنفوذ على البيروقراطية قد تم بناؤه بكل الحيلة والحذر واللباقة والكياسة من منطلق الصدق والنزاهة وليس من منطلق

الفساد المالي وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية؛ لأن الزياتسو لما قبل الحرب قد تم استغلاله من العساكر لانعدام الديمقراطية وتركيز الحكم العسكري الفاشي والنازي. ما حدث بعد الحرب في الإصلاح الاقتصادي وبتز كل الوسائل المؤدية إلى الفساد أدى إلى تجذير الخصائص الإدارية الإيجابية والفاعلة في نمو وتطوير المعجزة اليابانية.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٣٩-١٤١.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 162-162, 232-234

Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 305-308, 334-338

Komiya, R., Okuno, M., Suzumura K. (editors) Industrial Policy of Japan. Tokyo, Academic Press Inc. 1988. pp. 26-37, 40-43

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 118-129, 131-134, 230-237

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٥١-٥٢.

التعليم والتدريب

الحقيقة التي لا يختلف عليها أحد أن التطور الاقتصادي والصناعي الياباني تحقق بفضل التفوق في التعليم أولاً والعمل الجاد ثانياً، ولربما يحدث الاختلاف هنا على الأولوية للعمل مثل الحديث عن البيضة والدجاجة وأيهما الأول. وقبل التطرق للإستراتيجية في تطوير الأجيال المتعاقبة من الشباب الياباني، لا بد من الحديث عن الماضي كما صاغه ول ديورانت مؤلف موسوعة قصة الحضارة المكونة من (٤٢) مجلداً أحدهما عن اليابان عندما أقام هناك ما بين عامي ١٩٢٧ حتى ١٩٢٩. وقد كان أمله أن يتم بناء السلام ما بين اليابان الفاشية العسكرية وأمريكا آنذاك، إلا أن أمله لم يتحقق إذ تم اجتياحها وهزيمتها أمام أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية كما هو معروف عندما تم ضربها بالقنابل الذرية مرتين في هيروشيما ونجازاكي، إذ يقول ديورانت: (أما وقد علمنا اليابان أساليب الصناعة والحرب، فلا بد لنا أن نصبر على القضاء الذي جعلها مؤقتاً سيدة الشرق اقتصادياً وحربياً، فليس بنا حاجة إلى الحقد على أبناء الشمس إذا ما حانت ساعة قوتهم ومجدهم، ولا إلى حسدهم على إمبراطوريتهم المتهاقطة أو ثروتهم التي قد تتعرض للزوال، إن العالم فيه سعة الرحب ما يكفينا ويكفيهم معاً، ولو شئنا، لوجدنا في البحار آفاقاً لا تزال بعيدة بيننا وبينهم، بحيث تهيء لنا السلام). اليابان كانت دولة قوية اقتصادياً وحربياً قبل الحرب العالمية الثانية وهزيمتها شكلت نقطة انطلاق اقتصادية فقط بعد تلك الهزيمة.

تاريخياً وقبل عام ١٦٣٠، كان ٩٠٪ من رجال الساموراي حملة السيوف وأكبر طبقة اجتماعية في اليابان والتي ينحدر منها آنذاك جميع رجال الدولة والحكومة لا يعرفون القراءة والكتابة. وفي عام ١٦٣٠، تم إنشاء أول كلية

لتخريج المعلمين والتي أصبحت فيما بعد جامعة طوكيو المرموقة والمعروفة. وفي عام ١٦٦٦ أجازت الحكومة للمعلمين لبس السيوف ليصبحوا كرجال الساموراي الحاكمة وأصبحوا في منزلة اجتماعية عليا مما أدى إلى تشجيع طلبة العلم وفتح الباب على مصراعيه لإنشاء المدارس المرتكزة على الفلسفة الكونفوشية وفلسفة اليوشيدو ما لبثت أن تطورت هذه المدارس لاحقاً في نقل المناهج والنهج الألماني نتيجة الارتباط مع ألمانيا النازية. وفي هذه الفترة بالذات، عصر العسكرية والفاشية والنازية والقوة العسكرية اليابانية صممت اليابان تصميم الأبطال على إزالة الأمية لتكون أسبق أمم الأرض جميعها على إزالة الأمية بإلحاق جميع الأطفال اليابانيين وبنسبة ٩٩.٤٪ في المدارس. فما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٧ أصبح سكان البلاد جميعاً يجيدون القراءة والكتابة.

بعد الانفتاح على الغرب بعهد الميجي، اتجهت اليابان في القرن التاسع عشر مع كل ما حققته من التمركز والقوة والتأثير والسلطة التي حققتها العسكرية مع البيروقراطية في الانقلاب العسكري في ٢٦/٢/١٩٣٦ وذلك بإصدار نظام التعليم العام (National School Ordinance) عام ١٩٤١ الذي صاغ الإستراتيجية والسياسة التعليمية بناءً على ترجمة حرفية للنظام التعليمي الألماني وبتعبيره النازي (Volksschule). وقد ركز النظام الجديد الذي استمر إلى يومنا هذا على التنميط الموحد لكل شيء (Standarization). يتعلق بالمنهج والنهج الخاص باللباس والسير الموحد. كما جاء النظام الجديد بمنع إنشاء المدارس الخاصة بشكل مطلق وركز على أنه من المحتمل على الطالب الالتحاق بالمدارس الحكومية في مكان سكنه، مما أدى إلى عدم التوازن لمجتمع الرفاهية وعدم تمتعه بما قد تحقق بفعل هذا التنميط والتوحيد. وقد أدى تنميط وتوحيد التعليم العام للمجتمع الصناعي الياباني إلى

مساعدة الطالب الضعيف في مادة معينة ليلحق بزملائه دون الالتفات للطالب المبدع في مادة معينة والتركيز عليه . وقد أدى ذلك إيجابياً إلى توحيد المعرفة والمهارات والسلوك وسلبياً إلى انعدام الابتكار والإبداع . وقد أوضح عدد من المنظرين اليابانيين حديثاً إلى أن القدرة اليابانية على التنميط والتوحيد (Stanardization) من أجل الإنتاج الكثيف (Mass Production) إلى قلة الابتكار والإبداع لإنتاج سلعة أو ابتكار جديد، بل كما ثبت تاريخياً بالتركيز على هضم واستيعاب ونقل التقنية الغربية وإعادة صناعتها فقط بإضافات هامشية مرتبطة بالتنميط والإنتاج الكثيف مما حقق لهم التطوير والتنمية التي نشهدها الآن . كما يرون جوانب سلبية أخرى في انعدام حرية الاختيار للمدرسة التي سيلتحق فيها الابن لضرورة التنميط بالالتحاق في مكان السكنى بما يجعل أي مستوى للرفاهية ربما لا يستفاد منه أمام هذه المساواة (Equality) التي تُعدُّ جزءاً من الحضارة والثقافة والفلسفة اليابانية .

من ذلك كله نستنتج أنه خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة استطاعوا تحقيق قاعدة رئيسية في محو الأمية بشكل كامل وجذري . ولكن هذه المقدمة لا تعطي أية أفكار جديدة لما وصل إليه اليابانيون من تطوير للقوى البشرية، بل تعطينا القدرة على التصور للقاعدة الأساسية في الإصرار على محو الأمية وتنميط وتوحيد التعليم الحكومي والتي انطلقوا منها في البداية وأنهم كانوا قبل الحرب العالمية الثانية يشكلون خطراً في قوتهم ومجدهم الاقتصادي والحربي على المعسكر الغربي .

لأسباب ديموغرافية وجغرافية وتاريخية متعلقة بتحقيق البقاء، فإن العمل هو الحياة بالنسبة للياباني والعكس صحيح كذلك . فالعمل كهدف للإنسان الياباني

يصبو لتحقيقه في التحاقه بإحدى الشركات الكبرى المرموقة والمتميزة لأن هذه الشركات الكبرى تمنح للفرد مزايا الوظيفة الدائمة والدخل العالي على المدى الطويل إلى جانب المكافأة العالية عند سن التقاعد وهو (٥٥) سنة. هذا إلى جانب قدرة الشركة الكبرى على إيجاد وظيفة مؤقتة بعد التقاعد في إحدى شركاتها الصغيرة الشقيقة. ولأن متطلبات هذه الشركات المرموقة في الاختيار من آلاف المتقدمين عالية جداً، فإن الاختيار يقع على خريجي الجامعات المرموقة كذلك. وهنا تقع مسؤولية صقل الشخصية اليابانية وتطويرها وإغناء عناصرها الوجدانية والفكرية والعلمية والثقافية كجزء من هذه المنافسة الشريفة. وهذه المفاهيم المتعلقة بالإغناء الكلي لتطوير القوى البشرية، سنلاحظ لاحقاً، تنطلق من تراكمات زمنية ومكانية تبدأ من الصفر تأكيداً للمقولة المعروفة (من أهمل العلم في أحداثه أضاع الماضي والمستقبل).

وحتى يحصل الفرد الياباني على القبول في إحدى الجامعات الحكومية المرموقة، لا بد له من اجتياز امتحان القبول بعد الثانوية العامة وبمعدل عالي جداً. وهذا يؤكد الإحساس والحرص على نهل العلم ونوعيته العالية والرفيعة منذ الصغر لتعميق المعرفة والثقافة وصولاً إلى اجتياز امتحان القبول بدرجات عالية. أي أن الحصول على الثانوية العامة بمعدلات عالية جداً غير كافية للالتحاق بإحدى الجامعات المرموقة التي تتطلب امتحانات قبول معتمدة على المعلوماتية والثقافة التي لا تكفي لتحقيقها متطلبات الدراسة الثانوية لوحدها. وقد أخبرني صديق ياباني أن أكثر ما يؤرقه خلال السنوات الأربع من دراسة ابنه في المدارس الثانوية ليس نجاحه الدراسي المنهجي عاماً بعد عام، بل الدروس الخصوصية وجهوده وزوجته اليومية في تحضير الابن لتعميق معرفته وثقافته ومعلوماته وصولاً إلى النجاح في

امتحان القبول والالتحاق بإحدى الجامعات المرموقة حتى يتحقق لابنه العمل في إحدى الشركات المرموقة بعد تخرجه . وهنا يتحقق لنا الإبداع الياباني بأن مسؤولية التعليم لا تقع على وزارة التربية أو وزارة المعارف ، بل على الأبوين والمدرسة والطالب والجامعة وجميعهم يعملون كخلية النحل في ظل نظام المنافسة الشريفة .

وبما أن المدارس من الروضة حتى الثانوية حكومية ابتدأت كما سبق أن أسلفنا في القرن السابع عشر والتي تطورت بعد الحرب العالمية الثانية لتصبح جميعها مدارس حكومية فقط دون السماح بافتتاح أي مدارس خاصة اعتباراً من عام ١٩٤١ ، فإن المنافسة بين هذه المدارس على الإتيان بأفكار وإبداع وابتكار محقق لأسمى الأهداف في تكوين البصيرة النافذة للطالب في وصوله لاعتداده بنفسه من منطلق المعلومات الحية الزاخرة بالمعرفة والمعززة بالتجارب والأمثلة الحية التي تساعد الطالب على طرح الأسئلة العميقة وصولاً إلى تحقيق الإرادة لفرد غير مضطرب وغير منسلخ من عالمه الكلي والقومي . فالمنافسة الشديدة بين هذه المدارس في تقديم المنهج والنهج النمط والموحد المحقق لنجاح الطالب ، ليس في الثانوية العامة فحسب ، بل في امتحان القبول لعدد من الجامعات المرموقة يشكل مصدراً أساسياً في المستوى المتميز للتعليم العام في اليابان . ويجب أن لا يفهم من ذلك أن معظم الطلبة يلتحقون بالجامعات بعد الثانوية العامة ، حيث إن الإحصائيات الحديثة تعطي دلالة على توزيع الخريجين للثانوية العامة بالتحاق ٤٠٪ فقط منهم في الجامعات و ١٨٪ في الدراسات المهنية و ٤٢٪ يلتحقون بالعمل والتدريب على رأس العمل بعد الثانوية العامة ، كما يصل ٩٤٪ من الأطفال اليابانيين إلى مستوى الثانوية العامة . وعلى نفس الوتيرة ، ليس معنى ذلك أن الدراسات الجامعية تعتبر مصدراً للمناصب العليا ، إذ إن ٣٠٪ من رؤساء

الشركات اليابانية ليس لديهم شهادة جامعية، كما أن اثنين من رؤساء الوزارات لا يحملون الشهادة الجامعية.

والأدهى من ذلك كله، أن الالتحاق بروضة الأطفال له شروط ومواصفات وامتحان قبول لكثرة الأطفال المتقدمين لهذه الروضات المرموقة كذلك. فنسبة القبول على المتقدمين تصل إلى ١٠٪ في معظم هذه الروضات المتميزة التي تؤهل خريجها ما بين الأربع سنوات وحتى ست سنوات للالتحاق بإحدى المدارس الابتدائية المتميزة تتطلب امتحان قبول بما يعكس مستوى الجهد المبذول من الوالدين في تحضير طفلها للالتحاق بمثل هذه الروضات للأطفال. وهنا مصدر آخر ينبثق عن المنافسة لمستوى المعلومات المتحقق للأطفال نتيجة التربية البيتية والتجهيز للأطفال لاجتياز امتحان القبول وصولاً للمدارس الابتدائية والثانوية والذي يتبعها امتحان قبول للجامعات. وهذا يعني أن نسبة عالية من الطلبة تتجه للدراسة الفنية والمهنية بعد الثانوية أو بعد الاعدادية والالتحاق بمراكز التدريب المهني بما يعزز مستوى التعليم العالي.

ويأتي فوق ذلك كله، الفلسفة العامة للتعليم في اليابان في منطلقها المسمى (التعليم مدى الحياة). فإذا افترضنا طالباً أنهى الثانوية العامة واجتاز امتحان القبول للجامعة المرموقة وتخرج منها والتحق بإحدى الشركات أو البنوك المرموقة، فإنه يتنقل بين جميع الإدارات والنشاطات خلال عشر سنوات كاملة ودون أي تقويم للترقية لوظيفة إشرافية في التعلم والتدرب مع التحاقه في ما لا يقل عن ثمان وحتى اثنتي عشرة مجموعة عمل مختلفة بما يعزز الفلسفة الأساسية بالتعليم مدى الحياة. ويلاحظ هنا الاستثمار في القوى البشرية من الوالدين والمدرسة والدراسات الخاصة والجامعة والتدريب على رأس العمل لما لا يقل عن ثلاثين عاماً ما بين

الروضة إلى أن تنظر الشركة في تقويم الفرد للترقية إلى وظيفة إشرافية يكون فيها قد تحقق من خلال التعليم مدى الحياة الفرد المثقف وذو المهارات العامة من خلال تدريبه على رأس العمل وانتقاله ما بين جميع النشاطات والتحاقه مع مجموعات العمل ما لا يمكن تحقيقه مركزياً تحت ظل أية ظروف زمانية ومكانية. إن هذا يعيدنا إلى الجذور في المنافسة والمجهودات الفردية التي تتراكم لتصبح مجهودات جماعية دون خطط مركزية ومسؤولية جهة واحدة كما يتردد بأنها وزارة المعارف والمعلم والمنهج.

لا شك إذن، بأن تلازم وتزامن التعليم والعمل أو العمل والتعليم منطلقه المنافسة في تحقيق مستوى متميز من التعليم وصولاً للعمل المتميز، أي تعلم لتعمل وتعمل لتنتج وتتعلم لتحسن ما تنتجه. فالترابط بين الفرد الياباني والشركات هو ترابط ما بين التعليم والعمل؛ لأن الإنسان هناك يكتسب قيمته ومكانته الاجتماعية من خلال العمل الذي يقوم به والعلم الذي يمكنه من إجادة العمل حتى أصبح عمر الإنسان الياباني يقاس بما أنجزه من أعمال.

نستخلص من ذلك كله أن التعليم مرتبط بالعمل؛ لأن الشركات اليابانية موزعة توزيعاً طبقياً إذ وصلت من التطور بناء على الاستقصاءات التي يتم إعدادها لقياس الرأي العام إلى مجموعات، ويتم تصنيفها بناء على معايير عديدة وتصبح مجموعة منها في المقام الأول ومفضلة وذات شهرة لفئة كبيرة من خريجي الجامعات. ويسعى المتخرج للعمل بهذه الشركات حسب توزيعها الطبقي وبناء على التوزيع الطبقي كذلك للجامعة التي تخرج منها وتميزه الدراسي. وللشهرة التي تتمتع بها هذه الشركات تجدد الإقبال عليها بشكل كبير من الخريجين مما ينتج عنه مبدأ المنافسة. إن المنافسة للوصول إلى وظيفة في إحدى الشركات المرموقة

يتطلب تحضيراً وإمكانات مادية وتدريباً خاصاً من الوالدين لإلحاق أبنائهم في المدارس الخاصة المشهورة، ومثالنا عن تحضير الأطفال للمنافسة في القبول بروضة الأطفال خير ما يثبت ذلك. هذه المنافسة الدراسية التي تبتدئ في امتحان القبول لروضة الأطفال وما يعقبها من امتحانات قبول للدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية مصدرها الرغبة والحاجة والدافع لإلحاق الابن في جامعة مرموقة وصولاً في النهاية لالتحاقه بإحدى الشركات المرموقة وذات شهرة. إن الاستثمار في تطوير القوى البشرية مصدره هذه المنافسة ونتاجه مبني على إمكانات الوالدين وقدرات الطالب وصولاً إلى الهدف الذي يعكس التعليم المبكر الذي يتم تعزيزه وتقويته بتحضير الطالب المنهجي في المدرسة ومن الأبوين في البيت والدروس الخصوصية لاجتياز امتحانات القبول.

إن سياسة الدخول للجامعات الحكومية المتصفة بالتشدد البالغ والمبينة على امتحانات قبول غير مرتبطة بمنهج الدراسة الثانوية بل بالمستوى الرفيع للتعليم في المراحل المبكرة، وبالتحضير الخاص أو الدراسة الخاصة في المنزل وعن طريق مدرسين خصوصيين وبمشاركة الوالدين تشكل مصدراً أساسياً للدخول في الجامعات المرموقة. وبدوره يؤهل الخريج من الجامعات للالتحاق بوظيفة لدى إحدى الشركات المرموقة. وكل ذلك نابع من الحاجة والرغبة والدافع للحصول على الوظيفة الدائمة للمزايا في الرواتب الشهرية العالية والمكافآت السنوية التي تصل إلى راتب ستة أشهر. هذا إلى جانب المكافأة لنهاية الخدمة عند سن (٥٥) سنة ووظيفة مؤقتة لعشر سنوات بإحدى الشركات التابعة للشركة المرموقة.

فالالتحاق بالجامعات اليابانية لا يعتمد على كشف علامات الطالب المتخرج من الثانوية كما هو متعارف عليه في معظم دول العالم تقريباً. وبما أن الجامعات الحكومية مجانية وتتيح الفرصة للفقير والغني للالتحاق بها على قدم المساواة بناء

على نظام المنافسة باشتراط اجتياز امتحان عام تقيمه كل جامعة بناء على توزيعها الطبقي من حيث شهرتها ومركزها في تصنيف الجامعات. وبما أن جميع طلاب الثانوية يتلقون نفس المنهج الدراسي في جميع المدارس الثانوية اليابانية، فإن المنافسة انتقلت إلى المدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية وحتى رياض الأطفال. وتقوم كل مدرسة ثانوية بناء على شهرتها بإعداد الطلبة بالإضافة إلى المنهج الدراسي الموحد لاجتياز امتحانات القبول بالجامعات، ويتفرغ كل طالب بالإضافة للمنهج الموحد بالدراسة الخاصة لمنهاج امتحان القبول لجامعة معينة مع بداية دراسته الثانوية. ويبقى فوق ذلك كله الفلسفة التي تعتمدها اليابان في التعليم مدى الحياة نبراساً لما حققه هذا الشعب من نمو وتطور اقتصادي ومنطلقها في الحافز والدافع للوظيفة الدائمة. إنها المنافسة للوصول إلى الشركة المرموقة التي تمنح الوظيفة الدائمة مع مزاياها المالية والمعنوية والتي تتحقق في المنافسة للدخول في الجامعات المرموقة عن طريق امتحانات القبول التي تؤهل الفرد الياباني لأن تتكون لديه المعرفة الوطيدة عن طريق المدرسة والبيت والدروس الخصوصية والالتحاق بالروضة وحتى الثانوية المرموقة وتصبح في مجملها عوامل وعناصر متفاعلة للوصول إلى قوى بشرية فاعلة وذات كفاءة.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanees Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 252-257, 267-269, 318-328

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٤٦-٤٩، ٨٣-٨٦، ١١٥-١١٩.

Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity.
Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 186-202

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan.
Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 124-127, 163-165,
179-187, 281-286

قطاع الأعمال

لا شك أن قطاع الأعمال الصناعي والتجاري والتسويقي يعتبر المصدر الرئيسي للنجاح الاقتصادي والذي يصعب على غير الياباني أن يستوعب مقوماته المختلفة عن العالم. هذه المقومات بحقوق الملكية لهذه المصانع والشركات وخاصة بعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية واستعمارها الأمريكي الذي يؤكد أن كافة الموجودات الصناعية قد تم تأميمها آنذاك وتم القضاء على جميع المقومات الاحتكارية لما يسمى زيباتسو القائمة خلال الحرب. والإجابة السهلة على امتلاك الشركات تكمن في الأمة اليابانية التي تملكها. وبعد الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٤٥ وخلال فترة الاستعمار الأمريكي وحتى عام ١٩٥٢، ابتداء جيل جديد من رجال الأعمال ومن يملكون الأراضي الزراعية في إنشاء هذه الشركات والتي لا يعتبر مؤسسوها أو مساهموها يملكون حق الرقابة والقرار عليها، بل يديرها مجموعة متخصصة من الإداريين المحترفين الذين يشرف عليهم بعين ثاقبة المؤسسات المالية البنكية والتي تمنح لهم الجزء الكبير من رأس المال العامل؛ لأن ملكية المصنع أو الشركة في هذه الحالة تعود إلى البنك الممول كون نسبة الدين لرأس المال تصل إلى ٨٠٪ ديون و ٢٠٪ رأس مال من رجال الأعمال أو المساهمين والتي تعتبر بالمقاييس الغربية أخطر ما يمكن أن يقبله أي منطق رشيد في قطاع الأعمال في العالم. وبالطبع يقود حقوق الملكية في اليابان نسبة بسيطة من المساهمين ونسبة عالية من رأس المال من البنوك والتي تدور في محورها كشركات التأمين في إيداع أموالها لدى البنوك، كما يقف وراء البنوك بالطبع البنك المركزي الياباني الذي تسانده الحكومة اليابانية في الضرائب المحققة والمدخرات التي يودعها المواطنون اليابانيون ولهذا فإن الملكية لقطاع الأعمال في الأمة ككل.

ولأن حقوق الملكية (Equity) لهذه الشركات الصناعية والتجارية تكمن في نسبة قليلة للمؤسسين ورجال الأعمال والأغلبية للبنوك على شكل قروض، فإن تركيز الشركة اليابانية دائماً في تحقيق أعلى حد من الكميات المباعة لزيادة الإنتاجية أو بالاصطلاح الإداري المعروف بالإنتاج المكثف (Mass Production) وليس لتحقيق الحد الأعلى من الربح أو الهامش الربحي؛ لأن المديرين المحترفين يركزون جهودهم على دفع التكاليف للسلعة المنتجة من مواد أولية ودفع رواتب العاملين الثابتة نتيجة التركيز على الوظيفة الدائمة وكذلك لتسديد الفوائد على القروض البنكية التي تعتبر جزءاً من رأس المال، وبهذا تكسب البنوك مبالغ طائلة وتكسب الشركة مبالغ ضئيلة، حتى إنك لتستغرب مثلاً بأن يكون الهامش الربحي لشركة ميتسوبيشي لعام ١٩٩٥ وصل إلى أقل من نصف الواحد بالمائة مقارنة بالمبيعات. المدير الياباني يركز على تسديد القروض وفوائدها والتي تؤهله للحصول على قروض جديدة أخرى تعزز موقفه في النمو المعتدل بدلاً من تركيزه على الربح العالي كما في الغرب. هذه الهيكلية لرأس المال وحقوق الشركاء بوجود البنوك الممولين لرأس المال وتركيزهم على النمو وحجم المبيعات بالإنتاج الكثيف على المدى الطويل دون التركيز على نسبة الهامش الربحي التي يركز عليها الغرب تعتبر المصدر الأوحده والإيجابية الوحيدة الأساسية والميزة النسبية المقارنة على قطاع الأعمال الغربي.

ولا بد من الإيضاح هنا إلى أن الأموال المتوفرة في البنوك والتي تمنحها قروضاً رأسمالية للشركات تأتي من ثلاثة مصادر رئيسية: أولها: الائتمان التي تحصل عليه البنوك من الحكومة اليابانية، وثانيهما: الأرباح المتراكمة للبنوك من قروضها للشركات كما أسلفت، وثالثهما: ذو أهمية كبرى ألا وهو القدرة

الادخارية للفرد الياباني في إيداع مدخراته لدى البنوك إذ إنه جزء من تراث وأعراف وتقاليده الشعب الياباني في نزعة الطوعية للادخار. وهذه النزعة الطوعية للادخار مصدرها الهيكلية الاجتماعية اليابانية في محدودية الضمان الاجتماعي ومعاشات التقاعد. ولأن الياباني يغلب عليه بشكل دائم نزعة البقاء، فإن مصدره الرئيسي عند التقاعد هو الادخار الذي وصل إجماليه إلى ٦٠٪ من الدخل الوطني عام ١٩٩٠ ووصل معدل الادخار للفرد الياباني إلى ٣٥٪ بينما يتمتع الأوروبي بنسبة ٧٪ والأمريكي بنسبة ٣٪ فقط. وعلى نفس الوتيرة، فإن المديرين ليس أمامهم سبل جارف من المساهمين يطالبون بدفع أرباح الأسهم كما في الدول الأخرى والذي على أثره تقوم الشركة أو المصنع بإعادة استثمار الأرباح في حقوق الشركاء (Equity) لتحقيق النمو المعتدل. كما أن التشجيع على الادخار في الأنظمة الضريبية على الأفراد والشركات والتي تعطي مزايا ضريبية على الادخار أعطت دفعة قوية للاستثمار والنمو في إعادة استثمار المدخرات في الشركات نتيجة الحوافز الضريبية وكذلك على الأفراد لتأكيد إمكانية عيشهم بكرامة عند التقاعد من مدخراتهم وليس من معاش تقاعدي كما هو معروف في دول العالم الأخرى. وأكثر مدخرات الأفراد التي تودع في البنوك بالطبع هي تلك التي يستلمها الموظف كحافز في نصف السنة أو في نهاية العام على نتائج شركته مما يؤكد القدرة الحدية الادخارية للأمة بما لا يمكن مجاراته عالمياً.

وأكثر ما يميز قطاع الأعمال بالطبع هي العلاقة الوطيدة مع الحكومة والتي تم اعتماد تسميتها بالغرب (Japan Inc) أي شركة اليابان. ولأن الحكومة لا تعتمد الفوقية في تعاملها مع قطاع الأعمال بل تعتبر نفسها شريكاً وفق حركة الإصلاح الميجية عام ١٨٦٨ لتلحق بالتقنية بالعالم الغربي بعد الانعزال الطويل. ولا بد من

الإشارة هنا إلى أن الفترة الاستعمارية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية وظهور التشريعات الإيجابية في إلغاء احتكار الزياتسو المعروف في اليابان منذ مئات السنين، والذي ظهر مرة أخرى وبطريقة يابانية كما نلاحظه بالشركات الكبرى أمثال متسوي ومتسويشي وسوني وتويوتا. وقد ساهمت وزارة التجارة العالمية والصناعة (MITI) بعد الحرب العالمية الثانية بشكل جوهري في منح شراء التراخيص التقنية الصناعية الغربية وعقود شراء التقنية بشروط فعالة مرتبطة بتدريب اليابانيين وإحلالهم محل الخبراء والفنيين الغربيين وحتى عام ١٩٥٥. كما ساهمت وزارة التجارة والصناعة هذه في التخطيط والتنظيم الفاعل لمنع الاحتكار ومنح ترخيص فقط لكل تقنية لا أكثر حتى تكون منافسة عادلة ومحدودة. كما ساهمت الحكومة في تشجيع عمليات الدمج للشركات الصغيرة مع شركات كبيرة حتى تصبح فاعلة وتؤدي إلى ازدياد ونمو الأداء والإنتاجية وفي أسلوبها المتميز المسمى (التوجيهات الإدارية) التي ترسلها للشركات لمساعدتها على الاستقرار والنمو والتطور. كما اتجهت الوزارة إلى الاتصال مع الشركات لأخذ مشورتها بشكل دائم بخصوص التوجيهات الإدارية والإستراتيجيات المستقبلية مما أدى إلى تجانس وتضامن والتحام غير معهود ما بين الحكومة وقطاع الأعمال الذي يسمى باليابانية (زايكاي) أو عالم المال. ويؤكد هذا التلاحم في قطاع الأعمال ما قد ترعرع وتجنذر في الشركات المتجانسة إذ تجد شركة كبرى صناعية مما يسمى (زاكاي) أو عالم المال يتكون معها كجمعية تعاونية مجموعة شركات من نفس الصناعة أو مرتبطة بالصناعة أفقياً وتسمى (كيدر) أو اتحاد لتعكس التراث الياباني في قطاع الأعمال الذي كان قبل استعمارها من أمريكا يسمى (زياتسو) والذي تم حله آنذاك.

ولذلك كله فإن قطاع الأعمال الياباني يختلف عن دول العالم جميعها

ويرتبط بخصائص الإدارة اليابانية حيث إن المديرين المحترفين الذي يتقاضون الرواتب والأجور يتصرفون بمقدرات شركتهم دون رقابة وعوائق وإحباطات قد تحدث لهم من المساهمين أو مجالس الإدارات ويعززها التلاحم مع الحكومة التي تضع نصب عينيها تحقيق النمو الاقتصادي والتي يصعب على دول العالم تقليد التجربة اليابانية في قطاع الأعمال لهذا الاختلاف الجذري في حقوق الملكية والرقابة.

المراجع:

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Publishers, 1995. pp. 47-65, 133-134, 146-148

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٥٠-١٥١.

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 228-248

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 273-283

إستراتيجية قطاع الأعمال

ظهرت كتابات عديدة تقارن قطاع الأعمال في اليابان مع الغرب، إلا أن هذه الكتابات بنت مقارنتها من منظور النموذج الغربي وملاءمته مع التجربة اليابانية. نحن نعلم أن الإستراتيجية إما أن يكون بناؤها منطلقاً من الأيديولوجية التي نعرفها بالرأسمالية أو الاشتراكية أو رأسمالية الدولة أو أن الإستراتيجية معتمدة على التاريخ والأصالة والحضارة والقيم والأعراف والعادات. والبعد الثالث أن تكون الإستراتيجية مبنية على الهيكلية أو البناء المؤسسي. مع أن اليابان استخدمت قبل وبعد الحرب العالمية الثانية الأيديولوجية الرأسمالية ممزوجة بالحضارة والتاريخ إلا أنها اعتمدت بشكل رئيسي على هيكلية اقتصادية مرتبطة بالنظام البنكي لتمويل الرأسمالي والبيوتات التجارية لتمويل الصفقات التجارية بسوق المال ونظام الرواتب والأجور للعمالة.

★ الإستراتيجية اليابانية تركز على ثلاثة محاور رئيسية، أولها: في الإنتاج المكثف (Mass Production) لأعلى حد من الكميات المنتجة لبيعها محلياً وتصدير الفائض للخارج لمقابلة تسديد القروض البنكية ودفع الرواتب للعمالة الدائمة وتوزيع الأرباح القليلة للمساهمين. وثانيها: في التقييس والتنميط (Standarization) للمواصفات والمقاييس لكل عملية جزئية حتى إن هذه الإستراتيجية أصبحت جزءاً أساسياً من حضارة وثقافة اليابان الحالية في ما يسمى (Japanese International Standard) إذ تنطبق على التعليم والتدريب والإنتاج وجميع العمليات الإدارية عندما تم هضمها واستيعابها ونقلها عن نظرية الإدارة العملية من أمريكا والتي كانت أساساً للتقدم الصناعي الغربي مع بداية هذا القرن في تركيزها على دراسات الحركة والوقت وبيروت (PERT) والمسار الحرج (CPM)

وثالثها: في قرار الحكومة الرئيسية بضرورة مركزية المعلومات لجميع المصانع والشركات في مدينة طوكيو والذي ساهم في توحيد مصادر المعلومات من المركز الرئيسي لجميع الشركات في مدينة طوكيو مما أدى إلى توحيد السياسات والإجراءات المتجانسة.

وفوق ذلك كله تأتي الإستراتيجية الإجمالية في التوجيهات الإدارية (Administration Guidance) من الحكومة والتي تم ابتكارها عام ١٩٤١ والتي قادت السياسات الصناعية والتعليمية وتطوير المناطق وصولاً إلى مجتمع صناعي متقدم. وهذه التوجيهات الإدارية المطاعة نمت وترعرعت قبل الحرب العالمية الثانية، وبعد الانقلاب العسكري في ٢٦/٢/١٩٣٦ عندما استلم العسكريون مع البيروقراطيون مهام الحكم في تميز الآلة الحربية اليابانية في الحرب العالمية الثانية في تقديم أنماط حديثة لتنظيم كفاءة الحرب وكفاءة نظام التوزيع (Logistics) الحربي في تأطير رقابة الحكومة في تحديد مهام الحرب. وقد استمرت التوجيهات الإدارية بعد الحرب في صياغة سياسات التنميط والتأطير في الاتجاه السلمي لتطوير الصناعة وصولاً إلى الحد الأعلى من الإنتاج (Optimization) ويشير عدد من المنظرين اليابانيين إلى أن احترام وإطاعة التوجيهات الإدارية الصادرة من الحكومة كان ولا زال مصدراً من مصادر التطوير والتقدم المشهود.

نعلم ما يتردد بشكل ملفت للنظر بأن قطاع الأعمال الياباني لا يركز بشكل كبير على تحقيق الحد الأعلى من الربح، كما نعلم أن الشركات الصناعية لا تتبع منتجاتها بل تقوم بهذه المهمة البيوتات التجارية المعروفة. كما نعلم أن التركيز دائماً على تحقيق الهدف الرئيسي للإستراتيجية في تحقيق الحد الأعلى من الكميات المباعة، أي حجم المبيعات وزيادتها الكمية بدلاً من زيادة الأرباح. وأقرب مثال

على ذلك ما قد نشر حديثاً عن شركة ميتسوبيشي بأنها حققت هامشاً ربحياً ما بين المبيعات وتكلفتها وصل إلى نصف الواحد بالمائة. ولا بد لنا أن نربط هذه الإستراتيجية والأهداف بزيادة المبيعات والهامش الربحي الضئيل الذي يبدو لأول وهلة لأي نظام غربي أو عربي بأنه لن يؤدي بقطاع الأعمال إلى الاستمرارية.

في البداية، النظام البنكي الياباني يختلف جذرياً عن النظام البريطاني والأمريكي والأوروبي والذي ابتداءً مع حركة الإصلاح الميجية عام ١٨٧٣. ركزت البنوك على أن تكون شريكاً للعائلة صاحبة المصنع. وأصبحت تكوينة رأس المال من جزأين أحدهما مثلاً بنسبة ٢٠٪ للعائلة صاحبة المصنع أو للمساهمين و ٨٠٪ تمويل بنكي. أي إن الشركات/المصانع يديرها مدراء مهنيين تعتمد عليهم في تحقيق الأهداف، والرقابة عليهم من البنك وليس من المساهمين غير الموجودين من البداية. هكذا تكونت الشركات في البداية وهكذا ظهرت البنوك اليابانية وأصبحت تملك الشركات الكبيرة؛ ولهذا نجد الآن مصانع ميتسوبيشي والبيت التجاري لنفس الشركة والبنك كذلك لنفس الشركة وهكذا.

✂ تركز السياسة والإجراء الأولي للمدير الياباني إذن على تقليل تكلفة الاقتراض البنكية وتسديد التكلفة الاقتراضية؛ لأنه لا يستفيد من ارتفاع سعر السهم مثلاً لعدم أحقيته بالحصول على ميزة الحوافز السهمية أولاً؛ ولأن همه الأساسي في تحقيق الحد الأعلى من إعادة التكلفة للسلعة ويدخل في التكلفة هنا تسديد القروض وفوائدها. فنسبة الديون إلى حقوق الملكية عالية وعلى المدير أن يسعى لتسديد هذه الفوائد البنكية؛ لأن القروض البنكية هي البديل لحقوق الملكية. ولهذا فإن التركيز على زيادة حجم المبيعات بشكل كبير الذي يتم طرح تكلفة المبيعات وأحد عناصرها لأغراضنا هنا التكلفة الاقتراضية من البنك أو كلفة رأس

المال ودفعها للبنك. ولهذا فإن القول بعدم الاهتمام بالربح مرتبطاً بالقيم والحضارة يعتبر مغلوطاً نوعاً ما لأنه مرتبط بعناصر هيكلية مؤسساتية في أسلوب تكوينه رأس المال أو حقوق الشركاء والتي تعتبر القروض البنكية جزءاً كبيراً منها. كما أن إدراج التكلفة الافتراضية كجزء من تكلفة المبيعات يؤدي إلى الهامش الربحي الضئيل الذي يتصدر ميزانيتهم العمومية في آخر العام.

✂ وتركز السياسة الثانية على زيادة حجم المبيعات، أي زيادة الإنتاج الكلي بالإنتاج المكثف (Mass Production) لأنهم يرون أن الكفاءة الإنتاجية لا تتحقق إلا في زيادة الإنتاجية الجماعية. وهذا مرتبط بنظام الأجور الذي نعرف اتجاهاته وفلسفته في الوظيفة الدائمة وزيادة الرواتب السنوية؛ ولأن اليابان تعتمد النظام المحاسبي الذي ينص على أن الرواتب والأجور تعتبر مصاريف إنتاجية. والحل الوحيد إذن في تخفيض تكلفة الإنتاج للوحدة الواحدة في تحقيق الحد الأعلى من الإنتاج والحد الأعلى من المبيعات. إذن ما دام الحجم الكبير للمبيعات المنتجة يغطي تكلفة العمالة كما غطى بالسابق التكلفة الإقراضية، فإنه من الإستراتيجية التركيز على حجم الإنتاج حتى لو كان الهامش الربحي قليلاً، ولهذا وصل هامش أرباح ميتسوبيشي إلى نصف الواحد بالمائة. إن متخذ القرار الياباني أيقن بإستراتيجيته بأن زيادة حجم الإنتاج والمبيعات هي الوسيلة الوحيدة لزيادة الإنتاجية وأن العمالة تحقق الحد الأعلى من الإنتاجية. وبما أن الشركات اليابانية تمنح راتباً قليلاً للمبتدئ حديثاً، إلا أنهم وجدوا أن إنتاجية المبتدئ تساوي ثلاثة أضعاف إنتاجية من له ثلاثين سنة في الشركة.

✂ وتركز السياسة الثالثة على استخدام البيوتات التجارية لأسباب مرتبطة بالنظام البنكي الذي يركز على تمويل المصانع كجزء من رأسمال المصنع ولا يمنح ما

يسمى بقروض قصيرة الأجل، أي أن البنوك لا تمنح التمويل الأساسي كجزء من حقوق الشركاء وكذلك تمنح قروضاً قصيرة الأجل لأغراض البيع. أي إن ظهور البيوتات التجارية لتسويق منتجات المصانع أصبحت ضرورة هيكلية مرتبطة بعدم منح القروض القصيرة الأجل للمصانع، مما نتج عنه الحاجة إلى سوق المال وذلك بتمويل هذه البيوتات التجارية عن طريق حصولها على قروض قصيرة الأجل لتمويل العملاء والوكلاء في كافة أنحاء العالم. أي أن البنوك اليابانية كما أسلفنا تعاملت مع المصانع وكأنها (سوق لرأس المال) وتعامل البيوتات التجارية في بيع وتسويق منتجات المصانع وكأنها (سوق للمال) في تمويل قصير الأجل، أي أن البيوتات التجارية ليست إلا شركات مالية على أفضل تقدير.

وعلى هذا يظهر لنا أن الإستراتيجية والسياسات اليابانية كانت نتاج هيكلية البنوك والعمالة والتي تختلف عن بعض النظريات الغربية التي تقول بأن الإستراتيجية تؤدي إلى هيكلية معينة، وقد انضح لنا أن العكس يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة لليابان لأن الهيكل هو الذي حدد الإستراتيجية في عدم التركيز كأولوية على حد عالي من الربح والتركيز على الحد الأعلى من حجم الإنتاج، وانتقال العملية التسويقية البيعية إلى البيوتات التجارية. وإذا أعدنا النظر مرة أخرى للإستراتيجيات والسياسات لوجدنا أن ابتكارها لم يكن إبداعاً من النخبة بل استعارة ونقل وهضم مع زيادات نوعية بسيطة لما تعلموه من الغرب في بعثاتهم الدراسية في القرن السابع عشر وما بعد ذلك. لقد استمرت النخبة في هضم واستيعاب نظريات الإدارة الغربية على مدى خمسين عاماً متصلة في صناعة الثلاثيات والغسالات والمسجلات والتلفزيونات والكمبيوتر. ويرى بعض المنظرين أن قدرة النخبة اليابانية على الابتكار والإبداع محدودة بقدرتهم على هضم

واستيعاب وتطويع ونقل التقنية الغربية بالإضافة لمهاراتهم في التقنيات اليابانية المحلية مثل باشنكو - Pachinko - ورامن - Ramen وأساليهم في التسويق ومحلات البيع المختلفة والتميزة عن الغرب.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 115-124, 147-158, 221-227

توماس وهيلين، دافيد هنجر، الإدارة الإستراتيجية، ترجمة د. محمود مرسى و د. زهير الصباغ، الرياض، معهد الإدارة العامة ١٩٩٠، ص ٣٣-٤٥.

Robert, Michel. Strategy Pure and Simple, McGraw - Hill, N.Y. 1992. pp. 113-116, 129-138

Goold, Michael and Campbell Andrew. Strategies and Styles (The role of the centre in Managing Diversified Corporation). Blackwell, Oxford, 1988. pp. 15-47

السياسات الإدارية

بنيت السياسات الإدارية والاقتصادية والتصنيعية على إستراتيجيات نابعة أولاً من إبراز الهوية القومية كمصدر الولاء بعد الحرب العالمية الثانية منطلقة من سلطة ديمقراطية ؛ مما أدى لالتفاف كافة الطبقات حول قيادتها الوطنية بكل ملامح الطاعة والتفاني والإخلاص . وتتضح آثار هذه الإستراتيجية الأساسية من آثار الجغرافيا بضيق الأرض وكثرة الهزات والكوارث والخوف من الجوع والحرمان الذي عايشوه قبل هزيمة الحرب العالمية الثانية، وبقدرتهم العجيبة على الادخار كجزء لا يتجزأ من التقاليد اليابانية التي ابتدأت قبل عصر الميجي ، أو عصر النهضة، وضح هذه الادخارات في شرايين الاقتصاد الوطني . إضافة إلى الجانب الأساسي في إحداث مشاركة فاعلة في صياغة السياسات الوطنية التي فرضتها قوات الاحتلال الأمريكي . وثانياً الإستراتيجية التي ركزت على عملية التحديث التي تتم من أعلى ومن القمة ومن النخبة التي دعمت القيم التقليدية والحداثة وصاغت علاقة متوازنة بين القيم والأعراف والتحديث والتي تكرم التدرج والطاعة وتقديس الأبوة التي استطاعت التوفيق والملاءمة بين التقليدية والحداثة وصاغت علاقة متوازنة بين القيم والأعراف والتحديث الإداري والسياسي والصناعي في صياغة سياسات تنبع من المشاركة . وإذا كان هناك عناصر عديدة للسياسات ترتبط بالتخطيط والتنظيم والتنسيق، فإن تركيزي سينصب هنا على عناصر تقليدية أمكن لليابان الاستفادة منها في صياغة سياسات تحديثية ذات أهمية وصولاً إلى خصائص الإدارة اليابانية في استخدام القيم والأعراف والعادات والتقاليد المتوارثة وتوفيقها وملاءمتها للتحديث . وإذا كان لعناصر موروثه عديدة مثل الجماعية والكونفوشية والبوذية والزن والأبوية ونظام الأسرة وتقاليد الساموراي من أثرفي خصائص الإدارة

اليابانية، فإن العناصر المؤثرة في السياسات نابعة منها والتركيز عليها هنا لإظهار آثارها في صياغة السياسات وفعاليتها منذ عصر الميجي وحتى عصرنا الحالي في استحداث جماعات المصالح والهيئات النقابية وجماعة المال والهيئات الاستشارية مما حقق مبدأ المشاركة لسياسات التوافق والتلاؤم التي عمل الجميع على تنفيذها كونهم شاركوا في صياغتها وقبولها.

لليابان قيم وأعراف تقليدية متوارثة ممتدة عبر التاريخ وتم تعزيزها حديثاً ومرتبطة بنظام الرنجي لاتخاذ القرارات الجماعية تسمى نيمواشي (Nemawashi) مصدرها الزراعة والأرض وتعني حرفياً (ربط وحزم جذور الشجرة قبل قلعها) وتعني بالأسلوب والإجراء المتبع في الاستشارة المتوسعة غير الرسمية قبل التنفيذ. هذه الخاصية التنظيمية الرسمية المعروفة بالتقليد الياباني باسم نظام الرنجي (Ringi) بتكرار وديمومة واستمرارية الاستشارة بين أفراد التنظيم على نفس المستوى والأدنى والأعلى. وتختلف الاستشارات التي تأخذ الطابع غير الرسمي من مواضيع مبسطة إلى معقدة ومتشابكة وضمن جو من الثقة المتبادلة والمساندة إلى أن يصل الجميع إلى إجماع. وإصرار الياباني على استخدام الاستشارة النابعة من الزراعة والأرض بأن ذلك ضرورة قصوى قبل قلع الشجرة من جذورها المربوطة بأن يتم حفر التربة حول الجذور وقطع الجذور الكبيرة التي ستموت قريباً وحزم الجذور الصغيرة التي ستتمو مستقبلاً. ولهذا فإن الرنجي الرسمية لاتخاذ القرارات الجماعية والنيمواشي غير الرسمية للاستشارة تؤدي إلى صياغة سياسات واضحة ومتكاملة وفاعلة ويتقيد بتنفيذها جميع المدراء التنفيذيين ومرؤوسيهـم. هذا النهج الاستشاري غير الرسمي والمربط بنظام الرنجي لاتخاذ القرارات نابع من تجانس الشعب الياباني وتربط المدراء ومرؤوسيهـم بالوظيفة الدائمة والذي يعتبر الشركة التي يعمل بها مصدر

حياته وثقته بنفسه واعتداده واعتماديته على الجماعية تؤدي إلى أن صياغة السياسات المتكاملة والتخطيط بعيد المدى.

ولا شك أن الجغرافيا والتاريخ وعناصر التراث قد زرعت لدى اليابانيين بحكم البيئة القدرة على الصبر والاتجاه نحو الأهداف طويلة الأمد؛ لأن الوظيفة الدائمة وارتباط الفرد بالمجموعة ولأن هدف المنظمة أو المجموعة يتصف بالأمد الطويل. فمند التحاق الفرد بالوظيفة كمتدرب وموظف مؤقت وراتب ضئيل فإنه يقاسي ويعمل بجهد كبير وتفاني أملاً في أن يتحول بعد سنوات إلى موظف دائم، ويتلقى زيادات سنوية رتيبة مؤقتاً بالتدرج كجزء من تقاليد الكونفوشية الذي يعطي طابعاً ومفتاحية للهدف طول الأمد. ولهذا فارتباط الهدف الطويل الأمد على حساب الرغبات القصيرة الأمد كإستراتيجية أثر على صياغة سياسات هادفة ذات بعد ومساحة زمنية طويلة تسمح بتعديل السياسات بالاستشارات النيمواشي ونظام الرنجي مع الزمن.

وإذا كانت السياسات ليست إلا طريقاً تحاول فيه الأجهزة الحكومية الوصول إلى الأهداف الاقتصادية الوطنية عن طريق التدخل في تخصيص الثروات من مال ورجال ومعدات وأساليب عمل مبنية على إستراتيجية تنافسية، فإن التقاليد اليابانية في تخصيص هيئة مختصة في كل وزارة تخطط وتنظم وتراقب تنفيذ السياسات الموجهة بما يسمى جينكيوكو (Genkyoku). ففي كل وزارة يوجد هيئة أو ديوان أو إدارة أو قسم يقع اختصاصه في صياغة السياسات المتعلقة مثلاً بصناعة معينة بالتحديد لتحقيق أهداف أساسية في استقرار الصناعة والحد من ازدياد المنافسة ضمن هذه الصناعة وأبويتها على أن لا يحدث لها عوائق وأن لا يحدث لأي مصنع مثلاً الإفلاس وعلى أثره تصبح مسؤولية الحكومة إعانتته. فمثلاً يوجد لدى

وزارة التجارة الدولية والصناعة ما لا يقل عن (٢٩) هيئة أو ديوان عامودية وأفقية هادفة إلى إصدار التوجيهات الإدارية المسماة باليابان (التوجيهات الإدارية أو الإرشادات الإدارية) (Administrative Guidance) للتنظيم والتنسيق للسياسة المستهدفة. هذه الهيئة التنفيذية للسياسات لا يوجد لها مثيل، إذ إن كل الوزارات تنسق مع بعضها البعض ومع الصناعة مثلاً أو التعليم بغية فعالية السياسة المصاغة. وبذلك تتشارك جميع الهيئات المتخصصة في الوزارات في صياغة السياسة وتنفيذها بكل إخلاص حسب المعايير الأساسية والأهداف الموضوعة.

ولأنه من المتروك أن اليابان تسمى (شركة اليابان Japan Inc.) للعلاقة الحميمة والمترابطة ما بين الحكومة وقطاع الأعمال، فقد اقترحت هيئة الاحتلال الأمريكي بعد الحرب إحداث هيئة مصالح قطاع الأعمال المسماة (Keidanren) أو (اتحاد التنظيمات الاقتصادية) التي ازدهرت نتيجة هدفها الأساسي في التركيز على مصالح المؤسسات والشركات الصغيرة بعد أن حلت قوات الاحتلال المجموعة الاحتكارية المعروفة باسم زيباتسو. ولا شك أن الترابط ما بين الحكومة وقطاع العمال أو الترابط ما بين الهيئة الحكومية (Genkyoku) وجماعة المصلحة من قطاع الأعمال (Keidanren) يتم بتناسق وتناغم في إعداد وصياغة وتعديل السياسات بحيث يصعب على المرء أن يحدد مصدر السياسة أو مصدر تعديلها. فمثلاً هيئة مصالح قطاع الأعمال تشمل (١١٠) صناعة وتجارة وتضم أكبر ٧٣٩ شركة يابانية باستثناء الشركات الخمس العالمية الكبيرة (ميتسويشي، ميتسوي، نيسان، سوميتومو، فوجي) وتتكون من ٣٧ لجنة متخصصة محلية وعالمية وتشمل كامل قطاعات الأعمال وتجتمع بشكل يومي ودائم مع موظفي الحكومة بغية التأثير على السياسات ومراجعتها وتعديلها بالإضافة والإيضاح والحذف بما يحقق أهداف

ومصلحة قطاع الأعمال. هذا الترابط في تحقيق المصالح يجعل من السياسات المصاغة بوضوح وفعالية تنفيذية محققة ويدعو هيئة الحكومة وجماعة المصلحة الاستمرارية في ديمومة الاتصال في تحديث السياسة بما يخدم الأهداف الوطنية أولاً وآخرًا.

ومع حل احتكارات الزياتسو عام ١٩٤٩ من هيئة الاحتلال الأمريكي ولخطة دودج المشهورة والذي عارض تدخل الحكومة في الاقتصاد والنقد وركز على أمور عديدة ذات أهمية إلا أن أهمها ما يعتبر إستراتيجياً نقطة تحول لليابان بتركيزه الرئيسي والأساسي على (أن على اليابان أن تقف على قدميها وتنشأ اقتصادها بفضل جهودها الذاتية وعن طريق المنافسة التجارية دون انتظار مساعدات من الولايات المتحدة). وظهرت في الأفق مجموعة مصالح رجال المال المسماة (Zaikai) أي حرفياً (عالم المال) ولتحل محل الزياتسو بقدرتها على التأثير على السياسات الحكومية في الاقتصاد والنقد. ويشرف على هذا الاتحاد المالي رجال الأعمال المتقاعدين ويلتحق ثلث الأعضاء منهم في مجلسي الشيوخ والنواب وتأثيره على السياسات الحكومية واضح بجلاء بقدرتهم على تحديد تعيين عشرة وزراء من ٢١ وزيراً عند التشكيل الوزاري من الحزب الليبرالي الديمقراطي الحاكم وهم من أعضاء الحزب بالطبع. ولا شك أن أثر عالم المال ودوائره ومجموعته المرتبطة بالبيريوقراطيين واتحاد التنظيمات الاقتصادية التي جاء ذكرها سابقاً تؤدي إلى صياغة سياسات توفيقية وذات ملاءمة لقطاع الأعمال والاقتصاد الوطني. إن دور وتأثير وقوة الزكاي (Zaikai) في صياغة السياسات ومرورها على (٣٧) لجنة إلى جانب الاتحادات الأخرى له قوة وتأثير وقيادة لترابط قطاع الأعمال مع الحكومة دون أي فوقية من القطاع الحكومي على أحادية الصياغة للسياسات.

وفي عصر الميجي، تم تعيين الكثيرين من النخبة ممن تم ابتعاثهم للدراسة في أوروبا في مناصب حكومية ذات سلطة وتأثير ودون رقابة مما أثر على هذه الطبقة من النخبة من قبل العسكريين وتوجيه البلاد نحو العسكرية والفاشية والنازية. وعندما جاء مكارثر قائد قوة الاحتلال، قام بإحداث نظام تنسيقي لإحداث الفعالية في الأجهزة الحكومية كونها تتصف آنذاك بأحادية التوجه ولأنها كانت بيروقراطية غير مستجيبة للمشاركة الوطنية وذلك بتعيين مجموعة استشارية من النخبة أطلق عليها اسم شنجيكاي (Shingikai) أو الهيئة الاستشارية الملحقه في كل وزارة ومن رجال الأعمال والأكاديميين وصل عدد الهيئات الاستشارية إلى (٢٥٠) هيئة استشارية عام ١٩٧١ ومنها الهيئة الاستشارية الخاصة بموظفي السلك الدبلوماسي، الهيئة الاستشارية الاقتصادية بمكتب رئيس الوزراء والهيئة الاستشارية المالية الملحقه بوزارة المالية، والهيئة الاستشارية التعليمية المختصة بالتعليم. ولا شك أن رجال الأعمال والمدراء التنفيذيين في الشركات ممن يتم اختيارهم للهيئات الاستشارية يتمتعون بفرصة الحصول على المعلومات عن السياسات والتوجيهات الإدارية ويلقون دوراً مهماً في صناعة القرارات الحكومية في صياغة السياسات الاقتصادية والنقدية والاجتماعية. ويطلق موظفو الحكومة والوزراء على الهيئات الاستشارية تعبيراً باليابانية حرفياً وهو (دعني أسمع رأيك المميز Let me hear your distinguished views). وإذا علمنا أن عدد هذه الهيئات يصل إلى (٢٥٠) هيئة، وكل هيئة يصل أعضاؤها الاستشاريون بالمتوسط إلى ٣٠ مستشاراً إذ تتراوح جميعها ما بين خمسة أعضاء و ١٨٠ عضواً، فإن أعداد الاستشاريين الذين يتقاضون أجراً إضافياً قد يصل إلى عشرة آلاف مستشار في الجهات الحكومية. ولا شك أن تقرير الهيئة الاستشارية التعليمية المكون من ٤٦٥ صفحة عام ١٩٧٢ يعتبر مصدراً أساسياً لما أطلق عليه الثورة التعليمية الثالثة في اليابان.

ومن الواضح جداً تأثير هذه الهيئات الاستشارية على صياغة السياسات في جميع المناشط في اليابان مما يؤكد أن إعدادها وتعديلها بالحذف والزيادة عن طريق المشاركة الواسعة من هذه الاتحادات والتنظيمات السابقة إلى جانب الهيئات الاستشارية الملحقه بكل وزارة تعطيتها طابع الوضوح والاكتمال والتنفيذ المخلص .

ومن الفعاليات في تميز السياسات اليابانية بأن عدداً كبيراً من موظفي الحكومة ينتقلون لقطاع الأعمال عند تقاعدهم المعروف في سن الخمسين ولا زالوا في مرحلة الشباب وتتلاقح خبرتهم ومهارتهم ومعرفتهم المتميزة كونهم نسبة معتدلة فهم من خريجي القانون بجامعة طوكيو لتطوير قطاع الأعمال بما قد تم التعارف عليه كنمط ياباني المسمى أماكوداري (Amakudari) وتعني حرفياً الهبوط من النعيم بمعنى أن الوظيفة الحكومية وفي القرون الماضية والتقاعد منها يعني الهبوط من النعيم . ونظراً لتغير المفاهيم في العصر الحديث لما تميز فيه قطاع الأعمال من وفرة وغنى ، فقد تغير المعنى الحرفي وأصبح يطلق عليه باليابانية أماغاري (Amaagari) أي حرفياً الصعود إلى النعيم عند التقاعد من الوظيفة الحكومية والانتقال لوظيفة في قطاع الأعمال ، ولأن الوظيفة الحكومية لم تعد تعطي مردوداً كما كانت عليه سابقاً . وينتقل المتقاعدون عند سن الخمسين لقطاع الأعمال ويتجه مثلاً موظفو وزارة المالية للعمل في البنوك والشركات المالية وهكذا . ومع أن هناك توجهات بعمل متقاعدي الحكومة مع الشركات بأن لا يتم ذلك إلا بعد مرور عامين على تقاعد الموظف الحكومي ذو الصلة المباشرة والمرتبطة عضوياً بالشركة ، إلا أن القاعدة في انتقال موظفي الحكومة للعمل في قطاع الأعمال تعتبر مصدراً أساسياً وفاعلاً في تنسيق السياسات الفعالة والمحقة للمشاركة ولأهداف الحكومة وقطاع الأعمال معاً بكل تقدير ودون فوقية للبيروقراطية أو قطاع الأعمال .

وخلاصة القول، فإن إعداد مسودة القرار أو السياسة أو الإجراء لا يأخذ أحادية التوجيه والتوجه وسلطة الحكومة في إصدار التوجيهات دون استجابة للمشاركة من الفعاليات والكوادر الاقتصادية والمالية والتعليمية والأكاديمية في البلاد. ولا يستطيع أحد تحديد مصدر المسودة للسياسات المزمع تنفيذها، إلا أن كثيراً من الباحثين متأكدون من إعدادها الأولي في الجهة الحكومية المختصة. وتنتقل هذه المسودة إلى مرحلة الاستشارات والاجتماعات الرسمية وغير الرسمية النابعة من التقاليد اليابانية المسماة نيمواشي (Nemawashi) التي أتينا لتفصيلها سابقاً وكذلك نظام الرنجي في عملية صناعة القرار والتي تتركز في قيام المستوى الأدنى بصياغة المسودة ومن ثم تداولها إلى المستويات المتتالية في تمريرها على جميع الجهات المختصة لتضع ختم الإدارة على هذه المسودة ومرئياتها بالتعديل أو الموافقة عليها. والتقليد الياباني بنظام الرنجي يقول: (إن ختم المدير يشبه السلاح للمحارب، إذ إنه لا يمكن للمحارب الذهاب إلى المعركة بدون سلاح). ومن التقليدية في النيمواشي والرنجي، ينتقل القرار أفقياً وعمودياً إلى هيئات واتحادات وتنظيمات (Genkyoku) و (Keidanren) و (Zaikai) و (Shingikai) والهيئات الاستشارية العديدة الأخرى التي تلعب دوراً ثانوياً في صناعة السياسات اليابانية، مما سبق يتضح لنا ما يلي:

- (١) أن المشاركة في صياغة السياسات تأخذ طابعاً رسمياً وغير رسمي.
- (٢) أن الاستشارات جزء لا يتجزأ مطلقاً من قيم وأعراف وعادات وثقافة الشعب الياباني.
- (٣) أن الترابط والتلاحم ما بين موظفي الحكومة وقطاع الأعمال في صياغة سياسات نابعة من المشاركة بالاستشارة والاستجابة.
- (٤) أن التلاحق في الأفكار ودون فوقية أو دونية لأحد يؤدي إلى صناعة سياسات

بصياغة وتعديل ومشاركة واستجابة هادقة للفعالية وكفاءة هذه السياسات بالتنفيذ الميسر.

(٥) أن أسلوب الاستشارة المتعمد والمدرّس والمتروى والمحترس كما في اليابان، يعتبر مصدراً للتميز وتحقيق الفعالية والكفاءة.

(٦) أن أسلوب الاستشارة الذي ينتهي، قبل وبعد وفوق وقبل كل ما سبق، بالإجماع يعتبر ظاهرة تعطي ثمارها في تنفيذ السياسة بكل جد وإخلاص وتفاني ودون عنق زجاجة ومنغصات قد تؤدي إلى وصف السياسة بالنقص أو عدم الوضوح أو وصفها بسلبيات مردّها عدم المشاركة.

(٧) أن السياسات تمر بمراحل مؤكدة لمبدأ الرقابة وتوازن القوى أو المراجعة والموازنة (Checks & Balance) في تحقيق الاستشارة والمشاركة والمسؤولية الجماعية في نقل هذه السياسة للتنفيذ بكل جد واجتهاد وتفاني.

المراجع:

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٧٤-٨٥.

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanees Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 34-49, 60-64, 116-123

Komiya, R., Okuno, M., Suzumura K. (editors) Industrial Policy of Japan. Tokyo, Academic Press Inc. 1988. pp. 205-227, 493-556

القيادة الإدارية

القيادة الإدارية في اليابان جماعية وليست فردية كما في الدول الأخرى لأنها محاكاة نفسية بين القائد ومرؤوسيه بتعهدهم الجماعي للعمل على تحقيق الأهداف. القائد الفرد دوره توحيدى وكرمز ومنسق ومتصل. فكرمز توحيدى يتم إرشاده بما يجب عمله من مرؤوسيه بعكس ما هو متعارف عليه في البلدان الأخرى في العالم حتى إنه قيل بأنه من إحدى علامات الموظف الذكي في اليابان هي معرفته وقدرته على توجيه رئيسه؛ لأن الأفكار تنطلق من أسفل إلى أعلى. ويركز مهمته التنسيقية فيما يمكن عمله من قبله لتسهيل عمل مرؤوسيه.

المدير في اليابان عندما تتم ترقيته إلى هذا المنصب ينظر إلى هذه الترقية بحزن مقارنة بغيره في العالم، ويردد أمام رؤسائه ومرؤوسيه بأنه ليس على ثقة تامة باستطاعته أداء العمل القيادي. ولبناء هذه الثقة بنفسه فإنه يحاول أن يقنع نفسه ويقنع رئيسه بأنه موضع ثقة هذا الرئيس لأنه وبدون هذه الثقة من الرئيس فإنه يشعر بالإحباط لأن سنده الرئيسي بأداء عمله هو فوزه بثقة رئيسه والالتزام له. فعلاقة الرئيس بالمرؤوس كما يصفها اليابانيون بالمثل الياباني القائل (الرجل الياباني يسلم حياته إلى من يفهمه) أو كما يصفوها بالتشبيه بعلاقة الزوج بزوجه. فعلاقة الزوج اليابانيون بزوجه عادية ولا يخبرها أنه يحبها ولا يتشاجر الأزواج اليابانيين مع زوجاتهم إذ تشكل علاقة بعد الزواج، من الثقة والصراحة بينهما وتعزز هذه العلاقة بصدق عند افتراض الشمولية.

فالقيادة الإدارية أو المدير تعتبر حالة فكرية تتصف بالأبوية والحمائية والجماعية. فالأبوية والحمائية هي صفات مرتبطة بالتبعية للأسباب الواردة سابقاً. فالمدير الياباني أولاً دقيق في إدارة عمله كونه غير متخصص في نشاط معين؛ لأنه

تنقل بين كافة النشاطات خلال فترة طويلة من حياته الوظيفية ولقضائه فترة طويلة من حياته الوظيفية في العمل الإجرائي والمؤوس. كما يتمتع المدير الياباني بالمشاعر الدافئة على المستوى الشخصي لكون اليابانيون بشكل عام موجهين عاطفياً مقارنة بالمدراء الغربيين الموجهين عقلياً. هذه المشاعر الدافئة مردّها أولاً لخبرته في كافة النشاطات ولقدرته على الانتظار الطويل ليصل إلى المناصب القيادية وكمطلب أساسي للوظائف القيادية.

الانتقال بين جميع التخصصات لكل موظف يؤدي إلى شمولية الموقف، حيث إن التجارب المشتركة بين الأفراد تجعل من الممكن تفهم النظرية الضمنية أو فلسفة العمل الشاملة للشركة. إن العمل في كل الإدارات يجعل مراقبة طرق الاستجابة للمشكلات والتنسيق بين المدراء لحل هذه المشكلات بطريقة منسجمة. فطقوس الرنجي اليابانية تعكس بشكل واضح التعاون والتنسيق القائم الذي أصبح قيماً وعادات ومعتقدات تنظيمية. فالإجماع باتخاذ القرارات تلتزم فيه الشركة من خلال طقوس الرنجي لتأكيد ضرورة التعاون كقيمة مجسدة وليس كقيمة مجردة تتعرض للأهمال والنسيان مع الوقت. كما أن الانتقال بين جميع الإدارات والأقسام والنشاطات يؤكد الاتساق في تحليل وحل المشكلة من شخصين كونهما قد مارسوا العمل في نفس النشاط ويكونون معاً على الموجه نفسه ولديهما تجارب مشتركة ملموسة ويتم التعامل بدون أنانية فردية بكل لباقة وحذق. فالتدريب على رأس العمل والتعلم مدى الحياة بالانتقال بين جميع الأعمال مع التحاق كل مدير مع مجموعات العمل المشتركة يجعل حصيلة التجارب المتشابهة وسيلة ملموسة في اتساق تحليل المشكلة وتوافق الآراء لأفضل الحلول في اتخاذ القرارات الجماعية. فالتجارب المشتركة تضع حداً للتفاوض والاتفاق لاختلاف الآراء ؛ لأنها كونت

لديهم ثقافة مشتركة وتماثل مؤدي للتنسيق والتعاون في العملية الإدارية بشموليتها. المدراء اليابانيون بحكم الطقوس الرنجية يتفقون في البداية على الفلسفة والقيم والأهداف والمعتقدات الأساسية التي تقوم عليها الشركة والتي تشكل حجر الأساس للقرارات الرنجية الجماعية. وبدون هذا الاتفاق المحسوس في انتقال الموظف بين جميع الأقسام والإدارات والنشاطات لتحقيق الاتساق في القيم والمعتقدات، فإن تمرير ومناقشة صناعة القرار من ٦٠-٨٠ مديراً يصبح فيه من الاختلافات ما يؤكد فشل صناعة القرار بالمشاركة. ولذلك فهم يركزون مشاركتهم من هذا المنطلق الاتساقى ومدى مناسبة البديل المقترح وصولاً للقيم والمعتقدات المتفق عليها في البداية.

الرئيس العام أو رئيس مجلس الإدارة الياباني من جهة أخرى متناقضة مع كل الخصائص السابقة إذ إنه يتمتع بسلطة قاطعة لا ينازعه عليها أحد. فمثلاً من الأعراف السائدة أن يطلب رئيس مجلس الإدارة من أعضاء مجلس الإدارة كتابة استقالتهم من المجلس على ورقة وبدون تاريخ وتسليمها له إذ في حالة التنازع على السلطة أو الاختلاف مع الرئيس، فما على الرئيس إلا كتابة التاريخ على خطاب الاستقالة. ومن المؤلف أن يبقى المرؤوسون صامتين في الاجتماع حتى لو كان يعرف أكثر من رئيسه عن موضوع النقاش مما يعكس التبعية بين الرئيس والمرؤوسين. وتبقى هذه الأعراف الإدارية سائدة في قوة سلطة القائد الإداري حتى في حالة تناقض ذلك مع بعض المبادئ التي تم التعارف عليها عالمياً. فالمدير الياباني لا يملك السلطة لتعيين أو طرد مرؤوسيه لأن إدارة شؤون الموظفين تقوم بكافة الإجراءات والتجهيزات للتعيين والتوزيع والنقل بين الإدارات وليس بإمكان المدير إحضار وتعيين موظفين من خارج الشركة كما هو معروف بالغرب بإحضار (فريق عمل) كما يسموها ومع كل ذلك يبقى المدير الياباني صاحب السلطة أو

الصلاحيات التي لا ينازعه عليها أحد. ومن المتناقضات كذلك التي يجب أن نذكرها في هذا السياق بأن المسؤولية لا يتحملها وحده بل تعتبر جماعية وهو ما يتناقض مع خصائص السلطة والصلاحيات.

ويتركز تدريب القادة الإداريين في تنقلهم بين جميع الإدارات ونشاطات الشركة في التركيز على نقاط أساسية في التمييز والتفريق بين الصواب والخطأ والمفيد غير المفيد والمهم وغير المهم والطارئ وغير الطارئ. هذا التركيز على المبادئ الرئيسية والدخول في تفاصيل كثيرة عاطفية وغير عقلانية كما يلاحظ، تعطي المدير القائد الذي تكونت عنده قدرة مذهلة على الانتظار والصبر للوصول إلى المنصب القيادي الزخم والبصيرة في تكوين القدرة على التفريق والتمييز بين هذه العناصر الأربعة والتي تعتبر أساساً ونهجاً في الإدارة اليابانية.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations.

Kondasha America, Inc. 1995. pp. 78-80, 96-98, 151-154

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 191-209

د. إبراهيم عبدالله المنيف، إستراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي، الرياض، دار العلوم، ١٩٩٢، ص ١٠١-١٢٩.

د. إبراهيم عبدالله المنيف، تطور الفكر الإداري المعاصر، الرياض، مطابع الشمس ١٩٩٣. الفصل الثالث عشر (نظرية القيادة) ٤٢٩-٤٧٣.

اتخاذ القرارات

تعتبر اتخاذ القرارات من الوظائف الثلاث الرئيسية للإدارة في الفكر العالمي الإداري المعاصر وهي القيادة والاتصال واتخاذ القرارات من خلال وسائل الإدارة في التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة. وإن كان اتخاذ القرارات يتطلب قيادة اتصالاً كجزء متمم في إجراءات التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، فإن صناعة القرار قبل اتخاذه تبقى مصدراً أساسياً للفكر الإداري في إجراءاتها التي تتم إما من قمة الهرم أو من قاعدته وما نحن بصددته في كيفية صناعة القرار في فكر الإدارة اليابانية. فصناعة القرار هي الجزء الأساسي والرئيسي الذي يسبق اتخاذ القرار، وما نحن بصددته هو العمليتان في صناعة القرار واتخاذه كأحد خصائص الإدارة اليابانية والتي ترتبط في أسلوب التفاوض الياباني الذي يعطينا المؤشرات عن كيفية صناعة القرار في الإدارة اليابانية.

في أي اجتماع تفاوضي مع مؤسسة يابانية، يرافق المرؤوسون اليابانيون رئيسهم للاجتماع ويجلسون صامتين ورئيسهم يتولى الحديث، وحتى لو كان رئيسهم قد تعثر أو لم يجانبه الصواب أو لم يقدم كل المعلومات والأفكار المطلوبة، تجدهم صامتين مما يعطي انطباع أن المرؤوسين لا يملكون أي سلطة. ولذلك تجد المفاوض لا يلقي اهتماماً للمرؤوسين وهذا هو الخطأ بعينه لأنهم هم الذين يصنعون القرار ورئيسهم يتخذ القرار.

والأكثر استنتاجاً لطبيعة المشاركة في اتخاذ القرارات بما هو معروف بنظام الرنجي (Ringi) الفريد في أسلوبه بالعالم كله بضرورة مشاركة جميع المدراء والمشرفين في اتخاذ القرارات. ويستدئ هذا النظام في مشروع ورقة عمل يقوم

بإعدادها صانع القرار من المستوى الأدنى تسمى رنجي شو (Ringi-sho) والتي يتم توزيعها على كافة المديرين للاطلاع والإضافة أو التعديل أو المصادقة في وضع ختم المدير المسمى هانكو (Hanko) الذي يضعه بالمقلوب إذا كان غير موافق على مشروع القرار في النهاية. ويسبق وضع الاختام عملية تقليدية يابانية تسمى نيمواشي (Nemawashi) نابعة بمعناها من الزراعة بضرورة خلع الشجرة مع جذورها وربطها معاً وزراعتها بشكل صحيح حتى تنمو. وتتم عملية النيمواشي بعد انتهاء الدوام وخلال الاجتماعات غير الرسمية في المطاعم والمقاهي بين المدراء لمناقشة أسباب معارضة القرار وقبل وضع الختم بالمقلوب. وتنتهي عملية صناعة واتخاذ القرار باجتماع نهائي لتوقيع الرئيس العام على القرار إذا كان من القرارات الإستراتيجية للشركة بما يعني الالتزام بالتنفيذ. ومع أن إجراءات الرنجي والرنجي شو والنيمواشي وهانكو تأخذ وقتاً طويلاً، إلا أنها تعكس بصورة تعبر عن ظاهرة فريدة الدمج ما بين التقاليد والحداثة. وأكثر ما نستنتجه في التجربة اليابانية في اتخاذ القرارات أن اليابانيين يركزون على الوصول إلى الهدف أكثر من تركيزهم على الهدف نفسه، إذ قد لا يكون الهدف ملائماً أو غير واقعي وانصبابهم على عملية تشكيل ووضوح الهدف لأنهم يرون أنه إذا لم يكن الهدف واضحاً فإن مسؤولية عدم تحقيق الهدف يجب أن تكون كذلك غير واضحة. وأكثر ما يركزون عليه هو عملهم الدؤوب في وضع الخطط في العمل الجماعي والالتزام في تحقيق الهدف.

يرى اليابانيون أن الأهمية القصوى لا تتعلق بالقرار بل بمدى الالتزام فيه ومناصرته عند التنفيذ. وتتجه الفلسفة اليابانية لهذا الطرح إلى أن أفضل وأفضل القرارات قد لا يتم تنفيذها بالالتزام ومناصرة واهتمام شامل وتصبح النتيجة وخيمة

لعدم الاتفاق. وعلى العكس من ذلك فإن أسوأ القرارات قد يتم تنفيذها بالالتزام مما ينتج عنه أفضل السبل التنفيذية والدقة في التنسيق مما يؤدي إلى إكساب القرار صفة النجاح. إن التفهم والمساندة للقرار لدى اليابانيين أكثر أهمية من المحتوى الفعلي للقرار لأن البدائل المتنافسة المعروضة قد تكون متشابهة من حيث إيجابيتها وسلبيتها والاعتماد هنا على تنفيذ القرار. فالأهداف حسب الفلسفة اليابانية هي قيم ومعتقدات يتم ترجمتها إلى غايات ووسائل ويصدر عنها قواعد يمكن اتخاذ القرارات والرقابة من خلالها فقط. هذه الأهداف العامة والضمنية المنطلقة من ثقافة الشركة التي تصبح مشتركة بين المدراء. إن مجموعة الرموز والطقوس والأساطير التي يتم ترجمتها إلى قيم ومعتقدات في تحقيق التعاون المبني على التنسيق البعيد عن الأنانية تم ترجمتها إلى قيم ومعتقدات في تحقيق التعاون المبني على التنسيق البعيد عن الأنانية، ثم ترجمتها مرة أخرى بنظام الرنجي التي تؤدي إلى إلغاء الجوانب الفردية.

صناعة القرار تتم من منطلق تقليدي وتاريخي في اليابان من خلال نظام الرنجي حيث تتم صياغة مسودة مشروع القرار أو صناعته من قاعدة الهرم في المؤسسة ثم يجري تداولها في المستويات الإدارية المتوسطة صعوداً حتى تصل إلى قمته لإقرارها. وتشير الكلمة في اللغة اليابانية إلى قيام أحد المرؤوسين بطلب المشورة والرأي ممن هو أعلى منه في المرتبة الوظيفية بأسلوب من المهابة والاحترام. ويتطلب هذا النظام وقتاً طويلاً من التداول بين المستويات الدنيا حتى يصل إلى متخذ القرار لأن المسافة بين المجموعة التي صنعت القرار ومتخذه واسعة للغاية من حيث الزمان والمكان.

عملية اتخاذ القرارات اليابانية معروفة باسم (الرنجي) الذي يمكننا وصفه

بالموافقة أو المصادقة على القرار بتمرير النموذج للمشروع من أحد المدراء في الإدارة المتوسطة ممن له علاقة وطيدة وتنفيذية بصناعة القرار الذي يتم رفعه خلال التنظيم إلى أعلى لاتخاذ القرار واعتماده والمصادقة عليه. وخلال عملية التمرير هذه، يتم فحص وتمحيص القرار وفي حالة اعتماده يتم وضع ختم المدير الذي صادق عليه. بينما توضح العملية الإجرائية للقرار وصناعته واتخاذها، أما المحتوى لنظام الرنجي كفلسفة تاريخية وثقافة يابانية تحتاج إلى إيضاح لمعرفة مزايا وعيوب والآثار المترتبة على هذا النظام.

فخصائص الرنجي أنه نظام ينطلق بدراسة واقتراح الحلول من قاعدة الهرم إلى أعلى، أي من الجهات التنفيذية المباشرة المسماة باللغة اليابانية (ميداجوشي) أو فاتح الشباك أو المشرفين ومديري الإدارة المتوسطة كمجموعة وليسوا كأفراد ومن منطلق الإجماع، أي إنه مرة أخرى من القاعدة وجماعي وإجماعي وبترباط ديناميكي بين هذه العناصر الثلاثة مع تفاعله بالتقاليد والأساطير والتراث الياباني الذي يتصف بالغموض والمراوغة على أكبر تقدير. فالمجموعة هي مصدره التنظيمي وتفويض السلطة للمجموعة دون أن يتم تحديد دور الفرد مع الخبايا الثقافية المتجذرة بالفرد بهذا النظام منذ طفولته. إنه لمن الصعب أمام هذه المعطيات تحديد دور الفرد أو توضيح الأهداف التنظيمية الرسمية الشاملة أو معرفة إمكانات تجربته في بيئة أخرى. فبناء الجماعية والإجماع بالطرق غير الرسمية من خلال مجموعات العمل والشللية والقرباة والمناقشات والتشاور والإقناع والإجبار بالحدق واللباقة العلائقية غير الرسمية يتم التعامل مع نظام الرنجي بفلسفته وعملياته وإجراءاته.

* واتخاذ القرارات له طقوس تبتدئ في إعداد مذكرة من أحد المدراء أو

المشرفين أو المختصين تسمى (رنجي - شو - Ringi-sho) التي يتم توزيعها على جميع المدراء في الشركة. هذه المذكرة ليست فقط للمعلومية بل للاطلاع والتعليق والموافقة. وعلى المدير التي وردته هذه المذكرة أن يتجاوب معها في حالة موافقته على ما ورد فيها بوضع ختمه المسمى (هانكو - Hanko) على المذكرة. وإذا لم يقتنع بما ورد بالاقتراح نجده يضع ختمه عليها بالمقلوب. ويسبق وضع الأختام في العادة اتصالات غير رسمية وبعد انتهاء الدوام وقبل اتجاه الموظفين إلى بيوتهم عند اجتماعاتهم الخاصة في المقاهي والمطاعم وصالات الألعاب اليابانية بما يسمى (نيمواشي - Nemawashi) والتي تعني كمفهوم تقليدي مرتبط بالأرض والزراعة بأن على المزارع أن يربط ويحزم جذور النبات قبل خلعها من جذورها، وذلك بالاجتماعات الجانبية غير الرسمية للتفاوض والإقناع بين شخصين أو أكثر باعتماد المذكرة رنجيشو (Ringisho) المرفوعة للاعتماد. وتمثل إجراءات النيمواشي جزءاً كبيراً من اتخاذ القرارات حسب نظام الرنجي. وبعد وضع الأختام على القرار بما يعني الإجماع والجماعية في اتخاذ القرار، يتم عقد اجتماع كبير كجزء من الطقوس الإدارية اليابانية للتوقيع الجماعي على القرار والالتزام بتنفيذه.

هذه الديناميكية للعلاقات غير الرسمية والوشائج الشخصية تعتبر خصائص لكل مرحلة من مراحل الرنجي في صناعة واتخاذ القرار وتنفيذه. فمن خلال الجماعة يتم مناقشة كافة الأفكار والبدائل بطرق غير رسمية. ومن خلاله يتم تكييف الرغبات للجميع في التوفيق إلى جانب ازدياد منحنى التعلم للجميع المشاركين في الإقناع والتنسيق بما يحقق في نهاية الدورة الإجرائية أن كافة الأمور المرتبطة بالمشكلة والحل قد تم تغطيتها مما يمهد لتنفيذ القرار. ومما يعطي هذا النظام ميزات بأنه الرئيس الأعلى أو القائد لا يعتبر صانعاً أو متخذاً للقرار بالمعنى

التقليدي المتعارف عليه في البلدان الأخرى، بل بدوره كمنسق ومحفز ومشجع وموفق بحيث لا يمكن معرفة صانع القرار أو حتى من قام بتعديل أو اتخاذ القرار.

فنجاح نظام الرئجي يعتمد على شبكة العلاقات غير الرسمية أولاً لأن معظم المناقشات والتفاوض والإقناع والإجبار تتم من خلال هذه الشبكة في الاتصالات غير الرسمية وجهاً لوجه المسماة نيماواسي والتي تعتبر أساسية لفعالية النظام. كما يعتمد النجاح والفعالية لصناعة القرار على اتساق الأفكار للمجموعة في الشركة وتفهمهم للمشكلة وأبعادها وإخلاصهم وتفانيهم لمصلحة شركتهم. فالوظيفة الدائمة والتدريب والتعليم مدى الحياة والوشائج والعلاقات بين أفراد التنظيم تجعل الاتصالات ميسرة ومرنة وحاذقة ولبقة بين أفراد المجموعة. إن التفهم المشترك المرتبط بالالتزام والإخلاص للشركة تنمو وتتطور من خلال التعيين والتدريب والعمل في مجموعات والترابط الاجتماعي خلال العمل وبعده ناهيك عن التجانس العرقي واللغوي والتعليمي في الجامعات مع بعضهم كطلاب وكموظفين في نفس الشركة لاحقاً بما يحقق في النهاية الالتزام والتفهم المشترك.

ويبقى في النهاية الآثار السلبية على نظام الرئجي في أن اتخاذ القرارات تتطلب وقتاً طويلاً في الحكومة وقطاع الأعمال أمام المزايا الإيجابية التي أوردناها في الجماعية والإجماع والمشورة. ومع استمرار هذا النظام، فقد أصبح جزءاً من المكتب وأثائه وتمر بعض القرارات على المدراء أو المشرفين ويضعون أختامهم بالمصادقة عليها دون مناقشة لقللة الاهتمام وأصبحت روتينية. إلا أن صعودها لقمة الهرم وتميرها على جميع الأقسام يعطي مشاركة واهتماماً حتى إن أحد المدراء يقول: إنه وضع ختمه على ثمانية آلاف وثيقة رئجي في يوم واحد مما يعزز منحني التعلم والمعلومات الوفيرة التي تنتقل في الشركة أو الجهة الحكومية في اليوم

الواحد، وعلى أقل تقدير يصل عدد الاختام على الوثيقة الواحدة بنظام الرنجي إلى عشرين ختماً قبل أن تصل إلى الرئيس العام لاعتمادها وإعادتها إلى المصدر لبدء التنفيذ.

ويتم تدوير مسودة المشروع، أي صناعة القرار، بصورة منفصلة بين أعضاء التنظيم دون مناقشتها في اجتماع مشترك. وعند وصولها إلى قمة الهرم فإن على الرئيس الأعلى الذي يتمتع بسلطة اتخاذ القرار أن يوافق عليها دون تعديل أو تغيير باعتبارها قد خضعت قبل أن تصل إليه لمستويات متدرجة ومتعددة من الفحص والتداول. ولهذا كله فإن الإدارة العليا لا تضطلع بدور القيادة في عملية صنع القرار. إن عملية صنع القرار في اليابان تختلف تماماً عن باقي دول العالم في بدايتها من المستويات الدنيا في صناعتها والمستويات العليا في اتخاذها ومن ثم تعود إلى المستويات الدنيا لتنفيذها.

ومع أن تاريخ اليابان في اتخاذ القرارات كان ولا زال يأخذ طابعاً أبوياً من خلال تركيزه الأساسي المبني على محاكاة الصين بقيام الحكماء وكبار السن في اتخاذ القرارات، وفي عصر الميجي وما تبعه من أخطاء في أسلوب اتخاذ القرارات التي أدت إلى اندثار المجموعات المهيمنة العسكرية من الشوجن واتجاههم إلى نظام الرنجي في صناعة القرار من أسفل إلى أعلى وما جابههم خلالها من صعوبات للقيادات العليا في تغيير صناعة القرار الذي ابتدأت مسودته من المستويات الدنيا في التنظيم. ففي الوقت الذي أخذت فيه اليابان في محاكاة أساليب الإدارة الغربية في الأفكار والمعايير مما نتجت عنه حلول توفيقية ما بين نظام الرنجي ومجهودات البعد الجديد في إقحام الاستشاريين ومكاتب التخطيط والمؤسسات الجديدة في صناعة القرار.

اتخاذ القرارات اليابانية بطقوس الرنجي مبني على قاعدة أساسية بضرورة الإجماع ووضع الاختتام على القرار بما يؤكد الالتزام والمناصرة بالتنفيذ. بيد أن التشابه يؤدي إلى فقدان الحيوية والابتكار والإبداع والتنوع، ولهذا يتم إسناد صناعة القرار إلى أصغر الموظفين سناً وأحدثهم في الوظيفة الذي يقوم بدراسة شاملة وتقديم البدائل المقترحة وبهذا يتحقق الإبداع والابتكار. إن تفويض السلطة هنا لأصغر وأحدث مدير في صناعة القرار يؤكد الاعتقاد السائد في اليابان بأن أصغر وأحدث مدير عليه أن يتعلم من أخطائه؛ لأنه يستفيد منها أكثر من مائة محاضرة تلقاها في الإدارة. وعلى أثره يتم تمرير القرار على ٦٠-٨٠ مديراً ليضعوا أختامهم الرنجية عليه أو مناقشة المدير الصغير في تعديل البديل المقترح خلال الدورة الرنجية مما يتحقق منه التعلم من الخطأ. ومع أن الإجراء الرنجي يأخذ وقتاً طويلاً في صناعة القرارات اليابانية، إلا أن عملية التنفيذ لا تستغرق وقتاً طويلاً لأن الجماعية والتعاون والالتزام ومناصرة التنفيذ للقرار تجعل فعاليته وكفاءته متحققة. وبهذه الطريقة يحقق اليابانيون تفويضاً للسلطة في صناعة القرار الذي يأخذ وقتاً طويلاً إلا أن تنفيذ القرار بعد اتخاذه لا يأخذ وقتاً للمرونة والتيسير في التنفيذ. وعلى العكس يرى اليابانيون أن الأمريكيين سريعين في صناعة واتخاذ القرار إلا أن عملية التنفيذ تأخذ دهرأ.

وقد تعرض نظام الرنجي في عصرنا الحاضر للكثير من الانتقادات لأنه يؤدي إلى التأخير وكثيراً ما تتجه بعض الإدارات المرتبطة باللامبالاة في عدم إبداء الرأي أو المعارضة بصورة صريحة باحتفاظه بمشروع القرار لفترة طويلة كنوع من المعارضة الضمنية على مسودة مشروع القرار. وقد انجذبت شركات القطاع الخاص في تعايشها مع أسس وأساليب صنع القرارات حسب الأنماط اليابانية التقليدية مع

الأنماط الغربية الجديدة الوافدة وأصبحت علاقة الإحلال مرتبطة ما بين التقليدي والحديث. وبرزت مكاتب التخطيط والاستشارات اليابانية الحديثة مثل جايدو (JAIDO) وجايرو (JEIRO) ومكاتب الاستشارات الإدارية بمكاتبها الكبيرة لتلعب دوراً توفيقياً ما بين القديم والحديث ولإعطاء القيادة في قمة الهرم دوراً بارزاً في صناعة واتخاذ القرارات يختلف عن نظام الرنجي.

وتتجه حالياً صناعة القرار إلى قاعدة الإجماع بمحاولات توفيقية لتقليل الصراع ما بين نظام الرنجي كمظهر سلوكي مرتبط بالروح اليابانية التقليدية وخصوصية النمط السلطوي الأبوي الياباني في اتخاذ القرارات مع ظهور البعد الثالث في الاعتماد على مكاتب التخطيط والمؤسسات الاستشارية الصناعية والاقتصادية الحديثة وإدارات البحوث وأجهزة التنسيق ذات الطابع الاستشاري تحقيقاً لصناعة قرارات رشيدة ووقفاً لأي فساد قد ينشأ من إعداد مسودات مشاريع القرارات التي تعتبر مصدراً أولياً لصناعة القرار ونتاجه النهائي في اتخاذ القرارات.

إن خاصية صناعة القرارات اليابانية من أدنى مستوى في المؤسسة وانتقال مشروع القرار إلى المستويات الأعلى لإقراره يعتبر طريقة متميزة عن كافة دول العالم بنظام الرنجي الذي يعتبر من القيم والأعراف والعادات اليابانية. ومحاكاة الغرب في تحديث النظم الإدارية اليابانية أدى إلى التوفيق ما بين القديم والحديث في منهجهم الإجماعي أولاً وفي نهجهم بإظهار المكاتب والإدارات التخطيطية والبحثية والتنسيق لتحقيق الرشد والعقلانية في القرارات المتخذة.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 21-30, 103-110, 127-139, 158-164, 191-209

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 150-153

د. إبراهيم عبدالله المنيف، إستراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي، الرياض، دار العلوم، ١٩٩٢، ص ٨٥-٨٨.

د. إبراهيم عبدالله المنيف، تطور الفكر الإداري المعاصر، الرياض، مطابع الشمس ١٩٩٣. الفصل العاشر (نظرية اتخاذ القرارات) ص ٣٣٧-٣٥٩.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٤٨-١٥٩.

الكفاءة والإنتاجية

الكفاءة والإنتاجية مصطلحان مترادفان لقياس مدى النجاح في تحقيق الأهداف التشغيلية والتنفيذية أو لتحديد معايير الأداء الواجب تحقيقه في المكتب أو المصنع . فكلاهما يركزان على إنتاج سلعة أو خدمة في أقل وقت ممكن وأقل جهد ممكن وأقل تكلفة ممكنة . أما الاختلاف بينهما كمصطلحات ركزت فيها الكفاءة الإدارية على العمل الإداري والخدماتي والمكتبي والإنتاجية على المصنع ، علماً بأنه يتم استخدامها بالإحلال والتبادل في علم الإدارة . وتركيزنا هنا على خصائص الكفاءة الإدارية اليابانية في البيروقراطية الحكومية وقطاع الأعمال ومن ثم على الإنتاجية في المصانع وأسباب تحقيق هذه الكفاءة والإنتاجية وكيفية تحقيقها .

قبل تقويم الكفاءة والإنتاجية اليابانية ، لا بد لنا من العودة إلى الجغرافيا والتاريخ كمصدر من المصادر الأساسية في مساحة الأرض الصالحة للاستعمال الزراعي والسكني والبقاء على قيد الحياة لعدد السكان الكبير على مساحة صغيرة من الأرض تؤثر عليها الأعاصير والهزات الأرضية . فزراعة الأرز كغذاء رئيسي لليابانيين يتطلب بناء وصيانة نظام ري يحتاج إلى أيدي عاملة كبيرة . ولذلك فإن زراعة وحصد الأرز لا يمكن مطلقاً أن يتم بكفاءة وكفاية إلا بتعاون ما يزيد عن عشرين فرداً أو أكثر لذلك ، إذ إن الأسرة الواحدة لا يمكنها إنتاج كفايتها فقط ، وبدون كفاءة ، احتياجها من الأرز إلا إذا عملت عدة عائلات كمجموعة ليكفي هذه العائلات معاً ويزيد عن حاجتهم وبذلك تتحقق الكفاية والكفاءة . إن العمل المشترك يعتبر قيمة وهدفاً وعرفاً وعادة تمسك بها اليابانيون منذ آلاف السنين لانعزالهم عن العالم ولتحقق لهم البقاء على قيد الحياة . فمساحة الأرض القابلة للزراعة وعدد السكان الكبير والكوارث الطبيعية أوصلتهم إلى ضرورة الكفاءة .

كما أن العمل المشترك في القرية لتحقيق كفايتهم من الأرز زرع وجذر وشائج القربى منذ قرون إلى حيز الوجود القيمة الاجتماعية في العمل المشترك والجماعية وانعدام الأنانية الفردية حيث إن الفرد ليس له قيمة تذكر بالنسبة للجماعة. ولا يفوتنا أن ننوه هنا أن علماء الاجتماع يركزون على أن الجفاء وانعدام الألفة يؤثر على نوازع النفس البشرية في الإنتاج لأن انعدام الصداقة بين العاملين يقلل الثقة ويزرع الحسد والحقد والكراهية بدلاً من الألفة والمودة. إن الرقة والتعذيب مصدرهما نفسي بحث من العلاقات الاجتماعية المبنية على تبادل المصالح وانعدام الأنانية. كما أن حدة الذهن لا تأتي إلا من العيش بسلام مع النفس بداية ومع الآخرين كنتاج. فقد ازدادت الكفاءة والإنتاجية لديهم بنسبة ٤٠٠٪ مقارنة بأمريكا خلال السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية بسبب المشاركة في الإدارة كأساس للارتقاء بمستوى الإنتاج. إن تعلم الأفراد منذ بداية الحياة الوظيفية للعمل بروح الجماعة وزرع التعاون والتآلف على المدى البعيد بالوظيفة الدائمة أدى إلى الكفاءة من الفلسفة والثقافة العامة. إن الإنتاجية والثقة صنوان لا يفترقان، إذ بانعدام هذه الثقة بين العامل والإدارة تعتبر السرطان الذي يؤدي إلى الشلل للاقتصاد الوطني.

من الصعب جداً تقويم الكفاءة الإدارية أو حتى الإنتاجية للأجهزة الحكومية في اليابان لأن إنتاجهم، كغيرهم من الأجهزة الحكومية في العالم غير مقيم في السوق بعكس قطاع الأعمال الذي تتحدد كفاءته بالربح أو الربحية من المبيعات للمنتج أو الخدمة والذي يخضع لمقاييس ومعايير في الصناعة والمنافسة. الأجهزة الحكومية ليس لها جدول كميات إنتاج ولا سلعة مبيعة في السوق ولا ربح أو ربحية وحتى يصعب تعريف وتحديد منتجاتها بشكل مرتبط بمقاييس جزئية. إلا أننا من منظور اقتصادي شمولي نستطيع تحديد الفعالية للأجهزة الحكومية وعلى

أثره نربطها تبادلياً بالكفاءة مما تقدمه الحكومة من تيسير للحركة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد. فقد كانت وجهة نظر آدم سميث أول منظر اقتصادي قدم نظريته المكتوبة بوضوح بقوله: إن المصدر الرئيسي للتفاوت بين ثروات الأمم مرتبط بحكمة أو غباء السياسات الحكومية، فالعديد من الاختلافات في الأداء بين الاقتصاديات في جميع الدول يمكن إرجاعها إلى الاختلافات في السياسات الحكومية. وعلى أثره يمكن إرجاع النجاح الاقتصادي في اليابان قبل وبعد الحرب العالمية الثانية إلى حركة الإصلاح الميجية (نسبة للإمبراطور ميجي) قبل الحرب العالمية الأولى وحركة التصحيح التي نفذها اللواء مكارثر بعد انهزام اليابان واحتلالها من قبل أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية. إلا أنه كذلك ما يعتبر مصدراً للكفاءة الإدارية في الأجهزة الحكومية، مثلها مثل قطاع الصناعة والأعمال، خصائص الإجماع والجماعية ونظام الرنجي في اتخاذ القرارات الذي يعتبر عائقاً في تحقيق الكفاءة المطلوبة. فصدور التوجيهات الإدارية من الحكومة يتطلب وقتاً طويلاً من المشاركة والمشورة وتمرير الأوراق بنظام الرنجي مما يدعونا للوصول إلى نتيجة مؤداها أن الكفاءة الإدارية في صناعة القرار قد تأخذ وقتاً طويلاً. ويرى اليابانيون هنا أن الأهمية القصوى تكمن في مدى الالتزام والمناصرة للعملية التنفيذية للتوجيه الإداري باتخاذ القرار بعد صناعته. وتنبع الفلسفة اليابانية بهذا الطرح من أن أفضل وأفضل القرارات قد لا يتم تنفيذها بالالتزام ومناصرة واهتمام شامل وتصبح النتيجة وخيمة لعدم الاتفاق خلال مرحلة المشاركة والمشورة. وعلى العكس من ذلك فإن أسوأ القرارات قد يتم تنفيذها بالالتزام مما ينتج عنه أفضل السبل التنفيذية والدقة في التنسيق مما يؤدي إلى إكساب القرار صفة النجاح. إن التفهم والمساندة للقرار لدى اليابانيين أكثر أهمية من المحتوى

الفعلي للقرار؛ لأن البدائل المتنافسة المعروضة قد تكون متشابهة من حيث إيجابيتها وسلبيتها والاعتماد هنا على تنفيذ الالتزام بالقرار. من ذلك كله نستنتج أن الأجهزة الحكومية تحاول تحقيق الفعالية والكفاءة الإدارية للحكومة اليابانية في الاستمرارية للموظف الحكومي بالوظيفة الدائمة دون تأثير من الحزب الليبرالي الديمقراطي الحاكم. فنائب الوزير الدائم وجهازه الإداري لا علاقة لهما بالسياسة والائتلاف الحكومي، مما يعزز الفعالية الإدارية إلا أن الكفاءة الإدارية تتأثر في طول الوقت الإجرائي المرتبط بالمشورة والجمعية والإجماع ونظام الرنجي.

أما في قطاع الأعمال فينصبُّ الاهتمام لديهم بحجم الإنتاج المرتبط بمفهوم اقتصاديات الحجم والإنتاج المكثف المعروفة لدى علماء الاقتصاد لمزاياها في تقليل التكاليف الكلية للوحدة الواحدة مع زيادة الحجم. فالشركات اليابانية تهدف لتحقيق أغراضها الأساسية الثنائية في تقليل كلفة تسديد الإقراض الرأسمالي وإمكانية دفع التكاليف المباشرة للموظفين. هذه الشركات الصناعية تحصل على قروض طويلة الأمد من البنوك أو من البنك المرتبط بالشركة عند تأسيسها كجزء من حقوق المساهمين. فإذا كان رأس المال مائة مليون ين، فإن المساهمين يدفعون ٢٠ مليون ين وتقترض الشركة ٨٠ مليون ين قرضاً طويلاً الأجل وتكون فيه بمرحلة يكون فيه معدل رأس المال المدفوع للقرض ٢٠ إلى ٨٠. وتركز الشركة على حجم الإنتاج وكفاءته في اقتصاديات الحجم في سبيل دفع قسط القرض البنكي وفائدته لتعديل النسبة أعلاه لصالح حقوق المساهمين. أي إنه لا وسيلة أمام الشركة إلا بزيادة الإنتاج وصولاً إلى تغطية التكاليف الإنتاجية من خلال بيع كمية كبيرة من الإنتاج.

وترتبط الكفاءة والإنتاجية كذلك بفلسفة الوظيفة الدائمة والزيادة السنوية التلقائية في الرواتب والأجور، أي إن استمرارية الوظيفة الدائمة حتى التقاعد والزيادة هاتين لا تجعل لهم أي وسيلة مطلقاً إلا بالتركيز على اقتصاديات الحجم وزيادة الإنتاج؛ لأن جميع هذه التكاليف مع قرض البنك تعتبر جزءاً من تكلفة السلعة المنتجة. فليس هناك أي مخرج للإدارة إلا بزيادة حجم الإنتاج لدفع هذه التكاليف الرأسمالية والتشغيلية أساساً لسياساتهم وإجراءاتهم. إن انعدام الإنتاجية أمام هذه المعطيات هو نداء لانخفاض الأداء وخسارة المنافسة وحصة السوق والقضاء على فلسفتهم في الوظيفة الدائمة والزيادة السنوية التلقائية. إن زيادة الكمية المنتجة والذي على أثره تنخفض تكلفة الوحدة المنتجة باقتصاديات الحجم يحقق لهم الربط ما بين الفلسفة اليابانية وتحقيقها.

وتتأثر الإنتاجية كذلك إيجابياً بارتباط الصناعة الجديدة بالشركة الأم المبنية عن الزياتسو لما قبل الحرب. فالاحتكارات الجديدة في اليابان أدت إلى ظهور الزياتسو بطريقة جديدة إذ ترتبط الشركة الأم بعدد كبير من الشركات الشقيقة والبنك التابع للشركة الأم مع شركات عديدة موردة لهذه الشركات للمواد الخام والخدمات. وعند إنشاء مصنع تقوم الشركة الأم بنقل المدراء والمشرفين والمهنيين الأساسيين للشركة الجديدة وتقوم بتعيين متدربين جدد برواتب ضئيلة جداً كمتمدرين تزداد رواتبهم السنوية التلقائية لمدة عشر سنوات خلالها يحصلون على ميزة الوظيفة الدائمة. وتزداد إنتاجية هذه المجموعة الجديدة من العاملين برواتب قليلة بالتدرج حتى إنها تصل لثلاثة أضعاف إنتاجية المشرفين والعمال القدامى ممن أكملوا ثلاثين سنة في العمل ورواتبهم أصبحت عالية. ومن خلال استغلال هذه الطبقة الجديدة من العمالة ليتحقق لهم مزايا الوظيفة الدائمة تزداد الإنتاجية وتصل

تكلفة الوحدة المنتجة إلى مستوى مقبول محقق للوظيفة الدائمة والزيادة التلقائية السنوية. وقد يحدث لظروف الكساد والأداء أن لا يتم تغيير الراتب دورياً وتكون الشركة قد حققت تخفيضاً في بند الرواتب والأجور والمكافآت بنسبة تصل إلى ٤٠٪ دون أن تنهي خدمات موظفيها مع تعيين متدربين جدد برواتب ضئيلة وتعود إلى زيادة الإنتاجية مرة أخرى.

ومع أن هنالك سياسات وإجراءات عديدة في الإدارة اليابانية لتحقيق الكفاءة والإنتاجية مثل جماعات العمل الصغيرة ونظام الاقتراحات ونظام الوقت المحدد (Just In Time) الذي ابتكرته تويوتا ودوائر النوعية (Quality Circles) ونظام النوعية الشاملة (TQM) ونظام كيزن (Kaizen) الذي سنأتي لتفصيلاته لاحقاً أثراً كبيراً على الكفاءة والإنتاجية. باختصار شمولي هنا ننظر إلى الفلسفة والسياسة وأثرها على الإنتاجية التي أوضحنا مصادرها، إذ إن الخصائص الديموغرافية والجغرافية بالجماعية والمشاركة والثقة والألفة مع الراحة النفسية في الوظيفة الدائمة تزداد الإنتاجية وعلى أثره تتحقق اقتصاديات الحجم وصولاً إلى سلعة منتجة عالية الجودة وبأسعار مقبولة تحقق لهم حصة السوق والاستمرارية وعلى أثره الربحية في النهاية.

وقد تحققت المعجزة اليابانية في الصناعة منذ بداية القرن العشرين بفعل تركيزهم على الإنتاج المكثف كما أوضحت سابقاً وكذلك في عملهم الحثيث على التمييط والتأطير (Standarization) لجميع العمليات والإجراءات وإصرارهم على تطبيق المواصفات والمقاييس المعروفة (JIS). إلا أن اتجاه اليابان الحالي نحو صناعة المعلومات والتمويل البنكي المسماة (Knowledge Base Industry) والذي لا يتحقق من خلاله الإنتاج المكثف أدى إلى انعدام الكفاءة والإنتاجية والضعف

المقارن بالدول الغربية. ولهذا لم تتجه اليابان للصناعات الفضائية (Aerospace) والتي تحتاج إلى قرارات سريعة وإبداع خلاق لا تتوفر لديهم بفعل التركيز على الإنتاج المكثف والتنميط.

المراجع:

- Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondashs America, Inc. 1995. pp. 35-37, 253-269
- Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 30-32, 240-247

التنظيم والإدارة

هذا الموضوع الشامل يحتاج إلى توضيح في ضرورة التركيز على خصائص الإدارة العليا أولا ومن ثم خصائص السياسات والسلوكيات التنظيمية فقط دون الدخول في شموليات وجزئيات تمت معالجتها في أجزاء عديدة أخرى في السلوك الفردي والقيادة واتخاذ القرارات والتمويل والتسويق. نود أن نتعرف على الفلسفة الإدارية اليابانية ومنطلقها التنظيمي فقط من منطلق فردي نابع من حضارة العزلة والتجانس العرقي واللغوي والحضاري.

مجلس الإدارة والإدارة العليا صنوان لا مفارقة بينهما إذ إن أعضاء مجلس الإدارة هم المدراء في الشركة ولا يوجد بشكل نسبي أعضاء في مجالس الإدارات من خارج الشركة أو من المساهمين إذ أن معظم أعضاء المجلس هم مدراء تنفيذيون بالشركة ويرأسها الرئيس العام عضوا منتدبا من المدراء ذوي الأقدمية يتم اختياره من بين أعضاء مجلس الإدارة لأن الأقدمية هي أساس الترقية للمناصب العليا والتنفيذية في قطاع الأعمال والحكومة. هذه الفلسفة التنظيمية مصدرها الاصلاح الهيكلي الذي تم تنفيذه من الجنرال مكارثر بعد الهزيمة للعسكرة اليابانية واحتلال اليابان من القوات الأمريكية في نظام الشركات المعدل لعام ١٩٥٠. وقد أوضح التعديل لهذا النظام أمورا عديدة أهمها بهذا الخصوص القضاء على احتكار الزياتسو الذي كانت الشركة الأم تتولى فيه تعيين أعضاء مجلس الإدارة من المركز الرئيسي ولا أمل أو مجال للإدارة العليا آنذاك لأن يكون لها دور في الإستراتيجيات والسياسات العامة للشركة، بل اداة تنفيذية تقوم بتطبيق السياسات الموضوعة من مجلس الإدارة من الشركة الأم. هذا التغيير الجذري أعطى حافزا ودافعا أساسيا لبناء الاقتصاد والصناعة لفتح المجال للمديرين في الشركة نفسها

ليصبحوا أعضاء في مجلس الإدارة بدلا من الأعضاء المعينين من احتكار الزياتسو. هذه التفردية اليابانية أعطت زخما يمكن تقييمه الايجابي بالولاء والالتزام والتضحية والاخلاص من المجلس/المديرين/التنفيذيين لما فيه مصلحة المساهمين والموظفين والعمال والحكومة والمجتمع. فقد عدل اليابانيون تعبير المساهمين (Shareholders) إلى المستفيدين (Stakeholders) لشمولية المنافع بعد الحرب. أن فتح المجال للمديرين بعضوية مجلس الإدارة لعدد وصل عام ٥٩١. إلى ٥٢٠ شركة وبنك في مهنية واحتراف الإدارة كمردود ايجابي لسياسات مكارثر في حل الاحتكارات واعطاء الفرصة للمدراء التنفيذيين ذوي الخبرة كدماء جديدة بالترقي إلى عضوية مجلس الإدارة واختيار الرئيس العام للشركة الذي تتضح أهميته ضمن الأعضاء الآخرين، بدلا من الأعضاء المعينين من الزياتسو اللذين أرغموا على التقاعد آنذاك. ولا يفوت التنويه هنا على خاصية الإجماع التام لدى مجلس الإدارة - مجلس المديرين التنفيذيين بصناعة واتخاذ القرار كونهم يعملون مع بعضهم على مرّ السنين مع الرئيس العام الذي أختارهم لعضوية المجلس ويتحمل الجميع المسؤولية التامة عن القرارات والسياسات المنفذة وفي بعض الأحيان يتحمل أصغر الأعضاء سنا المسؤولية ويستقيل من الشركة حفاظا على المجموعة. وقد ابتدأ هذا التنظيم بعد حل الزياتسو عام ٥٩١. بأن تشكل مجلس الإدارة من عشرة أعضاء بالمتوسط ما فتىء أن ازداد في الوقت الحاضر ما بين عشرين إلى ثلاثين عضوا وينبثق عنها لجنة تنفيذية من عشرة أعضاء، حتى تتمكن المجموعة من احتواء العمل المطلوب في مراحل النمو المضطرد الذي شهدته اليابان.

ومع اصلاحات مكارثر في تعديل نظام الشركات عام ٥٩١. وحل

الزيباتسو، انبثق مبدأ الفصل ما بين امتلاك الشركة والرقابة عليها مما أعطى تغييرا في الأهداف العامة وأهمية الجمعية العمومية للمساهمين والتركيز على الأرباح العالية لصالح المساهمين (Shareholders) الذي ابتدأت الفلسفة الإدارية اليابانية تنادي بالأهداف لصالح المستفيدين (Stakeholders). وهذا بلا شك أحد الأسس الاصلاحية التي فرضها الاحتلال الأمريكي في مبدأ الوظيفة الدائمة على مجتمع فقير عانى ويلات الحرب وليس له وسيلة للأمان والاستقرار الا بفرض عملية الوظيفة الدائمة كوسيلة لإنهاء حالة العسكرة بناء الديمقراطية. كما أن استخدام مكارثر للنخبة التي كانت بمواقع إستراتيجية تنفيذية أيام الفاشية العسكرية مستشارين في مكتبه كحاكم عسكري، أعطت اطارا لنظرية التنظيم اليابانية في العقلانية والرشد المبني على هدف الاستقرار العام.

ورافق هذه الاصلاحات الإدارية وحياء التراث الياباني نهضة إدارية لا مثيل لها في العالم ظهرت في عام ٥٥٩١ باسم (الطفرة الإدارية) باستيراد وترجمة كامل النظريات الإدارية الغربية وتعيين المستشارين الأمريكيين لتدريب وتطوير المديرين اليابانيين. ومع كل ذلك، فقد رافق هذه الطفرة عمليات توفيقية ملائمة للنظريات الإدارية الأمريكية بما يتفق والتراث والثقافة اليابانية مثل خطوات الحياة الوظيفية وفلسفتها والوظيفة الدائمة وكثير من الجوانب المسلكية التي رافقت هذا التلاحق في تطبيق كثير من النظريات والمفاهيم الأمريكية في الشركات اليابانية من منطلق الجماعية والاجماع كذلك والذي لا يتوفر في النظام الأمريكي.

والمنظومة العامة للإدارة العليا لا تركز على أهداف محسوسة ومحددة وواضحة يجب تحقيقها ضمن زمن معين، كما أنه ليس لديهم قناعة بتحديد الأغراض أو ما هو مطلوب من كل مدير تحقيقه في تقليل تكاليف التشغيل أو

تخفيض حجم التمويل البنكي أو تحقيق رقم ربحي معين كما هو معروف في الإدارة بالأهداف. كما أنهم لا يركزون على التقويم الأدائي الجزئي أو الفردي من منطلق عدم الرغبة في الحديث عن الأهداف الفردية التي تعتبر غير معروفة لديهم، بل يهتمون بالأهداف العامة التي يسعى الجميع لتحقيقها في التركيز أولاً وأخيراً على نوعية وتميز المنتج وإرضاء المستهلك والتعامل بصدق وأمانة وإخلاص والتزام مع المورد كشريك. إن النظرة العامة للأهداف لديهم تعني القيم التي يؤمنون بها ويتعاملون لتحقيقها مما يجعل الجماعة مصدراً لتحقيق هذه القيم.

وعلى نفس المنهج و النهج، ينعدم لدى الإدارة العليا الاهتمام بازدياد الأرباح أو الربحية العالية لأسباب مرتبطة بالتمويل البنكي كإجراء ولعدم وجود حوافز خاصة لمجلس الإدارة واللجنة التنفيذية مرتبطة بالربح كما في الغرب بمنح الأسهم المجانية. ولأن المديرين يتمتعون بمزايا الوظيفة الدائمة ويتقاضون مكافآت متساوية مع جميع العاملين في حالات الرخاء، فإنهم ينظرون إلى الربح بمنظار طويل الأجل؛ لأن الثقافة اليابانية والقيم العامة في المجتمع تنظر إلى الربح من منظار سعة الأفق والمصلحة العامة، وتركيزهم على العائد للمستهلك والموظف والمساهم والوطن بهذا الترتيب.

وكلمة السلطة وتفويض السلطة ليس لها وجود حي في اللغة اليابانية أو إنها قليلة الاستعمال، وأكثر الكلمات استخداماً لتعني السلطة هي تعابير وكلمات مرتبطة بالجماعية مثل المشاركة والقبول والمقاومة والثبات والتحمل ككلمات مفتاحية للتعبير عن السلطة. وكل ما تعنيه السلطة لهم في دور القائد واهتمامه بالتابعين والمرؤوسين ورفع روحهم المعنوية والتي تؤكد فعاليته في الوصول إلى القبول بأفكاره وآرائه وقيادته. كما أن أفكار تفويض السلطة يعتبر دخيلاً وأجنبياً على ثقافتهم ولا يتعاملون مع هذه المصطلحات لأن الجماعة والإجماع والرنجي لا

يسمح للفردية أن تتعرض من خلال تفويض السلطة. فالسلطة جماعية والمسؤولية كذلك ولا يتفقون مع النظرية الغربية في ضرورتها لأنها مفترضة مسؤولية والتزام على المجموعة وليست مسؤولية الفرد. وعلى نفس الوتيرة، لا يرون ضرورة لتدخل الاستشاريين في العمل التنفيذي لأنهم يرون في تداخلاته خذل وهبوط للروح المعنوية للعاملين التنفيذيين. وكل هذا لا يمنع حدوث الأخطاء الجسيمة والكوارث التي يتحمل مسؤوليتها الرئيس في تقديم استقالته أو حتى في ارتكاب جريمة الانتحار التي تعكس كثيراً من الأساطير المتوارثة عن الحضارة والثقافة اليابانية.

ومن أكثر المظاهر المنهجية استغراباً وإثارة للدهشة في الإدارة الأهمية والتأثير الملحوظ لإدارة شؤون الموظفين أو ما تم الاتفاق على الاصطلاح الحديث لإعطائها نوعاً من الأهمية (إدارة تنمية وتطوير القوى البشرية). وهذا دون شك مصدر اختلاف مقارن مع جميع دول العالم التي لا تعطي هذه الإدارة أهمية مشابهة للفكر الإداري الياباني. وتنطلق فلسفتهم من الهدف الرئيسي في بتر الفساد العاطفي بشقيه السلبي والإيجابي في القضاء على إساءة استعمال السلطة في الترقية أو إساءة معاملة الموظفين في عمليات الترقية والنقل. وعمليات وإجراءات النقل لا تتم من الإدارة التنفيذية وإنما تتم من قبل إدارة شؤون الموظفين وكل ذلك للحد من الأهداف قصيرة المدى أو لتحقيق غايات خاصة في الاحتفاظ أو النقل لنظرتها الكلية لمصلحة الشركة. كما أن هذه المنهجية منطلقة من أن بعض المدراء ينظرون نحو تحقيق أهدافهم النشاطية أو المحلية ويحاولون التعاطف مع موظف لترقيته ضمن إدارتهم أو العكس في نوازع البغض والكراهية لموظف ما ومن نوايا طيبة أو اتجاهات عاطفية قد تؤدي إلى تخصص ضيق لمن تم ترقيته من منطلق الهدف القصير المدى أو الهدف المحلي الضيق. لذلك كله فإن هذه القرارات

المصيرية تتم بالتشاور والتوصية لإدارة شؤون الموظفين التي تتمتع بصلاحيات واسعة جداً في الإدارة اليابانية. ولأن مدير شؤون الموظفين يعتبر من أكثر المدراء التنفيذيين تأثيراً كونه ذي أقدمية وبنال احترام جميع المدراء قد يلغي قراراً أصدره أحد أعضاء الإدارة العليا للاحتفاظ بموهبه معينة بناء على قدرته وعطائه بتلك الإدارة لأنها الإدارة الوحيدة التي تتمتع ببصيرة نافذة للأهداف والمصلحة العامة للشركة على المدى الطويل.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 22-31, 187-198, 216-224

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 47-49, 51-53, 227-229, 244-246

الفصل الرابع

المفاهيم والأسس الإدارية اليابانية

- إدارة الجودة الشاملة
- النظام الإداري (كينز) للتحسين المستمر
- الإدارة التسويقية
- الإدارة البنكية
- الإستراتيجية الإدارية اليابانية
- إستراتيجية انتقال وتطوير التقنية

إدارة الجودة الشاملة

لاشك أن مفهوم الجودة قديم قدم الزمن، إلا أن التوثيق و التناول الفكري لم يظهر إلا مع النهضة الصناعية الحديثة وقيام الصناعة وظهور نظرية الإدارة العلمية لتايلور وزملائه في الفترة من (١٨٨٠ وحتى ١٩٢٠) في دراسات الحركة والوقت ونماذج الإنتاجية الكثيرة والدراسات الإحصائية. وقد مرت بمراحل عديدة أولها مراقبة الجودة من العامل منفرداً، ثم انتقلت لمراقبة الجودة من المشرف خلال ظهور نظرية الإدارة العلمية، وما لبثت أن تطورت أثناء الحرب العالمية الأولى إلى الفحص عن طريق مفتشين متفرغين لأعمال الفحص والمراقبة. وفي المرحلة الرابعة التي تسمى المراقبة الإحصائية على الجودة التي جاء بها إدوارد ديمينج الأمريكي خلال فترة عمله بشركة جنرال موتورز عام ١٩٣٠، إلا أنه لم يلق أذناً صاغية في بلاده وقام بتنفيذها في اليابان وبعد انهزامها في الحرب العالمية الثانية والاتجاه الشديد لليابان نحو استيعاب ونقل التقنية والإدارة الأمريكية لليابان. وتمثل هذه الخطوة الرابعة أهم مراحل تطوير المراقبة على الجودة. ثم جاءت المرحلة الخامسة الأخيرة بالمراقبة الكلية على الجودة والتي يعتبر فيها الدكتور جوزيف جوران الأمريكي من أكبر المنظرين فيما يتعلق بمساعدة اليابانيين في تعميم مفاهيم الجودة. إن الاهتمام الظاهر عالمياً في الجودة من منظور كلي ابتداء واضحاً في الغرب خلال السنوات العشر الماضية بعد أن تحقق للغرب الدور الكبير الذي حققتة الإدارة والصناعة اليابانية التي أضحت منافسة لكافة صناعات العالم من حيث الجودة للمنتج والسعر المعقول.

وقبيل الدخول في التجربة اليابانية للجودة، من الضروري التعريف بها وملامحها العامة بشكل مختصر ومبسط. ولكثرة هذه التعاريف، فإنه بات من

الضروري عرض بعضها وصولاً إلى معرفة واضحة لأبعادها. فقد عرفها الكثيرون، إلا أن التعاريف التالية تشكل في معظمها مساقاً نحو الهدف وهي:

(١) درجة متوقعة من التوافق والثقة عند تكلفة محدودة تتناسب مع السوق.

(٢) الملاءمة للاستخدام والغرض.

(٣) التوافق مع المتطلبات.

(٤) تقديم سلعة أو خدمة يعتبرها المستهلك مرضية ومشبعة لحاجاته.

(٥) خلو المنتج من العيوب دون أي فاقد للمواد والطاقة والوقت.

(٦) تسليم المنتج إلى المستهلكين في الوقت المحدد نفسه دائماً.

(٧) حاجات المستهلك غير محددة ويجب إشباعها بحداقة وفي الوقت المناسب وبطريقة تراعي اللياقة في التعامل والمجاملة.

(٨) مجموعة من المبادئ والأدوات والإجراءات التي توفر حاجات المستهلك.

(٩) الرقابة والتحسين المستمر لجودة المنتج ولكيفية أداء الأعمال من أجل الوفاء بتوقعات المستهلك.

(١٠) فلسفة تدرك أن احتياجات المستهلكين وأهداف الشركة لا ينفصلان.

(١١) فلسفة تحقيق أهداف المنظمة والوفاء بما يتوقعه المستهلك والمجتمع بالطرق الأكثر كفاءة وفاعلية في التكلفة وذلك بتعظيم الطاقات الكامنة في العاملين بدفع مستمر للتطوير والتحسين.

(١٢) خلق ثقافة متميزة في الأداء لتحقيق توقعات المستهلك.

(١٣) الزيادة المستمرة في إرضاء المستهلك عند تكلفة أقل.

(١٤) نمط تعاوني للأداء والإنجاز اعتماداً على القدرات والمواهب المشتركة للعاملين

✓ من أجل تحسين الإنتاجية والجودة من خلال فرق العمل .
(١٥) إدارة الجودة الشاملة هي :

الإدارة: التطوير والمحافظة على إمكانيات الشركة من أجل تحسين الجودة بشكل مستمر .

الجودة: الوفاء بمتطلبات المستهلك وتجاوزها .

الشاملة: البحث عن الجودة في أي مظهر من مظاهر العمل ابتداءً بالتعرف على احتياجات ورغبات المستهلك وانتهاءً بتقييم ما إذا كان المستهلك راضياً عن الخدمات أو المنتجات المقدمة له .

(١٦) التعرف على والوفاء بأكثر من توقعات المستهلك .

✓ (١٧) الوفاء بتوقعات وإرضاء كل من هو مرتبط بالشركة من موردين ومستفيدين ومستهلكين وحملة أسهم وموظفين وإدارة وعمال .

هذه التعاريف العديدة والمختلفة في بعض الأحيان والمتراصة في الحين والآخر بينهما أفكار ومفاهيم مشتركة هي :

(١) الجودة هي ما يسعى المستهلك له لأرضاء وإشباع حاجاته ورغباته .

(٢) الشركة المنتجة للسلعة أو الخدمة هدفها الرئيسي والأساسي إشباع وإرضاء حاجات ورغبات المستهلك بتقديم السلعة ذات الجودة .

(٣) التزام الإدارة العليا بشكل دائم ومستمر ودون تكاسل أو استرخاء بجعل الجودة في المقام الأول من إستراتيجياتها وسياساتها ورقابتها واهتمامها .

(٤) العمل الدؤوب للتحسين المستمر للعمليات التي يؤدي بها العمل من أجل تحقيق الجودة .

- (٥) التنسيق والتعاون المستمر بين جميع الإدارات والأقسام وفرق العمل لتحقيق الجودة.
- (٦) إشراك جميع العاملين في الشركة وعلى كافة المستويات في الجهود لتحسين الجودة.
- (٧) إشراك الموردين والمستفيدين في جهود تطبيق إدارة الجودة الشاملة.
- (٨) التركيز الدائم على مبدأ الجودة من خلال جميع مراحل الإنتاج وليس فقط المرحلة النهائية.
- (٩) الاستخدام المستمر لأساليب البحث العلمي.
- (١٠) التأكيد المستمر على الجهد الجماعي وليس الجهد الفردي.

إن إدارة الجودة الشاملة كما نعرفها اليوم بدأت خلال فترة الاحتلال العسكري لليابان بعد هزيمتها بالحرب العالمية الثانية والإصلاحات العديدة التي أدخلها الجنرال دوجلاس مكارثر ما بين (١٩٤٥-١٩٥٢) على الحياة اليابانية بشكل عام والتي كانت قابلة للتغيير والتوفيق والملاءمة بين حضارتها وثقافتها ومتطلبات العصر الحديث في الصناعة. فالجغرافيا والتاريخ وندرة الموارد وكثافة السكان وحجم الأرض مع ما رافق اليابان الفاشية من تضخيم وصناعة في الجانب العسكري واحتلالها لأجزاء من الصين ومعظم دول شرق آسيا وهزيمتها لروسيا أعطتها زخماً وقدرة في تحويل كل هذه المعطيات والقدرات البشرية نحو الصناعة السلمية التقنية للمحافظة على استقلال اليابان من الاستعمار، مع ما رافق فترة الاحتلال من معونات أمريكية وبرامج إنمائية لم تر أي دولة في العالم لها مثيلاً من قبل وبعد. وأول ما قام به الجنرال مكارثر بالطبع في حل الاحتكارات وإعطاء رجال الأعمال والصناعة مقامهم الأول في النهوض ببلادهم وفي البدء في استيراد

ونقل وتطويع التقنية الغربية للأغراض السلمية. وكان ممن كان لهم الدور المؤثر وليم إدوارد ديمينج (W. Edward Deming) في استخدامه لنظريته التي لم تلق اهتماماً في أمريكا خلال فترة عمله مع شركة جنرال موتورز في الرقابة الإحصائية على العمليات وكجزء من برامج الشركات الأمريكية التي حصلت على مميزات في البرامج الاستثمارية المعانة بإنشاء الشركات الأمريكية اليابانية المشتركة، ثم التحاق ديمينج مع مجموعة الخبراء المتقدمين لهذا الغرض.

ولد ديمينج عام ١٩٠٠ ومات في ديسمبر ١٩٩٣، وكان حتى يوم وفاته يعمل يوماً كاملاً. وفي سنواته الخمس قبل الأخيرة كان يجوب الولايات المتحدة طولاً وعرضاً يلقي المحاضرات ويتحدث في المؤتمرات، متنقلاً على كرسي متحرك بمساعدة سكرتيته. لقد عرفه اليابانيون منذ مطلع الخمسينات، ونال الوسام الإمبراطوري نظير مساهماته في حركة إدارة الجودة التي كانت سبباً رئيسياً في ازدهار الاقتصاد الياباني. قدم ديمينج نظريته الجديدة في الإدارة على مستوى المصنع والتي سماها آنذاك (الرقابة الإحصائية على الجودة). ومن خلال محاولاته تطبيق النظرية على الصناعات الأمريكية في تلك الفترة، لم يلق أي تجاوب؛ لأن مجتمع الصناعة الأمريكية أحبطه لأسباب عديدة أهمها أن نظريته تدعو إلى تحسين نوعية المنتج وجودته كوسيلة لزيادة الإنتاجية. وكما حاربت نقابات العمال نظريته، حاربت أيضاً نظرية الإدارة العلمية اللتين تم ربطهما معاً. والسبب الثاني لأن عدم تجاوب الإدارة الأمريكية مع نظريته مرتبط بالطفرة التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية وبدء مرحلة جديدة من الاستقرار على أثر فوز الحلفاء والقضاء على الديكتاتورية الهتلرية آنذاك. وكنتيجة لهذا الإحباط، انتقل الدكتور ديمينج كما انتقل كثيرون من خبراء الصناعة والإدارة من أمريكا إلى اليابان كجزء من برنامج

الاستثمار الأمريكي الذي ابتدأته الشركات العالمية . ونتيجة لإيمانه بنجاح وجدوى نظريته ، فقد وجد أرضاً خصبة لتقديمها في اليابان التي كانت متلهفة لدخول عالم الصناعة بعد الحرب والانتقال إلى حياة سلمية مستقرة بعيداً عن ويلات الحرب .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن انتقال التقنية الإدارية والصناعية إلى اليابان بدأ في الخمسينات نتيجة لقناعة الشركات العالمية الأمريكية بالحوافز والتشجيع الكبير الذي قدمته الحكومة اليابانية . واتجه عدد كبير من الإداريين المتمرسين وذوي المهارات العالية بأساليب الإدارة العملية - التي وهنت جذوتها في أمريكا- إلى اليابان ووجدوا أرضاً خصبة لنقل الممارسات والنظريات الإدارية الغربية لمجتمع متعطش إلى الحياة المستقرة والإنتاجية المتميزة . ومن خلال هذه البيئة لاقت نظريات ديمينج الإعجاب ونتج عنها (دوائر الجودة) المشهورة والتي كانت السبب الرئيسي لما وصلت إليه اليابان من تقدم في عصرنا الحاضر . توصل ديمينج إلى قاعدة مفادها أن ٨٥٪ من الأخطاء التشغيلية سببها النظام المتبع من سياسات وأساليب وإجراءات وروتين وأعراف متبعة ، ولا يتحمل العامل إلا نسبة ١٥٪ من الأخطاء في عمله وسمائها (مبدأ ٨٥-١٥) . إن البحث عن الخطأ في النظام هو الأساس وليس بالتركيز على خطأ العامل ؛ لأن مسؤولية العامل لا تتعدى ١٥٪ فقط ولهذا فلا داعي لأن نتعجل بالحكم على الأفراد في حالة الأخطاء لأنهم محكومون بنظام ولا بد من العمل على البحث في أخطاء النظام وتصحيحها .

إن النظرة التقديرية العالية لمساهمات ديمينج في اليابان تعتبر أحد الأسباب الأولية لما يطلق عليه (ثورة الجودة اليابانية) وما أدى بالحكومة اليابانية إلى تأسيس جائزة ديمينج التي تعتبر في اليابان مساوية لجائزة نوبل العالمية . وقد كان الأساس للتعامل الإحصائي من نظرية ديمينج هو تخفيض التقلبية والتغيير في إنتاج المنتج مما

أهل الصناعات اليابانية التي كانت في الخمسينات مهزلة إلى ما وصلت إليه الآن. وقد كان من أهم آرائه المدعمة إحصائياً أن ٦٪ من مشاكل الجودة مرجعها كفاءة العمالة، بينما ٩٤٪ ترجع إلى ضعف الإدارة وعدم كفاءة العمليات الإدارية. ويعتبر الإطار ذو الأربعة عشر نقطة الذي وضعه ديمينج للتأسيس التي تناولت مبادئ الجودة الشاملة وهي:

- (١) أوجد رغبة آتية مستمرة لتحسين المنتج أو الخدمة.
- (٢) لتكن لديك فلسفة جديدة قوامها التوجه لتحسين الجودة.
- (٣) أوقف الاعتماد على فحص الكتل أو الكميات الكبيرة.
- (٤) أوقف ممارسات تقويم العمل التجاري بناء على بطاقة السعر فقط.
- (٥) اسع دائماً وأبداً إلى تحسين نظام إنتاج الخدمة.
- (٦) استخدام طرق حديثة للتدريب والتعليم على العمل بما في ذلك رجال الإدارة.

(٧) تبنى أساليب حديثة في الإشراف وأن يكون هدفها مساعدة العمالة وحسن استخدام الآلات من أجل أداء وظيفة جيدة.

(٨) لكي يعمل كل عضو من أعضاء الشركة بطريقة فعالة يجب أن تشعرهم الإدارة بالأمان والاطمئنان في العمل والتخلص من الخوف.

(٩) العمل على إزالة العوائق والخلافات بين الأقسام والإدارات المختلفة، ويجب أن يعمل الأفراد المسؤولون عن البحوث والتصميم والمبيعات والإنتاج يعملون كفريق واحد لمواجهة مشاكل الإنتاج التي قد تحدث عند إنتاج سلعة أو خدمة.

(١٠) التخلي عن الشعارات وأن يكون الهدف هو حث العاملين على الوصول إلى

مستوى الإنتاج الخالي من العيوب .

(١١) التخلص من معايير العمل المبنية على أساس المعايير العددية للقوى العاملة أو الأهداف العددية للإدارة .

(١٢) إزالة الحواجز التي تحرم العاملين من الزهو والتفاخر بالعمل .

(١٣) تنظيم بعض البرامج التعليمية والتدريبية وبرامج التطوير الذاتي لكل العاملين لمواكبة التقدم التكنولوجي ، ويجب أن يتضمن التدريب الأساليب الإحصائية الأساسية .

(١٤) وضع جميع العاملين في المنشأة في صورة مجموعات عمل من أجل إنجاز العمليات الإنتاجية والإدارية ، ويجب أن يأتي ذلك من خلال دفع الإدارة العليا كل يوم للنقاط الثلاث عشرة السابقة .

ولا شك في أن مساهمة ديمينج الرئيسية والتي تعتبر أساساً لكل الجهود اللاحقة في مجال إدارة الجودة الشاملة مبنية على المبادئ الخمسة لديمنج وهي :

١- اجعل الجودة جزءاً لا يتجزأ من نسيج العملية ، لا تعتمد على الفحوصات والاختبارات الهادفة إلى اصطياذ الأخطاء ، ولكن تخلص من الأخطاء كلية .

٢- ارفع دائماً العمل الجماعي ، وأزل العوائق التي تفرق بين الإدارات ، اجعل الأفراد يتعاونون بدلاً من المنافسة .

٣- ابن علاقات طويلة المدى بين الموظفين والممولين والعملاء ، قوامها المصلحة المتبادلة .

٤- زود المديرين والموظفين بكل التدريب الذي يحتاجونه ، للمشاركة الكاملة في عملية التحسين .

٥- يجب أن تشارك الإدارة العليا في هذه الجهود، لضمان استمراريتها في المدى الطويل، إن الجودة لا يمكن إشعالها وإطفائها بواسطة مفتاح الكهرباء، وتذكر أنها تمثل عملية وليس حدثاً.

ومن غرائب الصدف أن يتم تطبيق نظرية ومبادئ ديمينج في بلاده أمريكا في الثمانينات بعد نجاحها في اليابان على مدى ٤٠ سنة عندما بدأ سيل السيارات والإلكترونيات اليابانية يجتاحها، وتفوز بعض الشركات الأمريكية بجائزة ديمينج كما فازت بها شركة (كهرباء فلوريدا) عام ١٩٨٥، كما اتبعت نظرية ديمينج الكثير من المؤسسات الأمريكية حديثاً مثل مجموعة المستشفيات الأمريكية التي تدير ٣٩٠ مستشفى ومجالس التعليم في كثير من الولايات الأمريكية مما أدى إلى تحسين الجودة والإنتاجية والرضى والربحية. ديمينج هو رائد القياس الإحصائي للجودة ورائد التحسين المستمر للمنتجات والخدمات.

وإذا كان لمساهمة ديمينج فضل السبق، إلا أنها تعززت كذلك بفضل زميله الأمريكي د. جوزيف جوران بشهرته في العمل على مساعدة اليابانيين في تطبيق نظريته الخاصة باختلاف العمليات (Process Variability) خلال فترة عمله مع مركز الإنتاجية الياباني وبتركيزه الكبير على الإدارة الجيدة وأهمية الجانب الإنساني في الجودة مشيراً إلى أن ٨٥٪ من النظم الإدارية هي السبب في فشل المشروعات، وتوجه بدراساته والمبادئ الأساسية التي ركزت على الموقف والسلوك الإنساني كأساس للمبادئ السبعة التالية:

- (١) تنمية روح الإبداع (Breakthrough in attitude) يجب أن يثبت المديرون الحاجة إلى الاختراع، ومن ثم إيجاد المناخ المواتي لتحقيق التغيير.
- (٢) تحديد المشاريع القليلة الهامة: حدد الأولويات بناء على درجة تكرار حدوث

المشكلة، حدد ال ٢٠٪ من الفرص أو المواقف، والتي عندما تتحسن تمنحك أعظم النتائج.

(٣) نظم لتحقيق تغيير خارق في المعرفة: شكل مجموعة توجيهية لتحديد المشكلة والأسباب المحتملة، إعطاء صلاحية إجراء التجارب، مواجهة مقاومة التغيير والتغلب عليها والتنفيذ، وشكل مجموعة تشخيصية لتحليل المشكلة ومساندة عملية حلها.

(٤) إجراء التحليل: ادرس الأعراض، ضع الفروض، وأجر التجارب لاختبار الأسباب المحتملة.

(٥) تقرير كيفية التغلب على مقاومة التغيير.

(٦) إحداث التغيير: يجب إقناع الإدارات والأفراد الذين ينبغي عليهم اتخاذ إجراءات تصحيحية، بالتعاون بينهم.

(٧) وضع أساليب الرقابة: مراقبة ومتابعة الحل للتعرف على مدى صلاحيته، والسعي إلى التعرف على العناصر غير المعروفة.

إن أثر إدارة الجودة الشاملة الياباني انطلق في البداية من حاجة ونهم لا يوصف لاستيعاب التقنية الغربية بعد الهزيمة للحفاظ أساساً على استقلال اليابان من الاستعمار الأمريكي. كما انطلق من البداية في تحقيق حاجة السوق المحلية اليابانية كمنهج نادى به التقرير المسمى تقرير دودج عام ١٩٤٩ للحكومة الأمريكية واليابانية في النهج الذي يجب اتخاذه لمساعدة اليابان بعد الحرب لبناء البلاد في تركيز التقرير على [أن اليابان يجب أن تعمل على مساعدة نفسها بنفسها دون معونات غربية]. فالعامل الياباني في بداية الخمسينات الذي يعمل في مصنع

السيارات لم يكن لديه سيارة، وأول ما تم التركيز عليه في شرائه السيارة المصنعة بيديه والعمل على تحسين جودة الصناعة من خلال الاستعمال. كما أن معظم البيوت، إن لم تكن كل البيوت بعد الحرب، لا تتوفر فيها المتطلبات الرئيسية كالثلاجة والغسالة والراديو والتلفزيون الذي ساهم نفس العامل بصناعته. إن تلبية احتياجات السوق المحلي قبل كل شيء كان ولا زال مصدراً أساسياً لتقدم الصناعة وجودتها.

ولإيضاح فلسفة ومبادئ إدارة الجودة الشاملة، لا بد من ربط هذه المبادئ بالفلسفة اليابانية بشكل عام. فهم يرون بالبداية أن الهيكل التنظيمي ليس هرمياً كما هو معروف بنظرية وممارسة الإدارة الشائع عالمياً بل بهيكل تنظيمي أفقي يحقق الجماعية، وينعكس ذلك على اتخاذ القرارات غير المركزية ومن قمة الهرم كما في الإدارة التقليدية، بل بالمشاركة. وبما أنهم يسعون إلى إنتاج سلعة متميزة تخدم المستهلك الياباني الترق فإن البحث عن المشكلات التي تعوق التحسن المستمر بدلاً من تجنب المشكلات وتفاديها أصبح ديدنهم. وقد لاحظنا سابقاً أن الإدارة اليابانية ترى بأن مصدر المشكلات هو النظام الإداري أو المديرين وليس العاملين كما هو ممارس في دول العالم الأخرى. وتركز إدارة الجودة الشاملة على أنه لا يمكن تحمل ✓ أو قبول الأهدار والأخطاء؛ ولذلك تقوم فرق العمل بتصميم المنتج وليست مفروضة عليهم من الإدارة العليا. ونجاح إدارة الجودة الشاملة منطلقه الرئيسي بالفلسفة اليابانية القائلة: بأن العاملين يعرفون العمل أكثر من المديرين؛ ولهذا فهم قادرون على تحسين الجودة. وركز اليابانيون على الترابط ما بين الإنتاجية والجودة، أي إن تحسين الجودة يؤدي إلى زيادة الإنتاجية بينما ترى الإدارة التقليدية أن الجودة والإنتاجية هدفان متضاربان لا يمكن تحقيقهما معاً. وأكثر ما أدى لنجاح إدارة

الجودة الشاملة الفلسفة القائلة: بأن الجودة مسؤولية الإدارة والنظام العام، بينما ترى الإدارة الشائعة أن الجودة مسؤولية العامل ويجب أن يلام عند تردي الجودة. وبمعنى آخر فإن الثقافة العامة اليابانية الممثلة للقيم والأعراف والعادات ساهمت بشكل واضح على نجاحها بفعالية المشاركة والجماعية والتعاونية بفرق العمل. ولا شك أن التدريب المكثف والمستمر بجميع أدواته وصولاً إلى إكساب المهارات والمعارف والسلوكيات المحققة للجودة يؤدي إلى تغيير الأساليب في ممارسة العمل بالتناقل بغض النظر عن تحدي بعض الأساليب مع الزمن والمتغيرات البيئية مما يؤدي إلى التحسين المستمر. ويبقى فوق ذلك كله التزام الإدارة العليا اليابانية بدور قيادي فقط دون أي دور تنفيذي في تخفيض فرق العمل على الاستمرارية وديمومة التحسين المستمر للجودة، وتركيزهم على منع الأخطاء والأعطال قبل وقوعها مما حقق لها النجاح والفعالية والتميز.

ويأتي بعد ذلك المنافسة الشديدة بين الشركات الصانعة لمحاولة إشباع وإرضاء حاجات المستهلك الياباني الذي يعتبر أكثر مستهلكي العالم اهتماماً بالدقائق الصغيرة للمنتجات وجودتها. ومن المعارف عليه أن معظم صناعات العالم لا ترغب في الاتجاه نحو السوق اليابانية؛ لأن متطلبات المستهلك الياباني للجودة لا يمكن في معظم الأحيان مقابلتها. وقد اكتشفت ذلك كثير من الشركات الغربية التي تسعى لاكتساب حصة من السوق العالمي ببدء نشاط منتجاتها في غزو السوق الياباني الذي يعتبر النجاح فيه من مؤشرات النجاح العالمي، وقد تحقق ذلك لكثير من الشركات الغربية وخاصة في صناعة الساعات السويسرية. إنه أمر غير مستغرب أن يقوم وكيل شركة BMW الألمانية في استيراد السيارات من ألمانيا، بيد أنه من المستغرب أن يتم تفكيك السيارة الألمانية بعد وصولها لليابان وإعادة تركيبها

ببعض الإضافات لما يتوافق ورغبات المستهلك الياباني . إن الجودة مصدرها التدقيق والتركيز على التفاصيل الدقيقة من المستهلك الياباني الذي هو هدف كل الشركات اليابانية في تحقيق حاجاته ورغباته . إن الاطلاع بشكل تفصيلي على الإدارة التسويقية اليابانية خير مثال على ما تركز عليه الشركات من أجل تحقيق الجودة الشاملة .

المراجع:

Crosby, Philip B: Quality without Tears, New York: McGraw-Hill

1984. pp. 44-60

Joran, Joseph M. Joran on Leadership for Quality, New York: The Free

Press, 1989. pp. 12-20

Walton, Mary. The Deming Management at work, New York. Perigee

Books, 1990. pp. 10-22

د. إبراهيم عبدالله المنيف، تطور الفكر الإداري المعاصر، الرياض، مطابع الشمس
١٩٩٣، ص ٦٠٧-٦١٣ .

النظام الإداري (كينزن) للتحسين المستمر

ظهرت في السنوات العشر الماضية كتب ومقالات عديدة عن الإدارة اليابانية حتى إن معظم هذه الكتب تم اعتبارها في قائمة أكثر الكتب مبيعاً للنهم والرغبة الجامحة لدى الغرب وغيره في محاولة معرفة خصائص التميز الياباني. فكتابات أومايا (Dr. Kenichi Ohmae) الإدارية العديدة مثل كتابه (العقل الاستراتيجي) الذي كان عام ١٩٨٥ من أكثر الكتب مبيعاً في العالم، والمدير الشريك لمكتب مكينزي للاستشارات العالمي المعروف يعكس تعليمه الأمريكي بدراسته للدكتوراة في الهندسة النووية من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT وعمله لسنوات مع شركة هيتاشي في صناعة مولد الطاقة النووي وبعدها تفرغه للعمل مع شركة مكينزي الأمريكية للاستشارات. وكان له الفضل الرئيسي في إنشاء الدراسات والاستشارات الإستراتيجية الأمريكية لدى مكينزي حيث إنه أمريكي الفلسفة والتوجه مع أنه ياباني الجنسية وعلى العكس من فوكوياما مؤلف نهاية التاريخ الأمريكي الجنسية والياباني الأصل. فكل ما نعرفه عن الإدارة اليابانية وكذلك الصناعة أنها عملية التوفيق والملاءمة للتراث والثقافة اليابانية وضمن معطيات جغرافية وتاريخية وديموغرافية أدت للنجاح والتميز. إلا أنهم خلال خمسين عاماً من النقل والمحاكاة والتقليد تمكنوا من الإتيان بمفاهيم وابتكارات ونظريات إدارية يابانية صرفة مثل نظام كينزن (KAIZEN) الذي ابتكره الدكتور ماساكي إماي (Dr. Masaaki Imai) رئيس وصاحب معهد كينزن في طوكيو وفتح عشرات الفروع لمعهد في دول العالم منذ صدور كتابه باللغة الإنجليزية الذي تصدر أكثر الكتب مبيعاً لفترة ثلاث سنوات. وقد تم ترجمته بعد ذلك إلى اليابانية والإسبانية والفرنسية والبرتغالية والإيطالية والكورية.

يقول أماي: كنت في الخمسينات ممثلاً للحكومة اليابانية في مركز الإنتاجية الياباني في أمريكا أستقبل البعثات اليابانية التي تزور وتتدرب في المصانع الأمريكية. وتفرغت بعد ذلك للعمل الاستشاري منطلقاً من أمريكا وأوروبا بالإشراف على البعثات الأمريكية والأوروبية لزيارة المصانع اليابانية التي حصلت على جائزة ديمينغ لتعريفهم على حلقات الجودة والمصانع الحاصلة على جائزة صيانة المصانع وكذلك للاطلاع على تجربة تويوتا في نظام الاقتراحات الجماعية وإدارة الوقت والتي أدت إلى استمرارية التحسين والابتكار الياباني في مناهج إدارة النوعية الشاملة وإدارة البرمجة الصيانية المستمرة وغيرها من الأنظمة الجزئية المبتكرة في هذه الشركات. ولكثرة الأسئلة التي يطرحها الزائرون الأمريكيون والأوروبيون في كيفية انتقال هذه المناهج إلى بلدانهم ومصانعهم، وجدت أن النهج يحتاج إلى جمع هذه الأنظمة ضمن نظام أسميته كيزن (Kaizen) ويعني بالدقة التعبير للجزء الأول من الكلمة Kai الأفضل أو التغيير التدريجي، و Zen لتعني الزيادة الطفيفة والتحسين المستمر.

ينطلق أماي في البداية بأن خصائص الإدارة اليابانية في الوظيفة الدائمة تعطي الفكر أفقاً واسعاً وطويل الأمد مبنياً على الأمان والاستقرار والقدرة على التفكير السليم لصالح العمل تجعل من الممكن لكثير من الأفكار التحسينية قدرة على النجاح وتجعل العامل يفكر بمكان عمله ومعداته كأنها ملكاً له. هذا المنظور طويل الأمد من حيث الأهداف العامة والخاصة إلى جانب خصائص السلطة الأبوية المرتبطة كذلك بالأقدمية من حيث العلاوات والترقية تعطي زخماً ودافعاً للعمل الجماعي الذي تتكون حوله جماعات العمل والإجماع الذي يعتبر أساساً وافتراضاً لا يمكن لنظام كيزن أو التحسين المستمر أن يمارس بغياب هذه الفرضيات

التي تعكس البيئة الاجتماعية العامة لتنفيذ النظرية. ولا يغيب كذلك عن الأذهان الترابط والتلاحق والتعاون ما بين النقابات العمالية والحكومية وقطاع الأعمال من تناغم ينتج عنه تحسين في الإنتاجية. ويؤكد أماي أن النهج والمنهج صنوان لا يفترقان لنجاح نظرية كيزن التي تعتبر ذات أصل ومنشأ ياباني صرف لتعكس من خلالها النظرة الشمولية للإدارة اليابانية.

كيزن ليست ابتكاراً أو اختراع مفهوم أو أسلوب جديد، بل عملية تحسين وتطوير وإسراع في أفضل استخدام لما هو متوفر لدينا من مدخلات تشغيلية معروفة من (معدات، مكائن، رجال، أساليب عمال، تقنية) ومحاولة التحسين خطوة بخطوة دون أية تكاليف مالية إضافية كما في الاختراع أو الابتكار. الفكر الإداري الغربي يركز على ضرورة تخصيص الأموال لشراء معدات جديدة، أو تقنية جديدة إذا أردت التحسين والتطوير. الفكر الياباني حسب أسلوب كيزن يركز على ضرورة اتخاذ كافة التدابير لإصلاح المعدات وتحسين موقع العمل ومعداته بأفضل استخدام دون صرف أموال إلا عندما تصل الضرورة لاختراع تقنية جديدة وبعد استنفاد كافة الإمكانيات لاستغلال ما هو متوفر.

ومن أهم الفذلكات للنظام والفكر الإداري الياباني بأن المستهلك هو الأساس وهو الأولوية وهذا ينعكس في أسلوب كيزن في إدارة النوعية الشاملة أو نظام (QCD) أو النوعية - Quality، التكلفة - Cost والتسليم - Delivery. لا يهتم المدير الياباني كأولوية بالربح على حساب المستهلك الذي يعمل نظام كيزن على التحسين المستمر لصالحه. كما أن الفكر الياباني لا يركز على أولوية النتائج القصيرة المدى، بل على رضا المستهلك الطويل الأمد الذي من خلاله تستمد الشركة الحاجة إلى منتجات جديدة تستمدّها من رغبات المستهلك الذي يطلب

شراؤها. إن الاهتمام في إدارة النوعية والتحسين المستمر تستمد قوتها ودافعها من الإدارة العليا التي تصادق على استخدام نظام وأسلوب كيزن من خلال المؤتمرات العديدة التي تقيمها المنظمات المتخصصة مثل مركز الإنتاجية واتحاد الصناعات واتحاد النقابات والتي يحضرها كبار المدراء لتكوين القناعة التامة والمصادقة وإعطاء الضوء الأخضر في الشركة لاستخدام المفاهيم المحققة للنوعية المتميزة للمنتج وبأقل التكاليف الممكنة وتوريد للمستهلك في الوقت المحدد وحسب رغبته.

يستمد نظام كيزن مصداقيته في أنه يداعب الفطنة والإدراك السليم من خلال مفاهيمه الأساسية الأولى في (النوعية - التكلفة - التسليم). النوعية الأفضل دون شك ستؤدي إلى التكلفة الأقل ؛ لأن تحسين النوعية يعني التقليل من الفاقد والأعطال المؤدية للتكلفة الأقل في النهاية، أي إن النوعية الأفضل والتكلفة الأقل صنوان ومترادفان. أما التسليم فيعني إيصال المنتج أو الخدمة للمستهلك في الوقت المطلوب مما يؤكد الكفاءة والإنتاجية المطلوبة بشكل عام. الفكر الإداري الياباني يركز على النوعية أولاً ودائماً كبداية وليس التوريد أولاً، إذ إن التوريد أولاً قد يؤدي إلى تشغيل المكين لمدة (٢٤) ساعة مما يؤدي للعطل والإسراع في التوريد على حساب النوعية. إن إدراك النوعية المتميزة للمنتج أو الخدمة حتى بتكلفة عالية، فإن الشركة تستطيع على المدى الطويل تجبير التكلفة على المستهلك وتحافظ على حصة عالية من السوق مقارنة بالشركة التي تحقق النوعية العادية وبأقل التكاليف والتوريد المؤقت. ومن هذا المفهوم فهم لا يركزون على نوعية جيدة متميزة وبأقل التكاليف وبكميات كبيرة في البداية، بل بنوعية جيدة ومن ثم بكميات كبيرة مرتبطة بالإصلاح الاقتصادي المعروف [اقتصاديات الحجم] الذي يؤدي إلى أقل التكاليف. تبتدئ الشركة بالإنتاج للسلعة أو الخدمة النوعية أولاً

بكميات محددة لقياس مدى قبولها دون التركيز على التكلفة، وبعد استيعاب وإتقان التقنية يتم الانتقال إلى المرحلة الثانية في تخفيض التكاليف وبكميات كبيرة ودون التضحية بالنوعية، وهذا ما يعنيه الفكر الإداري الياباني (بالنوعية أولاً). باختصار شديد، تحسين النوعية هو أول المراحل، يليها في تحسين الكلفة للأقل وتحسين فترة وتيسير التوريد. إذا تحققت النوعية، فإن التكلفة لا مجال إلا بتخفيضها بفعل الإنتاجية أو تقليل المخزون المنتج أو مخزون المواد الأولية. وقد كرر أماي في أن الغربيين يعتقدون بتقليل التكاليف بمعناها غير الأخلاقي في القطع والقص بتزيل الرواتب أو الفصل لبعض الموظفين وهذا لا يدور في الفكر الياباني بسبب الوظيفة الدائمة الذي يركز على إدارة التكاليف المتمثلة في التصميم وتقليل الأعطال وتقليل المخزون للمواد الخام والمنتج.

والمفهوم الثاني هو أسلوب الوقت المحدد الذي ابتكره تايشي أونو Taichi Ohno أحد مدراء شركة تويوتا ومارسته بشكل واسع منذ عشرين عاماً والذي عرفه بأنه (إنتاج أكبر كمية ممكنة إلى الحد المطلوب). والاعتقاد السائد أن هذا الأسلوب يركز على رقابة المخزون أو تعديل خطوط الإنتاج ويصعب عليهم التعرف على الكلمات اليابانية الثلاث المفتاحية التي تستخدمها تويوتا في هذا السياق والتي تبدأ بحرف (M) وهي:

- (١) مودا - Muda التقليل من الإتلاف والأعطال.
- (٢) موري - Muri تخفيض إجهاد الفرد والماكينة.
- (٣) مورا - Mura التقليل من الاختلاف والتناقض.

ويرى أونو (Ohno) أن نظام في الوقت المحدد (Just In Time) هو التركيز على هذه الكلمات الثلاث من مجموعات العمل ونظام الاقتراحات في تويوتا

الذي انتقل لكافة الشركات اليابانية. ويكرر أن الثقافة اليابانية تدعو للتركيز عند النظر للأشياء، أولهما: في التحديق والتفرس البصري بتدقيق، والثانية: بالتحليل والتمحيص في الدقائق الصغيرة بحثاً عن أحد الكلمات المفتاحية الثلاث المبتدئة بحرف (M)، وهذا بنظره يعتبر بداية لتطبيق نظام كيزن.

ومع أن (النوعية - التكلفة - التوريد) تركز على ماهية النوعية التي يريدها ويحتاجها المستهلك وما هو السعر الذي سيدفعونه لهذه النوعية الجيدة والكمية التي يحتاجون توريدها بشروطهم، تعتبر قاعدة أساسية للنظام المعروف باليابان برقابة النوعية الشاملة، وكذلك نظام تويوتا (في الوقت المحدد). ويرافقهما أسلوب ثالث يسمى الصيانة الإنتاجية الشاملة الذي يؤكد ضرورة صيانة الآلات والمعدات وإنتاجيتها بتقليل الأجهاد والأعطال وتواجد الماكينة العملي. ومما يؤكد التركيز على الصيانة وجود جائزة سنوية تشبه جائزة ديمينج الإنتاجية الإحصائية وهي جائزة الصيانة للشركات التي يتوفر بها نظام الصيانة الإنتاجية الشاملة. فإذا تحققت النوعية الجيدة، والصيانة الدائمة للمكائن والمعدات ورافقها كذلك الأسلوب المبتكر من تويوتا (في الوقت المحدد) الذي لا يعمل بغياب الأسلوبين السابقين، فإن الأبعاد الثلاثة لنظام كيزن تكون قد ترابطت وتآلفت لتحقيق الأهداف العامة للإدارة اليابانية، الأول بالنوعية الأفضل، والثاني مكائن مصانة، والثالث بتقليل التكاليف الإنتاجية.

ويبقى قبل كل ذلك بعض الأساليب الإدارية الوقائية الرئيسية لنجاح نظام كيزن في إدارة النوعية الشاملة والتحسين المستمر وهما التنميط أو التقنين (Standarization) وأرض الواقع المسماة باليابانية غيمبا (Gemba) فالإدارة اليابانية الجماعية تقرر الأولويات التحسينية المطلوبة وهي كما سبق تحديدها بالترتيب

(النوعية الأفضل، التكلفة الأقل، التوريد المطلوب). وإذا أردنا التحسين، فإنه يجب علينا أولاً أن نتعرف على دقائق العمل الحالي وكيفيةها، كما يرونها في هذا النموذج:

الإدارة العليا	تحسين	صيانة
الإدارة المتوسطة	تحسين	صيانة
المشرفين	تحسين	صيانة، مداومة
العمال	تحسين	صيانة، محافظة

فهم يرون من منطلق الإدراك السليم أن العمل منقسم بالتساوي ما بين جزأين أولهما الصيانة والمحافظة والمداومة والإبقاء على العمل حسب إجراءاته القائم وحسب الترميم المقرر. والنصف الثاني لكل عمل فردي أو المجموعة في تحسين العمل في إيجاد أفضل السبل لتنفيذ العمل وتحسين الترميم أو التقنين القائم أو ما يطلق عليه بشكل أوسع (المعايير)، وعلى أثره يتم صياغة معايير جديدة مؤدية للتحسين. وبهذا فإن ثلاثة أبعاد تكون قد تحققت بفعل الفطنة السليمة وهي: الصيانة والمحافظة والمداومة على عمل الأشياء كالمعتاد وحسب المعايير الموجودة، يليها التفكير بالتحسين لعمل الأشياء مع تعديل المعايير الموجودة للأفضل. ويتضح من النموذج المستوى الإداري والدور الذي يلعبه كل منهم لهذين الجزأين من العمل. فالعامل تركيزه فقط على المحافظة والمداومة على عمل الأشياء حسب

المعايير التنميطية الموجودة، والمشرّف يشكل ٢٥٪ من عمله في التحسين و ٧٥٪ من عمله في الصيانة للعمل القائم. وتتغير النسبة بالعكس للإدارة المتوسطة لتصبح ٧٥٪ للتحسين و ٥٢٪ للمحافظة على ما هو قائم، وتنتهي بالإدارة العليا الذي يكون جل تركيزها على التحسين نسبياً. وفي مجملها فإن التحسين المستمر مصدره المحافظة والمداومة والإبقاء على العمل القائم وتعني بالمحافظة والصيانة للمعدات والمكائن وتشغيلها حسب التنميط أو التقنين الموجود والسائد، ومن ثم التحسين عن طريق تغيير التنميط للأفضل؛ لأنه يحقق الوقاية من الأعطال المتكررة والرقابة على إحداث التحسين النوعي.

والأسلوب الثاني هو ما يطلقون عليه في اليابانية قيمبا (Gemba) وتعني المكان الذي يحدث فيه العمل. ففي المصنع يكون العنبر الخاص بالعمل وفي مكان البيع بالمعرض الذي يقوم فيه البائعون بعرض البضاعة للمستهلك وفي المكتب الهندسي عند طاولة الرسم وفي الفندق عند كاونتر الاستقبال والصندوق والمطعم، أي في المكان الذي يكون المستهلك متواجداً فيه. والمبادئ الخمسة لقيمبا التي يتبدى التحسين المستمر بها هي:

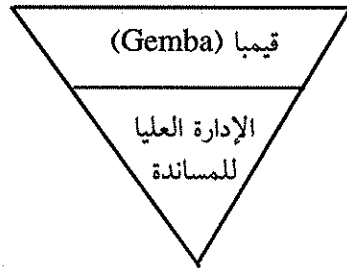
(١) عند حدوث أي انحراف، اذهب رأساً إلى قيمبا.
(٢) استفسر رأساً من المختص المسمى غيمباتسو (Gembatsu) وانظر من منظور الثقافة اليابانية الثنائي باللمس والاستطلاع عن سبب الانحراف وبهدوء وصبر وروية.

(٣) اتخاذ التدابير الوقائية الأولية رأساً.

(٤) إيجاد جذور المشكلة وحلها في مجموعات العمل.

(٥) إعداد التنميط والتقنين والمعايير الجديدة للوقاية من حدوث أي أثر على النوعية مرة أخرى.

والإدارة اليابانية من منظور الإدراك السليم المؤدي للإجراء السليم ترى أن الاكتشافات والاختراعات والتحسينات تأتي من الوقوف على أرض الواقع من مجرد التركيز على المبدأ الأول والثاني أعلاه كبداية، والحل النهائي يتركز في المبدأ الرابع والخامس. إن القيمة الحقيقية والجوهرية في المبادئ الخمسة هي الإيمان الراسخ لدى الإدارة اليابانية بأن أرض الواقع ومكان الحدث تعتبر أهم موقع للإدارة لتحديد المشكلة وصناعة القرار بالتحسين المستمر. فالإدارة العليا ترى نفسها مسانداً لقيمها في الهرم المقلوب التالي:



فالإدارة مسؤوليتها على أرض الحدث إعداد المعايير وتقويم الإدارة عندما يحدث خطأ أو عند عرض الأفكار التحسينية، ترى فيه نفسها هي المسؤولة لأنها، أي الإدارة، لم تضع المعايير أو التقنين المطلوب. إن معظم الاسترخاءات وعدم حصول التحسين المستمر مصدره الإدارة التي لا تؤمن بأن عليها أن تذهب إلى (قيمها) أو أرض الواقع والحدث بزيارات دائمة حتى تكون على صلة وإدراك وإحساس بالواقع. ما يمكن الوصول إليه من أفكار تحليلية للمعجزة اليابانية ليست

في القدرة العقلية الفائقة ولا الذكاء المتفجر ولا القدرة الإبداعية إذ لم يفز على مر السنين الخمسين الماضية أي ياباني بجائزة نوبل، إلا فائز واحد بجائزة الأدب، بل بالرغبة والحاجة لتحقيق البقاء. فقد سأل مهندس أمريكي السيد أونو، مبتكر نظام في الوقت المحدد الذي ابتكره ونفذه خلال عمله مع شركة تويوتا بقوله: (إنني أفهم كل ما قدمته لنا عن نظام الوقت المحدد. فنحن الأمريكيان درسنا الوقت الحرج وييرت والعمليات المتعاقبة وتحسين الموقع والوقت المنمط وغيرها الكثير مما تحدثت عنه، إلا أن سؤالي يتركز لماذا نحن الأمريكيين نعرف كل هذه الوسائل ونقلتموها من عندنا ولا نستخدمها). وكانت إجابة أونو: (إننا نحن في اليابان نعيش ضمن بيئة منافسة بشكل رهيب لمقابلة حاجات المستهلك. فنحن نسعى بكل الجهود والوسائل لتحقيق البقاء على الحياة. لربما أنكم في الغرب تعملون ضمن معطيات رحبة ومريحة لا تدعوكم للتفكير بأي حاجة مما نقاسي منه في اليابان إذ لا سبيل لنا للاسترخاء أمام هدفنا بتحقيق البقاء على قيد الحياة). اليابانيون ينظرون للأمور من منظار البساطة والحذق والنهج بأن الإدراك السليم يجب أن يتحول إلى الإجراء السليم.

ويوضح أماي في كتابه عن كيزن كثيراً من التفاصيل الدقيقة للإجراء السليم المرتبط بالذوق والإدراك السليم، إلا أنه يمكن تلخيص منهجه ونهجه في النقاط الخمس التالية:

(١) اذهب إلى قيمبا (Gemba) أولاً؛ لأن أرض الواقع ومكان العمل والمبادئ الخمسة لها تعتبر القاعدة الذهبية الأولى للوصول إلى النوعية الأفضل للمنتج أو السلعة أو الخدمة.

(٢) التنميط والتقنين وإعداد المعايير القياسية هي أساس المحافظة والمداومة والصيانة

والإبقاء على ما نقوم بعمله وكذلك تحسين العمل من جميع الجوانب .
فاتجاهك بالبداية إلى موقع العمل للتأكد من المعايير القائمة ووجودها وضرورة
تعديلها وتدريب العاملين على التقيد بها .

(٣) المبادئ الثلاثة لكيزن في التنفيذ هي (١) لا تستلمها (٢) لا تنفذها (٣) لا
تمررها وتعني :

- ١ - لا تستلم أي تالف ممن قبلك لأنه يؤثر على النوعية .
- ٢ - لا تعمل أي منتج تالف من خلال جزئية عملك .
- ٣ - لا تمرر أي تالف لمن يليك في إجراءات العمل .

وكل هذه الثلاث قواعد تعني أن المدخلات ذات نوعية جديدة وتشغيلها
ومخرجاتها بالطبع .

وهذا يعني كذلك أن تحسين النوعية هو الشغل الشاغل للجميع دون استثناء
وليس مسؤولية جهة رقابية، بل بالرقابة الذاتية، وهذا ما يؤدي إلى توثيق و ضمان
النوعية .

(٤) يتيقن من المشكلة بالأرقام الإحصائية بجمعها كمصدر لتحسين النوعية، لأن
التحسين ينطلق من الاختبارات الكمية .

(٥) إن طرح الأسئلة (ماذا وكيف) أكثر من خمس مرات على النفس وعلى
المجموعة تؤدي إلى الوصول إلى جذور المشكلة بدلاً من التركيز على أعراض
المشكلة .

إن نظام كيزن دون شك نابع من بيئة يابانية ومبني على عناصر منطلقة من
التجانس في الثقافة والتراث والأعراف والعادات المرتبطة بالجماعية والإجماع

والوظيفة الدائمة والولاء والتعليم مدى الحياة، إلا أن ما يؤكد إمكانية تطبيقها خارج اليابان ما تم ممارسته في المصانع اليابانية خارج اليابان وفي أمريكا بشكل خاص من قبل فروع مصانع السيارات اليابانية في أمريكا مما يعكس إمكانية نجاحها في بيئات أخرى وفيما إذا كانت للشركات المختلطة اليابانية في الدول الأخرى. ويبقى نجاح انتقال هذه الأنظمة والأساليب لخارج اليابان مثار جدل واسع بإمكانية تنفيذ الوسائل والسبل اليابانية من عدمه موضوعاً مشابهاً لما كان يدور ويستمر في السنوات السابقة واللاحقة عن مدى انتقال النظريات الغربية إلى الدول النامية.

المراجع:

- Imai, Dr. Masaaki. QCD: Quality is not enough, manuscript, no date.
- Imai, Dr. Masaaki. Kaizen Wave Circles the Globe, TokyoBusiness Today. pp. 44-48
- Imai, Dr. Masaaki. Solving Quality Problems Using Common Sense, Journal of Quality Management, volume number 2, 1992. pp. 71-75
- Imai, Dr. Masaaki. Kaizen Revisited, Business Executive, volume 3, May-June 1989.
- Imai, Dr. Masaaki. IBC Gulf Conference, KAIZEN, Manuscript, Oct. 10-11, 1994

الإدارة التسويقية

النظرية التسويقية الغربية مبنية على افتراض أساسي في المساواة ما بين البائع والمشتري. يرى الغربيون أن عملية البيع هي تبادل وتفاوض يكون فيه كلا الجانبين لديهم قوة متساوية، أي ليس لأي جانب أي فوقية أو أي إكراه لإكمال العملية البيعية وأي منهما يستطيع بحرية الانسحاب من التبادل والتفاوض. أي إن التفاوض ما بين الطرفين المتساويين يسمونه لعبة الصفر مثل لعبة كرة القدم في فوز أحدهما وخسارة الآخر وليست لعبة يكسب فيها الجانبان. في مثل هذه العلاقة المتساوية، يحاول متخصص في التسويق الغربي أن يؤثر ويناور ويستغل مواهبه ببراعة وبأساليب أحياناً غير قويمية على المشتري حتى يشتري سلعته. وكرد فعل على هذه المحاولة غير السوية أحياناً كثيرة ينظر المشتري الذي يتولد لديه عامل انعدام الثقة بمختص التسويق ويتركز سلوك المشتري بالحيلة والحذر من البائع.

النظرية التسويقية اليابانية تتركز على أن العلاقة ما بين البائع والمشتري ليست أبداً علاقة مساواة. البائع الياباني، وليس المختص في التسويق لأنه لا يوجد هذا التخصص في اليابان، ينظر إلى المشتري على أنه هو سيد الموقف ودوره كبائع هو دور الخادم. والسبب المنطقي والعملي للتفسير الياباني بوضوح يتركز على أن البائع دائماً وأبداً جاهز ومتحفز للبيع، بينما المشتري لا يكون جاهزاً ومستعداً بشكل دائم للشراء. ترى النظرية اليابانية أن البيع يحدث فقط بناء على حاجة ورغبة وتحت رحمة المشتري. هذا البناء يتركز على أن البائع يتنازل عن سلطته للمشتري ويترك للمعرفة الأحق في التقديم لترشده للاختيار الصحيح. هذه العقلية اليابانية التي تؤكد أن البائع خادم للمشتري وأن البائع لا يمكن له أن يكون أرفع منزلة من المشتري، بل إنه أي البائع مستشار للمشتري وإنه مساعد موثوق به

لخدمته. لذلك كله، فإن هدف البائع الياباني باختصار هو بناء جسور من الثقة والعون للمشتري. وهذا يعطينا الفرق والمقارنة الواضحة ما بين نظرية التسويق الغربية واليابانية.

المفهوم الأساسي للتسويق الياباني: بأنه علاقة ما بين البائع والمشتري مبنية على مبدأ الحاجة كما يسميه الاقتصاديون أو على السلوك الإنساني. والمعرفة بالسلوك الإنساني لا يتم قياسها في الأساليب العلمية الغربية، بل بالحصافة والحدس والبداهة اليابانية. فمثلاً تقوم الشركة الغربية بالدراسة العلمية أولاً بإعداد استقصاء على عينة مختارة من العملاء لتعرف منهم اختيارهم المفضل. وبعد ذلك تعمل على صناعة السلعة من حيث سماتها ومقوماتها وتصميمها، متنتية في البرنامج الإعلاني والدعائي بعرض السلعة في الأسواق. أما الشركة اليابانية فإنها تقوم بالتحدث لوكلاء التوزيع وبعض المستهلكين بشكل مباشر وتعمل بعدها على صناعة كمية قليلة من السلعة وعرضها في الأسواق وتحصل على التغذية المرتدة من السوق. وعلى أثره تقوم بالتفكير والتأمل بهذه المعلومات وتعديل المنتج وإنتاج كمية جديدة تعرضها في السوق وهكذا. وبهذا يختلف التطبيق الياباني للتسويق عن الأسلوب الغربي بأنه يأخذ طابع الحدس والزيادة المرحلية لنوعية المنتج ومقوماته وتصميمه.

وما دمنا نتحدث هنا عن عنصر أساسي في التسويق ألا وهو البحوث التسويقية التي تهدف إلى إجراء التنبؤات بالسلوك للمشتري لتحقيق حاجاته ورغباته. فالنظرية الغربية تعتمد على إجراء دراسات إحصائية ورياضية معقدة لإعداد تصوراتهم وكأنها حقيقة عما يرغب ويحتاجه المشتري. بينما يرى الجانب الياباني بأن التنبؤ بالسلوك الإنساني لا يمكن له أن يتحقق بالدراسات الغربية

المعقدة، بل بالاتصال المباشر وجهاً لوجه مع المشتري أو المستهلك . ولذلك يركز المدير والبائع الياباني على هذه الوسيلة الاتصالية ومراقبة المشتري في كيفية استخدامهم للسلعة المشتراة . فمثلاً يركز الجانب الياباني على زيارة النساء حديثي الولادة في منازلهم وعرض حفائظ الأطفال عليهم ومراقبة أسلوبهم في استخدام الحفائظ لأطفالهم . وتستخدم شركة السيارات هوندا بمصنعها في كاليفورنيا بأمريكا أسلوباً مشابهاً بمراقبة السائقين في كيفية استخدامهم لوقوف سياراتهم في مدينة ديزني وكيفية فتح باب السيارة في المواقف الضيقة مما أدى بالمصممين إلى إعادة تصميم الباب الأمامي للسائق ليصبح واسعاً وخاصة للنساء في دخولهم وخروجهم من السيارة بسهولة ويسر وحشمة . ويلاحظ هنا أن الغربيين يركزون على دور المتخصص في التسويق والمختص بالإعلاني والمستشار الخارجي دون أن يكون للمصمم أو المدير دور في العلاقة مع المشتري، بينما يستخدم اليابانيون الأسلوب الجماعي باشتراك كافة العاملين من المصمم للبائع والمدير والموظف الصغير بتقديم مقترحاته المبنية على الملاحظة العملية التي ينتج عنها الحدس في تعديل السلعة أو المنتج . ومع كل ذلك، فإن الياباني يركز جهوده بالاطلاع على الإحصائيات والمبيعات وأسلوب الشحن مما يساعده على تحقيق مستوى متميز من الحدس والبديهة في التعامل مع المستهلك وتحسين السلعة المنتجة .

٥ الإستراتيجية التسويقية بالطبع تعتمد على العناصر الأربعة وهي (السلعة، السعر، الدعاية، مكان التوزيع) . في الغرب، على الأغلب يكون التركيز على أحد هذه العناصر أكثر من الأخرى . بينما تركز الشركات اليابانية على السلعة ونوعيتها بشكل أساسي و أولي والعناصر الثلاثة الأخرى تكون ثانوية . أي إن اليابانيين يركزون على أثر العناصر الثلاثة في إحداث قيمة مضافة على السلعة

لأنها هي الجوهر الذي تبنى عليه الإستراتيجية التسويقية اليابانية. كما يتخذ اليابانيون موقفاً مميزاً وثابتاً بخصوص السعر الذي لا يتغير مقارنة بالغربيين الذين يتدوّنون بالسعر المقترح. وهذا السعر يتغير في أشكال عديدة لاحقاً. هذا ويجب أن ننوه بأن السياسة التسويقية اليابانية تعتمد على السعر المنخفض من البداية بدون خطوات تتبدئ بسعر عال ومن ثم التخفيض كما في السياسات الغربية.

سياسة التوزيع الغربية مبنية على إنتاج عدد من السلع التي يتم شحنها إلى نقطة تجميع أو مركز رئيسي للتوزيع ومن هذا المركز يتم شحنها إلى بائع الجملة مثلاً منه إلى بائعي التفريق ومحلات البيع. هذا الأسلوب بالنسبة لليابانيين يقطع العلاقة ما بين المصنع أو الشركة المنتجة والمستهلك، وعلى أثره ابتدع اليابانيون الوسيط الذي يكون مرتبطاً مع المستهلك بشكل مباشر والذي يكون وكيلاً حصرياً لبند واحد من الإنتاج وليس لكافة المنتجات. ولهذا نجد السياسة اليابانية تركز على وكيل حصري واحد ولمنتج واحد فقط دون الحاجة إلى نقطة تجميع لكافة المنتجات وبائعي الجملة وبائعي المفرق لكافة المنتجات، بل وكيل لمنتج واحد يؤدي به للوصول إلى المستهلك والعلاقة معه بشكل مباشر. وتستخدم السياسة اليابانية للتوزيع نفس المساندة والمساعدة والمعاوضة مع وكلائها خارج اليابان بنفس السياسات الممنوحة للمسوق الياباني في التمويل والمساعدة الفنية والتدريبية وإرسال مدرائها إلى هذه الأسواق للاطلاع عن كثب وصولاً إلى تحقيق رغبات المستهلكين. وبهذا يحقق الجانب الياباني علاقة وثيقة مع الوكيل والمستهلك ويقوم بتعديل المنتجات ونوعيتها ومواصفاتها بما يحقق رغباتهم.

* نستطيع أن نلخص الإستراتيجية والسياسة التسويقية اليابانية بأنها مرتكزة على علاقة أساسية لخدمة المستهلك أولاً ؛ وذلك بتوثيق هذه العلاقة عن طريق

الوكيل الوحيد لمنتج واحد يؤدي به على مراحل في التجربة ومنحنى التعلم إلى التعديل المرحلي للمنتج في الإبداع والابتكار، منطلقة من إستراتيجية أساسية بعدم المساواة ما بين البائع والمشتري كما في النظرية الغربية، بل إن المشتري هو سيد الموقف وإن البائع هو مستشار وخدام لرغبة المشتري. الصانع الياباني يتدأ الإنتاج بكمية صغيرة ويسرعة ويستمر في التعديل والتصحيح مع منحنى تعلمه، وعلى نقيض الغربي الذي يتدأ الإنتاج بعد دراسة مكلفة وطويلة ومعقدة ولا يقوم بالتعديل والتصحيح إلا بعد أن يفقد حصته من السوق. الياباني منطقي وعملي في تفكيره حيث لا يمكن له أن يملك حصة رئيسية في السوق؛ لأن التقليد لسلعته سيحدث قريباً ولذلك تجده دائماً وأبداً يركز على الإبداع في الإتيان بسلعة جديدة أو تعديل نوعية السلعة حتى يبقى له حصة من السوق. ويبقى السؤال الدائم فيما يمكن أن يستكره اليابانيون من سياسات وإجراءات ووسائل جديدة منطلقة من منهجهم ونهجهم في الزيادة المرحلية لنوعية المنتج أو الإتيان بمنتج جديد.

المراجع:

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 228-248

Akio Morita, Made in Japan, Penguin Group, New York 1986. pp. 190-224

الإدارة البنكية

يتم طرح كثير من التساؤلات عن أسباب عدم تركيز الشركات اليابانية على تحقيق أعلى حد من الأرباح، ولماذا لا تقوم الشركات الصانعة ببيع منتجاتها مباشرة بل تتم عن طريق البيوتات التجارية اليابانية الكبيرة والمعروفة؟ كما أن الكثيرين يحاولون معرفة الأسباب التي تدعو الشركات الصانعة اليابانية في التركيز كهدف للوصول إلى أعلى حد من بيع الكميات المعروفة اصطلاحاً باقتصاديات الحجم دون التركيز على الأرباح العالية. كل هذه الأسئلة يمكن الإجابة عليها من خلال الإستراتيجية الهيكلية للقطاع المالي كجزء من الاقتصاد الكلي بالتطرق لعدد من المحاور والمساقات التي تعطي إيضاحاً للمنهج والنهج المالي والبنكي وأثره على السياسات المتبعة.

قبل كل شيء، يؤثر على الاقتصاد والسياسة اليابانية نخبة قوية ذات نفوذ من رجال المال من منظمة (زاياكي) أو بمعناها الحرفي (عالم المال) والتي يقف على رأسها مجموعة (كيدانرن) أو (اتحاد التنظيمات الاقتصادية) ولجانها البالغة ٣٧ لجنة عامة. ويرى الكثيرون من المتخصصين في الكتابات الاقتصادية والسياسية أن أي تحرك بأي اتجاه لا يمكن له أن يتحقق دون موافقته لرغبات الزيكاكي، حيث إن لهم أثراً واضحاً ومعروفاً في تعيين رئيس مجلس الوزراء، وبقاؤه مرهون باعتماده للسياسات التي ترغب اعتمادها. هذا ولا شك أن للنقابات واتحادات الموظفين ولجنة التنمية الاقتصادية أثر كبير في منظمة الزيكاكي واتحادها، إلا أنه يبقى دور رجال المال رئيسياً كنخبة ذات قوة وأثر في الاقتصاد والسياسة اليابانية.

الزيكاكي تمثل مجموعة رجال المال والأعمال والصناعة في تركيزها على الاقتصاد والمجتمع بشمولية عن طريق المشاركة في هذه المنظمات الأربع المرتبطة

معاً ومن خلال رجال مخضرمين ومن المتقاعدين الاقتصاديين والماليين ممن تم إعادة بناء اليابان على أيديهم. كما أن رجال المال والأعمال يمثلهم في مجلس النواب عدد من الأعضاء يصل في أقل الأحيان إلى ١٥٪ من أعضاء المجلس، هذا إلى جانب تعيين بعض الوزراء ممن يمثلون مصالحهم. هذا إلى جانب التأثير الكبير لدواوين الاستشاريين التي بلغت حديثاً (٢٥٠) ديوان المسماه (شنجيكية) والتي يكون أغلب مستشاريها من الزيكاي. أضف إلى ذلك انتقال كبار موظفي الحكومة إلى قطاع الأعمال والصناعة عند تقاعدهم من الوظيفة الحكومية المسماة بنظام اليابان (أماكوداري) وارتباطهم بالزايكاي والذين يكون لهم علاقة وطيدة برجال الأعمال والمال. وقد كان لهؤلاء البيروقراطيين عند تقاعدهم والمتحاقهم بقطاع الأعمال تعبیر في الخمسينات على أنه هبوط من النعيم ما فتئ أن تغير حديثاً لتعبير الصعود إلى النعيم. هذه المجموعة التي ترتبط بعد تقاعدها بالزايكاي من خلال الوظيفة العليا الجديدة بقطاع الأعمال لها أثرها البالغ في تجذير وتقوية وتنسيق الاتصالات ما بين قطاع الأعمال والحكومة والساسة ومجلسي الشيوخ والنواب.

إن التقليل من أهمية الأرباح وازدياد الكميات كهدف وعن طريق البيوتات التجارية مصدره هيكلية الاستثمار والتمويل البنكي وأسواق رأس المال والسلوك الادخاري للشعب الياباني والتي قام بوضع الأسس العملية المؤسس الأول لشركة ميتسوبوشي في عهد الميجي السيد ياتارو (YATARO) الذي بنى فلسفة الشركة على أن الربح المتحقق ليس ما تسعى الشركة لتحقيقه لصالحها، بل ما يتحقق للبنك التابع للاحتكار (زيباتسو) الذي يمول الاحتكارات الصناعية. إن الربح بالنسبة لفلسفة ياتارو ما يحققه البنك من عائد لتمويله الصناعة وليس الربح المتحقق للشركة أو المصنع، وهذا هو المصدر الأول للإجابة على استفسارنا

بخصوص التقليل من أهمية الأرباح للشركة. ومن ذلك نستنتج أن تاريخ تطوير النظام البنكي يعود إلى عام ١٨٧٥ عندما استقال إيشي (Eiichi) من وظيفته المرموقة بوزارة المالية لإنشاء أول بنك في اليابان وبعد عودته من بعثة دراسية إلى فرنسا بنقله النظام البنكي المتعارف عليه آنذاك بالمنهج البريطاني، على أساس البنوك المساهمة. إلا أن هذا النظام البنكي المنقول من بريطانيا الذي يركز على تمويل التجارة لم يكن صالحاً لليابان لإغفاله لتمويل الصناعة كما هو الحال في أوروبا وأمريكا. وبما أن الاتجاه نحو الصناعة يحتاج إلى تمويل بالإقراض البنكي إلى جانب الرسملة، فإن النظام البريطاني - الفرنسي المنقول كما جاء به إيشي لم يكن هادفاً وواظماً للأغراض الصناعية.

ومع أفول النظام البنكي الذي أسسه إيشي وعدم تناغمه مع الأهداف الصناعية، مع أنه تغير لاحقاً ليتماشى مع فلسفة ياتارو، فقد ظهرت بنفس الوقت فكرة ياتارو مؤسس ميتسويشي في تشجيع الأفراد على رصد ودائعهم في البنك، ليقوم باستثمارها في الصناعات وتمويل رأس المال للصناعات. وقد استوعب ياتارو النموذج الألماني للبنوك من خلال دراسته وتدريبه كموظف حكومة في ألمانيا وخاصة النموذج الذي أحدثه سيمنز والذي كان أول مدير لبنك دويتشة الألماني. وأخذ ياتارو على عاتقه تطوير تملك الزياتسو الخاص بشركة ميتسويشي للصناعات عن طريق استخدام الودائع من الجمهور الذي لم يكن برأيه أن يمتلك أسهم الشركات بل تبقى الشركات للاحتكار أو العائلة ويكون دور البنك في التمويل لرأس المال والقوة المؤثرة على مجلس إدارة الشركة. تركزت أفكار ياتارو بأن بيع الأسهم للجمهور لن يحقق للصناعة انطلاقتها؛ لأن المساهمين وتدخلاتهم ستجعل الإدارة للمصنع محجمة وخائفة. وعلى أثره أصبحت جميع الشركات بالنسبة

لحقوق الشركاء ممولة منهم بنسبة ٢٠٪ و ٨٠٪ من البنك التابع للاحتكار أو التابع للشركة الأم. إن هذه الهيكلية التمويلية غير موجودة منذ القدم وحتى الآن في أي مكان في العالم بأن يقوم البنك بتمويل حقوق المساهمين بنسبة ٨٠٪ والتي يتم اعتبارها اقتصادياً من حقوق الشركاء، بينما هي قانونياً قرض يجب على الشركة الوفاء بأقساطه السنوية زائد الفوائد المترتبة عن طريق القرض الطويل الأجل. أي إن البنك هنا لا يعتبر عنصراً من تكوين رأس المال أو حقوق المساهمين، بل يعتبر بديلاً لرأس المال عن طريق القروض أو ما هو متعارف عليه عالمياً واصطلاحاً (Capital Market). وبهذا تكون الصناعات قد تكونت بنسبة ٢٠٪ من الشركاء و ٨٠٪ قروض بنكية. وهذا يختلف بشكل كلي عن أوروبا وأمريكا التي يتكون رأس المال من ٧٠٪ من الشركاء و ٣٠٪ قروض بنكية. هذا المفهوم الإستراتيجي والهيكلية المختلف، سنأتي على آثاره في التركيز على اقتصاديات الحجم للمبيعات وقلة التركيز على الأرباح، في أهداف الشركة اليابانية بتسديد القرض البنكي طويل الأجل بالوسيلة التي سنأتي لذكرها لاحقاً.

فالإقراض البنكي لحقوق المساهمين من البنك طويل الأجل وبنسبة قد تصل إلى ٨٠٪ من رأس المال يدعو الشركة إلى تركيز جهودها في بيع أكبر كمية منتجة من السلعة كما هو معروف بالاقتصاد اصطلاحاً (اقتصاديات الحجم) واعتبار قسط البنك مع فوائده كجزء من تكلفة المبيعات. فإذا خصمنا من قيمة المبيعات هذه التكلفة يتبقى لنا الهامش الربحي الإجمالي والذي يعكس الإجابة على الاستفسار الأول بتركيزهم على الهامش الربحي المعقول والمقبول أو ما يسمى كهدف بعدم تركيزهم على (أعلى حد من الربح). وبناء على هذه المعادلة فإن البنوك اليابانية في جلبها مدخرات المواطنين ورصدها كودائع ومنحهم عليها فائدة تعتبر أقل نسبة

فائدة في العالم ومنح قروض طويلة الأجل للصناعة بأسعار فائدة تصل إلى زيادة في النسبة للفائدة بمقدار الثلث أو النصف على أسعار الفائدة للقروض التجارية . مع أن هذه القروض الصناعية طويلة الأجل مضمونة والمخاطرة محسوبة في ارتباط الشركة الصناعية مع البنك الذي يضغط على الشركة الصناعة في تركيز جهود الإدارة على البيع بكميات كبيرة في اصطلاح اقتصاديات الحجم حتى تحقق الشركة مردوداً كافياً لتغطية التكاليف المباشرة غير المباشرة مع هامش ربحي بسيط يحقق الاستمرارية .

ومن منظور كلي آخر ، ليس لدى المدير أو المدراء التنفيذيين للشركة أي حافز لزيادة أرباحه بشكل كبير أكثر مما يحققه في تغطية التكلفة المباشرة وغير المباشرة ، بما فيها الفوائد البنكية على القرض الأساسي طويل الأجل ، وهذه تعتبر ابتكاراً وإبداعاً تطور بعد الحرب العالمية الثانية كوسيلة وتكتيك بعد إلغاء الزيباتسو أو الاحتكار وحتى لا تتركز القوة والتأثير من الأرباح بظهور احتكار جديد من المدراء . فالشركة دفعت جزءاً من أرباحها للبنك على قروضها طويلة الأجل مع قسط الأساس والتي تعتبرها الجهات الغربية مصاريف تشغيلية ، وبذلك فقد منحت الحكومة حافزاً للشركات للتقليل من الضرائب على الربح الصافي . ومن منطلق آخر كذلك ، لا يؤدي تركيز الإدارة على الأرباح العالية إلى تخفيض التكاليف على البنك بأي حال من الأحوال ؛ لأنه في حالة الرغبة في إصدار أسهم جديدة ، فإنها تباع على المساهمين الأصليين بالقيمة الاسمية كحافز على ولائهم للشركة ، وبهذا يمكن القول أن الرغبة في تحقيق الهدف المسمى (أعلى حد من الربح) ليس له ما يبرره في الإستراتيجية اليابانية . ومن منظور جزئي يختص بنوازع النفس البشرية للمدراء التنفيذيين لتحقيق مصالحهم الذاتية ، فإنه لا يمكن للمدير أو المدراء في

الشركة الاستفادة من الربحية العالية وارتفاع أسعار الأسهم في السوق؛ لأن المدراء لا يحصلون على حافز متعارف عليه في الغرب وخاصة أمريكا في الأسهم الممنوحة بسعر سوقي بتاريخ محدد والذي يؤدي بالمدير للسعي لزيادة الأرباح حتى يتمتع بهذا الحافز وامتلاك الأسهم بأسعار رخيصة متفق عليها أول العام والتي تتغير قيمتها السوقية بنهاية العام. إن أكثر ما يركز عليه المدير الياباني في التقليل من التكلفة الرأسمالية على القروض، أي محاولة التشغيل بأقل اقتراض بنكي ممكن وهذا لا شك هدف رشيد وعقلاني. وهذا لا شك بعد كل هذا الإيضاح لا يرتبط بالقيم الاجتماعية اليابانية، بل بالهيكلية التي تقوم عليها الشركات وليس كإستراتيجية. إن الهيكلية البنوية (Structure) بهذه الحالة هي التي تقود الإستراتيجية وليس العكس كنظرية وقاعدة متعارف عليها.

في الغرب مثلاً وفي أمريكا بالذات، تقترض الشركة من البنك بأسعار فائدة مرتبطة بقوة الشركة ومعاييرها في سعر السهم السوقية أو نسبة الربح للسهم لسعر السوق المعروفة وبذلك يحقق المدير الغربي الهدف في تقليل التكلفة الإقراضية (Cost of Capital)، ولهذا يكون تركيزه على الوصول لأعلى حد من الربحية حتى يقلل التكلفة الإقراضية. وعلى العكس من ذلك، يستخدم المدير الياباني إستراتيجية عكسية في تقليل تكاليف الاقتراض بزيادة حجم المبيعات والتقليل من الاقتراض البنكي دون اللجوء إلى زيادة الربح والسعر السوقي للأسهم؛ لأن هذه المعايير لا تخدم أغراضه، بل يخدمها اقتصاديات الحجم وتغطية تكاليفه المباشرة وغير المباشرة وتحقيق توزيع أرباح مستقرة على المساهمين أو أسهم مجانية، أو أسهم جديدة لنفس المساهمين بالقيمة الاسمية.

ولأن الشركة الصانعة حصلت على قرض بنكي طويل الأجل كما أسلفنا في

جانب حقوق المساهمين (Equity) كقرض بنكي، فإن قدرة الشركة الصانعة بشكل مباشر في الحصول على تمويل تجاري بنكي قصير الأجل لتصدير منتجاتها وبيعها للموردين الخارجيين تقف عائقاً في سبيل استمرار نشاطها في الصناعة ومن ثم التصدير معاً، أي لا يمكن للشركة الصانعة الحصول على قرض طويل الأجل وقرض آخر قصير الأجل. وعلى أثره، اتجه رجال المال (الزايكاي) لإنشاء البيوتات التجارية بعد حل الاحتكارات إلى أسلوب احتكاري جديد، بفصل الشركة الصانعة عن التوزيع بالجملة أو التجزئة وإعطائها إلى هذه الشركات الشقيقة الجديدة (البيوتات التجارية) التي ضخت الأموال في هذه البيوتات لتكوين السوق الجديد لما هو معروف اصطلاحاً (سوق المال) (Money Market) وركزت البنوك دورها في تمويل (سوق رأس المال Capital Market) للمصانع من أجل الإنتاج المكثف (Mass Production) وتركت التمويل الخاص بالتصدير إلى البيوتات التجارية التي تكون في بعض الأحيان تابعة للشركة الأم وبنكها الممول.

ويبقى في النهاية إجابة أكثر وضوحاً كما أوردها عالم الإدارة الأمريكي المعروف بيتر دركر (Drucker) في تفسير الأسباب التي فرضت على الإدارة اليابانية ضرورة التركيز على اقتصاديات الحجم (Economies of Scale) أو بتعبير أكثر ايضاحاً وهو الإنتاجية أو زيادة حجم المبيعات أولاً كهدف أساسي دون الالتفات للأرباح العالية. ويرى أن مثل هذا السلوك عقلاً فم إذا تم تحليل هيكلية الرواتب والأجور للموظفين والعمال والذي يتصف بالديمومة بالوظيفة الدائمة لفئة قد تصل في المتوسط إلى ٣٥٪ من مجموع العمالة للشركة الواحدة مع الزيادة الأوتوماتيكية السنوية على الراتب المرتبطة بالأقدمية وحتى التقاعد عند سن (٥٥) سنة لقطاع الأعمال. فإذا زادت الرواتب سنوياً مع طول الخدمة دون أي

ارتباط في الأداء أو الوظيفة أو حتى المهارات، وإذا أقرنا ضرورة ديمومة الموظفين في جدول الرواتب حتى التقاعد، فإنه من المنطقي أن تكون هذه الهيكلية البنوية للرواتب (Wage Structure) مؤدية إلى إستراتيجية اقتصاديات الحجم في زيادة الإنتاجية بشكل سريع، إذ إن الاسترخاء في زيادة الإنتاجية يعتبر نداء إلى انخفاض إنتاجية وفقدان المنافسة وحصة الشركة من السوق (Market Share). وبما أن التعيين في الوظائف المؤقتة يتم بشكل تلقائي وفي وقت واحد سنوياً بشهر إبريل من كل عام على بداية السلم للأجور القليلة لهذه الفئة الجديدة، فإن تغطية هذه النفقات المعتبرة في اليابان (مصاريف رأسمالية) لا يعززها إلا زيادة حجم الإنتاج. وعلى هذه المعادلة البسيطة فإن الموظفين الجدد ذوي الرواتب القليلة بالمقارنة مع أقرانهم ممن في خدمة الشركة لعشرين عاماً يؤدي بالمتوسط إلى تقليل تكلفة الوحدة المنتجة إذ إن هذه المجموعة الجديدة بالوظائف المؤقتة تصبح إنتاجيتهم ثلاثة أضعاف أقرانهم من قدامى الموظفين؛ ولذلك فإن الرشد والعقلانية في زيادة الإنتاجية مع تقليل تكاليف الوحدة المنتجة الواحدة تصبح إستراتيجية تابعة للهيكلية التي أصبحت مشتقة من القيم الاجتماعية في الوظيفة الدائمة وزيادة الرواتب السنوية مع طول الخدمة. إن هيكلية الرواتب الدائمة وانعدام التفكير بفصل الموظفين تعطي دلالة أنه ليس أمامهم إلا إستراتيجية زيادة الإنتاج أو اقتصاديات الحجم أو زيادة كمية المبيعات المنتجة (Mass Production).

لا شك أن هذه البنوية - الهيكلية في الرواتب والأجور التي تعتبر مصاريف رأسمالية تزداد كلما ازداد عمر الشركة يعكس المنطق في إهلاكها مع الزمن كما هو متعارف عليه؛ ولهذا فإن الإجابة على الاستفسار الغامض في زيادة الإنتاجية وزيادة الكمية المباعة واقتصاديات الحجم مرتبطة بعدد من العناصر الهيكلية التي

أدت إلى إستراتيجية مفروضة بحكم الواقع وليس بحكم الاختيار. ومن المؤكد أن مثل هذا الترابط ما بين الهيكلية والإستراتيجية، أي إن الهيكلية ينتج عنها إستراتيجية (Strategy follows structure). وليس كما هو معروف بالنظرية العامة بأن الإستراتيجية ينتج عنها الهيكلية (Structure follows strategy) فالنظام البنكي الياباني يسيطر عليه نخبة من الزايكاي (رجال المال) واتحاد التنظيمات الاقتصادية بقوة وتأثير ونفوذ واسع على الاقتصاد والسياسة اليابانية. والهيكلية البنكية للإقراض التمويلي لرأس المال وحقوق المساهمين أدت إلى تركيز الشركات الصناعية على العمل الجاد والهادف لتحقيق عائدات عالية للبنوك في تسديد القسط السنوي للقروض طويل الأجل مع فوائده العالية والتي يتم احتسابها كجزء من التكلفة للمنتج أو المبيعات آخذين بعين الاعتبار أن البنوك تمنح المواطنين على ادخاراتهم العالية فائدة تعتبر الأقل في العالم. وإذا أضفنا أن القدرة الادخارية العالية للفرد الياباني وضخها في البنوك ومن ثم إقراضها للمصانع دون استثمارها خارجياً، فإن النتيجة المعروفة عالمياً بأن أكبر البنوك في العالم من حيث جميع المعايير تتحقق للبنوك اليابانية كما نراها عاماً بعد عام بقوائم أكبر مائة بنك في العالم. ولهذا السبب تركز الشركة على الإنتاجية وزيادة الكميات المباعة (Volume) أكثر من تركيزها على الهامش الربحي للشركة؛ لأن جزءاً كبيراً من الهامش الربحي قد تم خصمه من تكلفة الإنتاج واستلمه البنك الممول، ولهذا نلاحظ أن الهامش الربحي للشركة يعتبر بكل المقاييس العالمية منخفضاً مقارنة بالشركات الأوروبية والأمريكية.

ولأن الشركات الصناعية حصلت على قروض رأسمالية مما يطلق عليه أسواق رأس المال (Capital Market) ولا تستطيع الحصول على قروض تجارية قصيرة

الأمَد لتمويل التجارة العالمية للتصدير أو تمويل ومساندة الوكيل المحلي أو الوكيل في دول العالم مباشرة، فقد انبثقت البيوتات التجارية لتمارس هذه المهمة في التوزيع والتصدير ومتابعة الدفع لقيمة المنتجات المشحونة للوكلاء وغيرهم مما يطلق عليه (أسواق المال Money Market) لتركيز دور الشركة الصانعة في التركيز على زيادة الإنتاج حتى يغطي التكاليف المباشرة وغير المباشرة وجزء منها التكاليف الاقتراضية والبيوتات التجارية على التوزيع والبيع وتمويل التجارة البيعية والتسويقية.

إن التركيز الإستراتيجي على زيادة الإنتاجية وزيادة الكمية المباعة واقتصاديات الحجم والإنتاج المكثف له ما يبرره من عقلانية ورشد في هيكلية النظام البنكي. وكذلك عندما يقال: إن الشركات اليابانية لا تركز للوصول على أعلى حد من الربح؛ لأن جزءاً كبيراً من الأرباح قد تم خصمها واعتبارها تكلفة تتعلق في أقساط القرض وفوائده. وزيادة الإنتاجية ليست إستراتيجية منطلقة من ابتكار وإبداع بل من حاجة فرضتها الظروف والواقع البنوي للشركات من حيث الوظيفة الدائمة والزيادة السنوية في الراتب. وليس أمام الشركات اليابانية إلا الاتجاه نحو زيادة الإنتاجية لأنها مصدر البقاء والاستمرارية والتي تعتبر الهاجس الرئيسي للإدارة والشعب الياباني.

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collings Publishers, 1995. pp. 63-65, 89-93

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 278-285

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 238-240

Akion Morita and Sony, Made in Japan, Penguin Book, New York, 1988. pp. 82-143.

خصائص الإستراتيجية الإدارية اليابانية

عند النظر إلى العلاقة القوية ما بين النتائج الاقتصادية اليابانية الباهرة المنبثقة عن الابتكار والاختراع لمنتجات عالية الجودة وكاسحة لأسواق العالم وتمتع بحصة كبيرة في السوق العالمي، مع توسع وانتشار البيوتات التجارية لهذه الشركات العملاقة، فإن هذه المقدرة على النمو والتطور والحفاظ عليه خلال فترات طويلة من الزمن قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها لا بد أن ترتبط بإدارة فاعلة وترابط وتنسيق مجتمعي واسع مؤدي للاستمرارية. وإذا كان لليابان مصادر عديدة للنجاح المرتبط بالتاريخ والجغرافيا والديموغرافيا، فإن أكثرها أثراً يعود إلى حكمة السياسات الحكومية في تعاضدها وتشجيعها وقدرتها على تحفيز ودفع قطاع الأعمال (الصناعة، التجارة، البنوك، الخدمات) على الكفاءة والإنتاجية. إن هذا الترابط ما بين الثقافة المؤثرة على السلوك الاقتصادي وأخلاقيات العمل الإيجابية وإيجابية السياسات الاقتصادية الحكومية مع خصائص الإدارة اليابانية مجتمعة أدت إلى الوصول إلى هذه القدرات الاقتصادية اليابانية لوصفها بالمعجزة في العصر الحديث. وحتى تتربط المسافات التي حاولت إيضاحها بكل سهولة ويسر للقارئ العربي عن الإدارة اليابانية من منهج جزئي تحليلي، فإن هذا المساق سيركز على هذه الخصائص من منهج كلي مختلف عن المسافات الجزئية السابقة.

وإذا كان هنالك مداخل عديدة لتحديد هذه الخصائص العامة فإنني سأحاول هنا التركيز على خصائص الإدارة المتعلقة بقطاع الأعمال، أو إدارة الأعمال على وجه الحدود. كما سيكون التركيز على مسببات نجاح وتميز الشركات اليابانية من منطلق قدرتها التنافسية العالمية واكتسابها حصة معقولة من السوق العالمي. ووصولاً لهذه الخصائص العامة المعقدة والمتشابكة، فإنني سأحاول تحليلها من عدة أبعاد

وهي :

أولاً : البيئة العامة لقطاع الأعمال .

ثانياً : خصائص الإستراتيجية الإدارية .

ثالثاً : الخصائص البنيوية والهيكلية .

ونعني بالبيئة العامة لقطاع الأعمال تلك العناصر والخصائص الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تشكل إطاراً ونطاقاً عاماً تعمل الشركات والمصانع والبنوك من خلاله . أما الإستراتيجية فتعني لأغراضنا مجموعة الوسائل والسبل التي تجاهد الشركة من خلالها لتحقيق أهدافها وترتبط عضويّاً مع السوق من خلال المنتجات والسلع والخدمات التي تقدمها للبيع للمستهلكين . أما الخصائص البنيوية فتعني بالأنظمة والقوانين والسياسات والإجراءات في إدارة القوى العاملة التي تعمل لتحقيق الإستراتيجية ويدخل في ضمنها السلوك التنظيمي ونظام التوظيف الدائم ووسائل المكافأة والعقاب وعلاقات العمل والقيادة والاتصال واتخاذ القرارات والتدريب .

أولاً : البيئة العامة لقطاع الأعمال (Business Enviornment)

كانت وجهة نظر آدم سميث أول المنظرين الاقتصاديين تقول (إن المصدر الرئيسي للتفاوت بين ثروات الأمم كان حكمة أو غباء السياسات الحكومية ، وإن السلوك الاقتصادي للإنسان متى تحرر من قيود التخطيط السيئ . إن العديد من الاختلافات في الأداء بين الاقتصاديات يمكن في الحقيقة إرجاعها إلى الاختلافات في السياسات الحكومية) . ويمكن إرجاع النجاح الاقتصادي في اليابان منذ الانفتاح عام ١٨٥٤ وحتى الآن إلى عوامل أساسية أهمها الانفتاح على الغرب وعصر

النهضة الميجية وحركة الإصلاح التصحيحية التي نفذها مكارثر بعد الحرب العالمية الثانية في تبني سياسات اقتصادية مشجعة ومحفزة لقطاع الأعمال. فقد تخلت اليابان عن العزلة عام ١٨٥٤ بعدما دخل الجنرال الأميركي بيرى الموانئ اليابانية وانفتحت على التقنية الغربية حتى لا تفقد استقلالها في مواجهة الاستعمار الأوروبي ودخلت في منافسة معهم في احتلالها لبعض الدول الشرق آسيوية بما فيها جزء من الصين وهزيمتها لروسيا. وقد حدثت عملية مشابهة تقريباً في العهد العثماني وبعد حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ والتي سببت صدمة كبيرة للمجتمع المصري وأدت إلى إصلاحات عديدة بقيادة محمد علي باشا الذي تحدى السلطة العثمانية وأصبح يسيطر على أجزاء كبيرة من البلاد العربية. إن دراسة التاريخ الياباني توصلت إلى نتيجة مؤداها أن المنافسة العسكرية كانت عاملاً لتوحيد الشعب الياباني في محاولته التوسعية الفاشية وكانت الهزيمة بعد الحرب العالمية الثانية مصدراً للاتجاه في المنافسة الاقتصادية والصناعية. وساهمت السياسات الحكومية في تكوين بيئة عامة سياسية وحكومية إيجابية في دفع وتحفيز قطاع الأعمال للكفاءة والإنتاجية والمنافسة العالمية. إن المنافسة في اليابان كلمة مفتاحية على كافة المستويات.

إن الاستقرار والنمو الاقتصادي الذي تشهده اليابان منذ آلاف السنوات مصدره الرئيسي الأول دون منازع بأنهم شعب متجانس ومطيع وبتقيد بالتعليمات وقابل للحكم النابع من هذا الشعب المتجانس. إذ لم يصلهم على مرّ التاريخ أي استعمار أجنبي وحتى الحرب العالمية الثانية. ومن مقولة آدم سميث ومن لحقه من المنظرين الاقتصاديين والإداريين في العالم فإنه لا مجال لدحض الافتراضية التي أكدتها البحوث بأن إيجابية البيروقراطية الحكومية هي المصدر الرئيسي للنمو

والتطوير الاقتصادي والإداري لأي بلد في العالم. وقد حققت اليابان الترابط والتعاقد ما بين البيروقراطية وقطاع الأعمال بشكل منقطع النظير بفضل التوجيهات أو الإرشادات الإدارية (Administration Guidance) الصادرة من الحكومة بفعل الطاعة للتعليمات الذي سبق ذكرها. ويعود تاريخ التوجيهات أو الإرشادات الإدارية إلى فضيحة السياسيين المسماة (Teijin Affairs) عام ١٩٣٤ عندما امتلكت الحكومة أسهماً باسم بنك اليابان عام ١٩٢٨ في شركة سوزوكي التي كانت تنافس متسوي وميتسوبيشي والتي انتهت بالانقلاب العسكري على البرلمان من العسكر والبيروقراطية ورجال الصناعة في ٢٦/٢/١٩٣٦ وتولى اللواء أوكادا مهام رئاسة الوزراء. وصدر عام ١٩٣٨ قانون التعبئة الوطني (National Mobilization Law) والذي كان ولا زال نبراسه فيما أطلق عليه عام ١٩٤١ (التوجيهات الإدارية للتعاون الصناعي) والذي كان يهدف إلى:

أولاً : التنميط والتأطير وتوحيد المواصفات والمقاييس (Standarization) بما أطلق عليه حتى عصرنا الحاضر (Japanese International Standard).

ثانياً : الإنتاج الكثيف لتنظيم كفاءة الحرب (Mass Production).

ثالثاً : مركزية المعلومات في طوكيو لتأكيد رقابة الحكومة في تحديد مهام الحرب.

لا شك أن حملة بيرري عام ١٨٥٣ أطلقت شرارة الانفتاح والابتعاد عن العزلة والاتجاه نحو أوروبا ومحاولة هضم واستيعاب ونقل النظريات والممارسات الغربية في النهضة الصناعية. وقد حققت اليابان ما بين عام ١٨٦٨ وحتى عام ١٩٤١ ببدء صدور التوجيهات الإدارية الحكومية منحني تعلم لنظرية الإدارة العلمية التي كانت في أوج ظهورها والتي ركزت على الكفاءة والإنتاجية والتنميط لخطوات

سير العمل والحركة والوقت. وكان قانون التعبئة العامة وميكانيكيته في التوجيهات الإدارية أساساً للابتكار والإبداع الياباني في قيادة السياسات والمواصفات والمقاييس والمعايير الترميضية (Standarization) للصناعة والتعليم وتساعد الرقابة الحكومية على تحقيق التعبئة العامة للحرب آنذاك. وساهمت التوجيهات الإدارية من الحكومة في محاباتها نحو الصناعيين في صياغة قواعد رقابية تحقق هذا التشجيع لأنه من خلال الشركة الصانعة ونجاحها يتحقق نجاح البيروقراطية في تحقيق أهدافها. وكانت ولا زالت فلسفة الحكومة تركز على أن إفلاس المصنع يعتبر مشكلة تتحمل مسؤوليتها في النهاية الحكومة، ومن الضروري والمحتتم الاتجاه نحو هذه المحابة للمصانع في هذه التوجيهات حتى يتحقق لها النجاح. وركزت الحكومة بالتوجيهات أو الإرشادات الإدارية على الترميظ والإنتاج الكثيف ومركزة المعلومات في طوكيو لتحقيق رقابتها على هذه المصانع وصولاً إلى انعدام الإنتاج الفائض (Surplus) والقضاء على العادم والرقابة على الاستيراد لتشجيع الصناعات المحلية.

وقد استمرت التوجيهات أو الإرشادات الإدارية الحكومية المنبثقة عن قانون التعبئة العامة الحربية بعد الحرب العالمية الثانية، وكان مما أثار العجب لدى الحاكم العسكري الأمريكي مكارثر آنذاك بعد احتلال اليابان عام ١٩٤٥ أن إعادة سلطة الأمبراطور لم تلق أي مقاومة مطلقاً من الشعب الياباني مما يؤكد أن اليابان ليس لها هدف وطني واضح إلا الإستراتيجية الحضارية للأمبراطور كقيمة أساسية وعرف لا يمكن إغفاله. ولهذا فإن استمرارية التوجيهات أو الإرشادات الإدارية التي ابتدأت عام ١٩٤١ أخذت منهجاً جديداً بعد الاحتلال الأمريكي في جنوبها السلمي للإنتاج المكثف وتصدير الفائض لدول العالم بالإضافة إلى الترميظ ومركزة المعلومات. كما يرى عدد من الكتاب اليابانيين ممن عملوا في وزارة

التجارة الدولية (MITI) إن هذه التوجيهات أصبحت تشكل القيادة والتنظيم الرئيسي للشركات اليابانية. ويرى البعض الآخر أن تأثير البيروقراطية وسلطانها الاستبدادية في توجيه القطاع الصناعي في منع النشاطات التي لا يوجد لها أنظمة وقوانين خاصة نابع من القوة القيادية للبيروقراطية كجزء من حضارة اليابان في الطاعة والولاء التي لا زالت جزءاً من القيم والأعراف اليابانية.

ويشعر اليابانيون أن هذه التوجيهات أو الإرشادات الإدارية تمثل الأغلبية ويتقيد الجميع بقبولها وتنفيذها ؛ لأنها نابعة من شعب متجانس لا يشوبه التعصب أو البغضاء. والسبب الرئيسي لهذا القبول والرضوخ التام للتوجيهات الإدارية نابع من أن اليابان لم يدخلها أي محتل أجنبي منذ آلاف السنين وحتى مجيء الاحتلال الأمريكي عام ١٩٤٥. ومع اضمحلال وانعدام قوة العسكرة بعد الحرب العالمية الثانية وانخفاض نسبة الضرائب ازداد قبول السلطة البيروقراطية كونها نابعة من مجتمع متجانس يفترض فيه خدمة موظفي البيروقراطية لمتطلبات الشعب. وتحقق أهمية هذه التوجيهات الإدارية في قدرتها على حماية إنتاج الشركات الصانعة في القضاء على العادم والفائض من خلال التنميط أولاً ومن خلال المقاييس العالية للإنتاج المكثف والمرتبط جميعه بحماية الصناعات المحلية.

ابتداء التماسك التنظيمي يعطي ثماره في حركة التصحيح الأمريكية بعد هزيمة الحرب وخلال الاحتلال الأمريكي في تمزيق الاحتكار للزياتسو (العوائل المحظوظة) الذي عزز هذا التماسك في تحديد هوية الإدارة العليا والأهداف العامة للشركة وفوق ذلك كله في الفصل ما بين امتلاك الشركة وإدارتها والرقابة عليها. إلغاء الاحتكار دون شك كونه طبقة المديرين المحترفين الذين أصبحوا أعضاء في مجلس الإدارات للشركات وساهم مساهمة فاعلة في تحقيق النمو والتطور الذي

نحن بصددده. فقد أصبحت اليابان ذات اقتصاد رأسمالي بدون رأسماليين بتوفر (٧٧١٠) وظيفة إدارة عليا فقط عام ١٩٤٩ بتخلي أعضاء الزياتسو عن الإدارة وعضوية مجلس الإدارة. هذه الفرصة لجيل جديد من العاملين في الإدارة الوسطى من الشركة لإدارتها أعطى زخماً لا يمكن تجاهله في الحافز والدافع لهؤلاء كعينة أولية في العمل الجاد لبناء الصناعات المنافسة.

ومع التماسك التنظيمي بعد الحرب العالمية الثانية وظهور طبقة المديرين اتجهت اليابان السلمية إلى الترابطية والاعتمادية لتحقيق المصالح المتبادلة ما بين المساهم والعامل والمورد والمستهلك في اصطلاحهم (Stakeholder) بدلاً من المساهمين أو المالكين (Shareholder)، وأصبح العرف السائد بعد حل الاحتكار وتغيير مصدر القوة والتأثير إلى الإدارة العليا للبنك الممول من نواحي تفصيلية ومن وزارة التجارة والصناعة الدولية (MITI) بفعل التوجيهات أو الإرشادات الإدارية من منظور كلي. وأصبح الاتجاه بناء على ذلك طويل الأمد، إذ إن الإدارة العليا الممثلة لمجلس المديرين تنظر للنشاط والمردود من منظار الأفق الواسع والطويل الأمد، وليس للحصول على أعلى حد من الربح للمساهمين، لأن المساهمين لا يشكلون إلا جزءاً بسيطاً من الهدف الذي يعملون لتحقيقه لصالح (Stakeholders) وهم الموظفون والعمال والإدارة العليا والمستهلكون والموردون والموزعون والبنك الممول إلى جانب المساهمين. لا تسعى الشركات اليابانية للربح في المدى القصير بل لتحقيق البقاء والاستمرارية على المدى الطويل. ولا يمكن لمجموعة أن تحقق أغراضها على حساب الأخرى، ولا يمكن إغفال أي مجموعة في حالات الإفلاس أو الأزمات. والعلاقة الوثيقة للبنك الممول في اليابان مع الشركة فريدة من نوعها في العالم إذ تعتبر علاقة تكامل بمنح قرض طويل الأجل وخدمات مالية

واستشارات هذا إلى جانب ضمان البنك للشركة بالاستمرار في حالة الخسارة والإفلاس. ونظام كيريتسو (Keiretsu) في الاتحاد والمشاركة كذلك يؤكد التكامل وديمومة ترابط المصالح. فالمساهمون يتلقون أرباحاً ثابتة على أسهمهم ويتم كذلك منحهم أسهماً جديدة بالقيمة الاسمية في حالة الاكتتاب الإضافي تعزيزاً لولائهم وتفانيهم مع الشركة. إن هذا كله يعكس الراحة النفسية لمجلس المديرين والعضو المنتدب للشركة بأنه لا ضغوط عليهم للحصول على الربح في الأجل القصير ولا ضرورة لاهتمامهم بصعود قيمة السهم السوقية. وبهذا يركزون على أهدافهم طويلة الأجل في الحصول على الحصة السوقية والنمو. ولهذا السبب نلاحظ بوضوح القدرة التنافسية للشركات اليابانية أمام غيرها التي تركز على الربح القصير الأجل. فالحصول على حصة من السوق والنمو المضطرد يعتبر أكبر وأنبأ الأهداف للشركات والإدارة اليابانية من نهج إستراتيجي طويل الأمد. فالشركات تفضل النمو عن الأرباح وخاصة بعد حل الزيياتسو وانفصال رأس المال عن الإدارة أو كما يسمون اليابان بأنها دولة ذات اقتصاد رأسمالي بدون رأسماليين. وإلقاء نظرة على الجدول التالي تتضح أهداف الشركات اليابانية مقارنة بالأمريكية على سبيل المثال:

اليابان	أمريكا	
١٢٤	٢٤٣	العائد على الاستثمار
٠.٢	١١٤	ازدياد قيمة السهم في السوق
١٤٣	٧٣	الزيادة في حصة السوق
١٠٦	٢١	نسبة زيادة المنتجات الجديدة

كما أن المستهلك الياباني كما يسميه البروفسور رتشي (Richie) الأستاذ بجامعة كولومبيا المختص بالأدب الياباني يطلق على الحضارة اليابانية تعبير (حضارة المستهلك)، إذ إنه لمن الغرائب أن يطلق أستاذ أمريكي من معقل نظرية التسويق هذا التعبير على اليابان. إن مصادر المنافسة اليابانية مع أننا أوضحنا علاقتها بالتاريخ والجغرافيا والتضحية بالعمل من أجل البقاء، فإن دور الفرد الياباني وسلوكه الاستهلاكي ضرورة لتعزيز الحس والمسلك التنافسي الذي تسعى الشركات لتحقيقه من أجل تحقيق حاجات ورغبات المستهلك المحلي. هذا المستهلك المحلي هو الذي بذر وزرع وجذر المسلك التنافسي للشركات في اليابان من أجل نوعية عالية الجودة للسلعة. هذا المستهلك يصعب على الشركة المنتجة إرضاءه حيث إنه شديد التدقيق في التفاصيل والتوافه ويتفحص كل مشترياته وفي البحث عن أي تقصير أو نواقص قد تكون مقبولة في دول العالم الأخرى، ولهذا كله ظهرت النظرية اليابانية كيزن وتركيزها على إرضاء المستهلك. ولتحقيق رضاء المستهلك، فإن السيارة الألمانية بي أم دبليو (BMW) يتم إعادة تفكيك وتركيب السيارة بعد وصولها مستوردة وتركيب أي إضافة محققة للهدف في النوعية المتميزة. وينطبق هذا على كافة المستوردات وخير مثال ما حققته الساعات اليابانية - السويسرية المشتركة سيكو (SEIKO) بدخولها السوق اليابانية بعد تعديل النوعية مما أعطاه سمعة عالمية. وتتجه الشركات العالمية الغربية والكورية إلى الوصول للمستهلك الياباني وإرضائه بالنوعية المتميزة من أجل إيجاد قدم لها في المنافسة العالمية. إن إرضاء حاجات ورغبات المستهلك الياباني كانت ولا زالت مصدراً أساسياً لتحسين النوعية والتي أوصلت المنتج الياباني ليكون منافساً عالمياً للمنتجات الأخرى.

ثانياً : الإستراتيجية (STRATEGY).

استطاع اليابانيون بحكم العمل الجاد والإخلاص والتفاني والرغبة في البقاء على تفهم واستخدام النظريات الإستراتيجية لقطاع الأعمال والتي ظهرت في الغرب بشكل واضح وملحوس في قراءة الكتابات اليابانية والتطبيق العملي . فكتابات كينيشي أوماي (Keniechi Ohmae) الذي وصلت مبيعات كتابه (The mind of the strategist) لأعلى مبيعات تمت حتى الآن في العالم تعكس هذا الاستيعاب . وفي العمل التطبيقي نجدهم ينفذون إستراتيجية التكامل الأفقي في معظم أعمالهم الدولية، إذ إن نظرية بورتر للتكامل الأفقي تعني (ائتلاف وجمع تقنيات مختلفة ومتميزة من حيث الإنتاج والتوزيع والبيع ضمن الشركة الواحدة) . هذا التكامل الأفقي ذو شقين أحدهما أمامي والآخر خلفي . فالأمامي يركز على إيجاد المصنع مثلاً قريباً من المستهلك، والخلفي في إيجاد المصنع قريباً من المواد الخام . وقد اتجه اليابانيون نحو التكامل الأمامي والخلفي للتقليل من تكلفة المواد الخام واستقرار تواجدها . وقد اتجهت شركات صناعة الحديد والصلب إلى القضاء على عائقهم الكبير في عدم توفر الخامات بأرضهم والتكلفة العالية لشحن الخام باستيرادها من الخارج وذلك بشرائهم لعدد من شركات الحديد في أستراليا وتحقيق لهم التكلفة الأقل للخام واستقرار العرض للمواد الخام، كما تم بناء المصانع على الشواطئ للتقليل من كلفة شحن الخام من الموانئ . كما قامت شركات هوندا وكانون بعمليات مشابهة بصناعة الأجزاء خارج اليابان مما يؤدي إلى زيادة الإنتاجية وتحسين الكفاءة وضمان النوعية بهذه الشركة لحصولهم على مصدر القوة والتأثير لاستقرار وصول المادة الخام بنوعية مطلوبة وصناعة الأجزاء حسب التمييط الياباني .

إن عملية التشديد والتأكيد على تحقيق حاجات ورغبات المستهلك والسوق أدت وتؤدي إلى ازدياد مقدرتهم في سرعة تحديد الفرص في السوق وقدرتهم الوقتية كذلك على تحديد حجم وأثر المنافسة. هذا النشاط في المبادأة بدلاً من الاسترخاء في إحداث وابتكار منتجات جديدة تقنية مثل الساعة الرقمية وال (Quartz) في الساعات أمثلة حية كما قدموا هذه التقنية عام ١٩٦٤ في الساعات مما أثر بشكل كبير على صناعة الساعات السويسرية. وما قدموه كذلك في صناعة الكاميرات لمنافسة الصناعة الألمانية خير دليل على السرعة في ابتكار تقنيات تلبي حاجات ورغبات المستهلك. كما أن القدرة التسويقية اليابانية في الترابط ما بين الشركة المنتجة ووكيلها وموزعها والمستهلك في تركيزهم على آراء وملاحظات الموزع في مرحلة الابتكار للسلعة الجديد. وتجربة تويوتا في منافسة الفولكسواجن ورينو في أمريكا منذ عام ١٩٥٧ أثبتت توجه الشركات اليابانية إلى الاستمرارية في تحسين المنتجات حتى حققت المنافسة.

فالإستراتيجية التسويقية اليابانية المرتبطة في تحقيق رغبات جميع فئات المستهلكين في إنتاج السلع وأشكال وأحجام محققة لهذه الغاية. فالمنافسة اليابانية الداخلية تعتبر بحجمها وكثرة المنتجين لنفس السلعة أكثر من جميع الدول الأوروبية والأمريكية مجتمعة. فاليابان لديها إحدى عشرة شركة منتجة للسيارات مقارنة بثلاث شركات أمريكية فقط. وتركيزهم على حصة في أي سوق وأهدافهم طويلة الأمد مع التركيز الشديد على النوعية المرتبطة بالسعر المعقول وفي الأسعار التخفيضية لغزو السوق والاحتفاظ بالحصة مع اقتصاديات الحجم. ويلاحظ ذلك في الترابط ما بين الشركة المنتجة ووكيل التوزيع إذ يعتبرونه (Stakeholder) معهم ويقدمون له كافة الخدمات الضرورية لتحقيق الإستراتيجية التسويقية من تدريب ودعاية وإعلان وهامش ربحي جيد أكبر من ربح الشركة المنتجة.

ويبقى قبل ذلك الإستراتيجية الإنتاجية في نظام (TPM و TQM و QC) أو الإدارة الوقائية للمكائن والمعدات ومجموعات العمل وإدارة النوعية الشاملة في استخدام المكائن والمعدات التقنية في إنتاجية المكائن الحديثة، إذ إن المصانع اليابانية تعتبر من أكثر المصانع إهلاكاً (Depreciation) لمعداتها في العالم والمبادأة في تحديث المعدات التقنية التي يتم إنتاجها محلياً من الشركة نفسها للوصول إلى المنافسة وحصة السوق. حتى إن كثيراً من الشركات تمنع أي أجنبي من دخول أرض المصنع حتى لا تتسرب التقنية الخاصة بمكائنتهم إلى الشركات المنافسة. كما أن العاملين غير المتخصصين في ماكينة محددة وانتقالهم للعمل على معظم المكائن والمعدات ضمن فلسفة مجموعات العمل وحتى لا تبقى بعض المكائن دون تشغيل في الأوقات الحرجة. ويساهم نظام كيزن و (في الوقت المحدد) في تقليل المخزون من السلع المنتجة وكذلك في التقليل من المواد الخام والمشتريات مما له أثر كبير على إستراتيجية الإنتاج مما يقلل تكاليف السلعة وتكاليف التشغيل. أضف إلى ذلك الصرف السخي على البحوث التطويرية في اختراع وابتكار منتجات جديدة إذ إن معظم العاملين والمهندسين والباحثين في هذا النشاط ليسوا متخصصين بالتحديد كغيرهم بدول العالم، بل سبق لهم العمل في الإنتاج والبيع والتسويق قبل وصولهم إلى نشاط البحث والتطوير. وتركز على سبيل المثال شركة (Matsushita) الكهربائية على أن يكون جهاز البحث والتطوير المتخصص فقط ٢٠٪ والباقي ممن كانوا في الإنتاج والتسويق والبيع.

ثالثاً : العناصر والخصائص البنيوية والهيكلية (Structure).

إن السمات القيادية اليابانية تعكسها الثقافة والحضارة اليابانية في السلطة الأبوية بدايةً، وتؤكد هذا القبول من المرؤوسين للقائد أو الرئيس إذ إن الترقية

للو وظائف الإشرافية والإدارة المتوسطة والإدارة العليا تتم ضمن عملية الجماعية في الاستشارة للمرؤوسين في مدى قبولهم للقائد. فالترقية مبنية على الأقدمية والخبرة الطويلة في جميع النشاطات، كما أن من خصائص تقويم المدراء والقادة بقدرتهم على تدريب وتطوير مرؤوسيه في المبادأة والعمل الجماعي وصناعة القرارات الجماعية والإجماعية. فالاتصالات الميسرة يعززها جماعات العمل في الجماعية وكذلك الإجماع على صناعة واتخاذ القرار ونظام الرنجي. إن كمية المعلومات التي تنتقل بين العاملين والمشرفين والإدارة كبيرة في ظل هذه الفلسفات اليابانية في الرنجي والجماعية والإجماع. كما أن انتقال الموظف والعامل بين جميع النشاطات له أثر كبير على العلاقات غير الرسمية في الصداقة والزمالة بعد انتهاء الدوام بما يحدد السمة الاتصالية في الثقة والتعاون. كما أن المساواة بين الجميع من قادة ومديرين وعاملين أدت إلى التماسك الداخلي للشعب الياباني، إذ إن الشركات اليابانية تحاول جاهدة التقليل من فكرة المنزلة الرفيعة المرتبطة بالوظيفة والمكتب، وقد اتضح ذلك في مساق الحياة الوظيفية بشكل مسهب. كما أن الوظيفة الدائمة والتقويم الطويل الأمد خاصة مجتمعة ابتدأت تتأطر خلال الحركة التصحيحية من الجنرال مكارثر خلال احتلال اليابان، إلا أنها نجحت في زرع وتجنيد الإخلاص والتفاني بالعمل على خلاف ما كانت قد صممت له آنذاك في بناء الأمن والاستقرار والقضاء على العسكرة الفاشية والكساد والجوع والفاقة التي جابهت اليابان بعد الهزيمة في الحرب العالمية الثانية. إن الأفق والبصيرة الطويلة الأجل تجعل إمكانية التقويم الطويل الأجل كذلك ممكنة ضمن مفهوم الوظيفة الدائمة، وقد اتضح بشكل مسهب آثار السلوك الفردي والسلوك التنظيمي لهذه الخاصية على أرض الواقع في الولاء والانتماء والإخلاص والتفاني.

Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985. pp. 11-17, 36-46, 164-166, 211-216, 226-229

- د. إبراهيم عبدالله المنيف، تطور الفكر الإداري المعاصر، الرياض، مطابع الشمس ٣٩٩١. الفصل الخامس عشر (نظرية الإستراتيجية) ص ٤٨٧-٥٣٢.
- د. إبراهيم عبدالله المنيف، إستراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي، الرياض، دارالعلوم، ١٩٩٢، ص ١٣١-١٦٠.

إستراتيجية انتقال وتطوير التقنية

رافق أسلوب نقل وتطوير التقنية مسيرة الحياة البشرية، وساهم في تصعيدها وزيادة وتيرتها انتقال الإنسان إلى الزراعة والصناعة من خلال اكتشاف المعادن التي كان لها الأثر الهائل في تسريع دورة تطور المجتمع البشري الذي بدأ سلسلة غير متناهية من استخدام التقنية وتبادلها ما زالت مستمرة حتى عصرنا الحاضر. إن الاستمرار المنطقي لحركة التاريخ يؤكد أن ظاهرة انتقال واستيعاب التقنية رافقت المجتمع البشري لتبادل الخبرات والتقنيات وتطويرها لخدمة مصالحه وتطوره. إن الارتباط المصيري بين مفردتي «الحضارة والتقنية» أصبح المعادلة المنطقية الوحيدة التي عليها ومنها انطلق التاريخ الإنساني، حيث إن امتلاك التقنية تم اعتباره أساساً للقدرة التحكيمية بمسيرة التاريخ في العصر الحديث.

ولا شك أن الابتكارات والاختراعات العلمية التي ابتدأت في القرن الثامن عشر في بريطانيا بهرت العالم أجمع وأكدت قدرتها على التحكم في مسيرة العالم آنذاك. ولا شك أن بريطانيا لاحظت ضرورة تنظيم ورقابة التقنية في مستعمراتها إذ وضعت شروطاً قاسية عندما أصدرت اللائحة الخاصة بمنع المستعمرات البريطانية من تصنيع الصوف عام ١٦٩٩ والقوانين المتتابعة للأعوام ١٧٣٠ و١٧٤٩ و١٧٨٥ بمنع تصدير هذه المستعمرات لبعض الصناعات إلى بريطانيا والدول الأخرى ومنع تسرب أي معلومات عن صناعة النسيج، كما أصدرت عام ١٧٢٣ نظاماً خاصاً بمنع هجرة العمالة الفنية إلى المستعمرات وحظر إقامتهم خارج بريطانيا لأكثر من ستة أشهر. إن محاولات بريطانيا حماية انتقال التقنية إلى أمريكا بالذات، إحدى مستعمراتها آنذاك، كانت كما يؤكد ذلك عدد من المؤرخين، سبباً رئيسياً للثورة الأمريكية والحصول على الاستقلال عن بريطانيا عام ١٧٧٦. فاستمرار التاريخ

يدل على أن انتقال التقنية من بلد لآخر ظاهرة قديمة تتجلى فيها علاقة غير متكافئة بين مالِك التقنية ومستوردها. كما أن استقرار التطور العالمي لانتقال التقنية يؤكد أن تطويع التقنية عملية إستراتيجية هادفة ومنظمة ومخططة بوعي وإدراك مجتمعي لما تحقّقه التقنية من أثر اقتصادي واجتماعي وسياسي.

لقد شهد منتصف القرن الثامن عشر بدايات النهضة الصناعية في أوروبا بعدد من الاختراعات العلمية ما بين عام ١٧٧٦ و ١٨٩٨ مثل اختراع الآلة البخارية والقارب والقطار البخاري والدينامو وآلة مورس واكتشاف أديسون للمصباح الكهربائي وصناعة السيارات والسفن الحربية والطائرات. وما يهمنا هنا أن بذور النمو والتطور للدراسات الاقتصادية بظهور نظرية آدم سميث عام ١٧٧٦ وكذلك نظرية مالثوس وريكاردو وجيمس مل وكارل ماركس مما ساهم في بدء التخطيط الاقتصادي عن طريق نقل التقنية الصناعية الذي تسارع بشكل متنامي وخاصة في أمريكا بعد استقلالها وهجرة الأيدي العاملة الفنية والعلماء إليها. ومع كبح جماح نقل التقنية البريطانية، تمكن (سليتر) عراب الصناعة الأمريكية الهرب من بريطانيا إلى أمريكا دون أن يتمكن من حمل أي أوراق أو خرائط أو مخططات ومع ذلك تمكن من اختراع آلة النسيج وحلج القطن المشهورة عام ١٧٩٠. ومن ذلك نستنتج أن الفترة الأولى للنهضة الصناعية مع معيقاتها البريطانية ساهمت في هجرة عدد كبير من الأيدي الماهرة والعلماء إلى أمريكا. ومع الازدياد الهائل في الاختراعات وقيام الحرب العالمية الأولى وما تنامي قبل الحرب العالمية الثانية من تقنيات متقدمة في الصناعات، مما أدى لبزوغ القوة التقنية الأمريكية التي ساهمت بعد هزيمة المانيا واليابان بشكل خاص إلى الانفتاح الكبير على نقل التقنية التي نحن بصدها وبالأخص إلى اليابان.

ويتضح مما سبق أن التطور التقني أخذ فترة طويلة من الزمن وصولاً إلى ظهور الآلة البخارية والتي تسارعت بشكل كبير بنمو الاختراعات والابتكارات المتتالية، وأكثر ما ساهم في الانفتاح التقني في ازدياد حركة تنقل الإنسان من منطقة إلى أخرى بظهور المواصلات السريعة (السيارة، القطار، الطائرة) بالإضافة إلى انتهاء الحرب العالمية الثانية والهزيمة لألمانيا واليابان. وقد ساهمت أمريكا بشكل كبير في برامج المعونات خلال فترة الاحتلال الأوروبي والياباني بسن مشاريع مثل مشروع مارشال لأوروبا ودودج لليابان مما ساهم في ازدياد وتيرة نقل التقنية. كما ساهم بشكل فاعل ظهور الشركات المتعددة الجنسية في نقل التقنية عن طريق استثمارات هذه الشركات المباشرة في دول خارج دولة المقر مع ما رافقها من شركات مختلطة وبيع التراخيص التي سنأتي إلى بعض إجراءاته في الإستراتيجية اليابانية وخاصة لما بعد هزيمة الحرب العالمية الثانية والاحتلال الأمريكي وحتى عصرنا الحاضر.

لم نعد بحاجة إلى تأكيد الحقيقة الثابتة بأن التقنية هي الوسيلة الرئيسية المحققة للتنمية والتطور الاقتصادي. وقد تبين لنا مما تقدم بأن انتقال التقنية ظاهرة حتمية تصطدم بعقبات أساسية في نوازع مالكة في كبح تزويدها ومحاولة تحكمه في اقتنائها واستمرارية استفادته منها. وأكثر ما يعيق تحقيق النقل الفاعل للتقنية استعداد المقلولة إليه وقدرته على استيعابها وهضمها واستخدامها وتطويرها وتطويعها وتطويرها وصولاً إلى ابتكار لاحق لتقنيات محلية. وما دمنا نسعى إلى معرفة الإستراتيجية الفاعلة لنقل التقنية وربط العلاقة ما بين مالك التقنية ومشتريها، فإن أهم عنصر للمتلقي ويمثل الرافد الأساسي لاستعداده وقدرته على استيعابها في قدرة القوى العاملة المحلية المتلقية من معرفة ومهارات وسلوك. إن القدرة الفكرية

والإبداعية للقوى البشرية والقوى العاملة المتلقية للتقنية والمرتبطة بالإستراتيجية تشكل حجر الأساس لتكوين وتأسيس الاستعداد لتبني التقنية والقدرة على استخدامها وتطويرها بشكل يكفل مردوداً رأسمالياً واستثمارياً متوازناً ومستمراً على المدى الطويل . فالإنسان كرأس مال أولي في عملية الاستعداد، لا بد وأن يكون مزوداً بالمعرفة العلمية التجريدية التي تؤهله لفهم وتفسير النتائج والظواهر وترجمتها العلمية التجريدية التي تؤهله لفهم وتفسير النتائج والظواهر وترجمتها إلى مهارات فنية وإبداعية . فالاستعداد هو نواة التأسيس لعملية الانتقالية للتقنية المعززة بالإرادة والإدارة، والتي نتج عنها تحديث للعلم التجريدي وأسلوب تعليمه واستيعابه لما يخدم المجتمع في تطبيقه العملي، وفي آثاره الإيجابية في تغيير طريقة التفكير المجتمعي .

لقد ظهرت الاكتشافات العلمية في القرون الماضية نتيجة جهود خاصة بدافع وحافز فردي، ودون مساعدة أو دعم مادي من مؤسسات علمية أو مصالح تجارية كما هي الآن . ونتيجة الازدياد الهائل في عدد السكان، وازدياد الطلب ومحاولة إشباعه، فقد ازدادت الحاجة إلى الابتكارات العملية لتقليل تكاليف الإنتاج . ولهذا، فإن الكثيرين يعتبرون أن فلسفة الإدارة العلمية التي ظهرت قبل سبعة عقود تقريباً كانت نقطة تحول تاريخية عالمية في الإبداع والاختراع والابتكار لمصادر وأدوات جديدة ساعدت بشكل ملموس على تنمية مستوى الرفاهية للإنسان . ومن هذا المنطلق، يرون أن بروز الشركات المساهمة والمؤسسات الصناعية الضخمة ساهم في انتقال عملية الاكتشافات والاختراعات والابتكارات، من المجهود الفردي إلى هذه الشركات التي تولته بدعم مادي ومعنوي بإحداث إدارات البحوث والتطوير . ومن هنا نجد أن عملية التأسيس أصبحت أسهل بكثير من ذي قبل،

نتيجة انتقالها من المجهود الفردي إلى الجهد المؤسسي. وبذلك، فإن توافر الإرادة والإدارة للمنقولة إليه لا يجابه بصعوبات تعاملية مع الفرد المخترع، بل مع المؤسسة المالكة للتقنية، وهي الشركات المتعددة الجنسية التي ترغب في نشرها في ظل ظروف بيئية محفزة لدى طرف المنقول إليه إذا ما رأت أن المردود الاقتصادي محقق لأهدافها.

إن استقراء التاريخ يدل على أن انتقال التقنية أو (التكنولوجيا) من بلد لآخر هو ظاهرة قديمة تتجلى فيها علاقة غير متكافئة ما بين المصدر والمستورد، وتعتبر عملية مستمرة في الماضي والحاضر من حيث التطور والتقدم. وبدون أدنى شك، فإن الدول المالكة للتكنولوجيا تحبذ وتفضل استمرار استحواذها عليها وبقاء الدول الأخرى مجرد مستوردة لمنتجاتها. ولا أغالي كذلك بأن العلاقة بين المصدر والمستورد للتكنولوجيا شبيهة بالعلاقة بين الذئب والحمل. فالذئب لا يرى في الحمل إلا أنه فريسة، وعلى قدر يقظة الحمل وحمايته لنفسه تتحدد فرصته في النجاة. ومن هذا المنطلق، فإن دراستنا للتجربة اليابانية في الاستحواذ على التقنية من منظور إستراتيجي فقط ستأخذ منهجاً لإلقاء الضوء على الترتيبات والإجراءات الإستراتيجية التي حققها اليابان في نقل التقنية الغربية.

كان من السهل على البعض القول بأن التقدم الاقتصادي الياباني الملحوظ سببه الرئيسي الزيادة المتزنة والمستمرة في الإنتاجية والتي ارتبطت بالاستعارة والنقل للتقنية الأمريكية بعد هزيمتهم بالحرب العالمية الثانية والاحتلال الأمريكي الذي كان معطاءً لأقصى الحدود. ويضيف البعض الآخر بأن العزلة التاريخية الطويلة عن العالم والرغبة الجامحة باللاحاق بالغرب كانت سبباً في التحفيز لما وصلت إليه اليابان من تقدم تقني. إلا أنه من التبسيط الوقوف عند هذا الحد من التعليل

للمعادلة المعروفة بالمدخلات والمخرجات فقط دون الولوج بالإبداعات الإستراتيجية للترابط ما بين الحكومة ورجال الأعمال وصولاً إلى معرفة إجرائية للابتكار في الاستحواذ على التقنية واستيعابها واستخدامها ومن ثم الإتيان بتقنيات يابانية محلية ساهمت في اعتبارها في العصر الحديث لأن تكون من أميز التقنيات العالمية المتقدمة. إنه لمن الإنصاف أن نبحث في كيفية الاستحواذ على التقنية الغربية وضمها واستيعابها من منهج إستراتيجي ونهج مرتبط بالشواهد والمتغيرات الأساسية للمجتمع الياباني وصولاً إلى الاستفادة في كيفية بناء منهج ونهج عربي في انتقال التقنية.

يرى شومبيتر، المنظر الاقتصادي والأب الروحي للتنمية الاقتصادية، في تحليله للتجربة اليابانية أن الاقتصاد الرأسمالي يتصف بالاستمرارية ودون أي انقطاع في التحديث الذاتي من مؤسساته التي تقتحم الأساليب الجديدة في الإنتاج، أو التي تغتني الفرصة التجارية في الهيكلية الصناعية المستحدثة وفي أسرع وقت ممكن. ويرى أن التجربة اليابانية قد تأثرت باستيعاب التغيرات التقنية بأسلوب مشابه لسرب الجراد أو النحل من قبل رجال الأعمال اليابانيين وأدى إلى ميكانيكية بطفرة اقتصادية وتعديلات هيكلية لفترة ممتدة بفعل هزيمة الحرب والاحتلال الأمريكي وضخ المعونات والتعاطف الأمريكي. ويرى كذلك أن الإبداع والابتكار الياباني المستمر يعتبر المحرك الرئيسي لاتجاه طويل الأمد في التنمية الاقتصادية لا سيما إذا كان مشحوناً بالاستثمارات المالية الممتدة والمعززة بالقروض العالية الميسرة من البنوك اليابانية والمرافقة لهذه الطفرة، التي انغمرت بسرب كبير من رجال الأعمال اليابانيين شديدي التوق لهضم واستيعاب التقنية الغربية. وبما أن الثغرة التقنية كانت كبيرة بينهم والغرب، تعززت بقدرة وإرادة ممتدة لفترة زمنية طويلة

أدت إلى استمرارية القابلية والتنشيط الصناعي، دون استرخاء، مع الازدياد المضطرد لسوق رأس المال البنكي. ولا يمكن بالطبع تحقيق التطور التقني والاقتصادي مدار البحث دون توفر القابلية لبيع التقنية الغربية من الشركات المتعددة الجنسية بفعل نظرية التجارة الخارجية المسماة نظرية الدورة الزمنية لحياة المنتج (Product Life Cycle) التي ساهمت في دفع وتحفيز هذه الشركات الغربية على بيع تراخيص التقنية وبراءات الاختراع لليابان؛ لأن الصناعة أو المنتج قد تم إشباع رغبات السوق المحلي الأمريكي من ذلك المنتج، ووصلت الشركة الغربية إلى ابتكار لسلعة جديدة. ولم يكن فقط لإرادة رجال الأعمال اليابانيين من جانب وتوفير التقنية الأمريكية من جانب آخر كل المسببات لنجاح نموذج شومبيتر، بل تعززت كما سبق إيضاحه في المساقات السابقة بإبداعهم للإنتاج المكثف المترامن مع الاستهلاك المحلي المكثف الذي كان ولا يزال اليابانيون كشعب يتوقون الوصول إليه في تقليدهم ليصلوا إلى المستوى الاستهلاكي الغربي والذي فتح أسواقاً محلية كبيرة لمنتجات من التقنية الغربية ذات الأسماء اللامعة (Brand Name) وترافق كذلك دون شك مع (سوق المال) الذي يسميه شومبيتر المركز الرئيسي للنظام الرأسمالي بما قدمته البنوك اليابانية من قروض ميسرة تصل إلى ٨٠٪ من حقوق المساهمين أتينا إلى إيضاحها في المساقات السابقة.

تعود التجربة اليابانية للاستحواذ على التقنية تاريخياً إلى آلاف السنين لنجاحهم في صهر ولحام النحاس عام ٧٤٧ لتمثال بوذا الذي فاق مثيله بالهند آنذاك. ونجحت بالتجربة الثانية عام ١٥٤٣ في استيراد البندقية الحربية البرتغالية ومن ثم صناعتها بعد اثني عشر عاماً وفي عام ١٥٦٥. ووصل إنتاجهم من البنادق الحربية إلى مائة ألف بندقية مقارنة بفرنسا الذي وصل إنتاجها آنذاك إلى عشرة

آلاف فقط. ومع بداية عصر الميجي، قامت بشراء مصنع متكامل لصناعة الحرير عام ١٨٧٣ بما فيه الطوب الخاص لبناء المصنع مع استقدام (١٥) فني فرنسي لتشغيله، وبعد مرور (٤٠) عاماً وبالتحديد عام ١٩١٠ أصبحت اليابان أكبر دولة منتجة للحرير. كما أخذت عن بريطانيا في عام ١٨٨٢ صناعة النسيج بإنشاء أول مصنع متكامل تم لتشغيله بعمالة فنية بريطانية من مانشيستر وابتداء إنتاجه عام ١٨٨٥ وأصبحت دولة منتجة ومصدرة للنسيج آنذاك. إن افتقار اليابان في هذه الحقبة الأولى لعصر النهضة للأيدي العاملة المختصة بالصناعة قد انعكس بدراسة أجريت للفترة من عام ١٨٧٠ وحتى ١٨٨٥ وتبين من خلالها أن ٤٢٪ من ميزانية وزارة الصناعة لعام ١٨٧١ تم صرفه رواتب وأجور للعمال والخبراء الأجانب. وازدادت هذه النسبة لتصل إلى ٦٦,٦٪ من ميزانية الوزارة رواتب وأجور للعمال الغربية المتخصصة لعام ١٨٧٧.

وقد أوضحت في المساقات السابقة الرغبة الجامحة للتعليم والتدريب بعد الانفتاح الذي ابتداء عام ١٨٦٥ بالبعثات الدراسية إلى أوروبا. وأوضحت أن عملية الاختيار للمبتعثين وتركيز دراستهم وتدريبهم على الجانب المهني والملاحظة والتدقيق في كل ما يقابلهم من أمور جديدة ومحاولة رسمها وعمل مخطط لها ساهم في ازدياد العمالة الفنية الماهرة اليابانية مع بداية القرن العشرين. وقد صدرت تعليمات شديدة للمبتعثين عام ١٨٧٠ بعدم الاقتراض المالي أو أي موجودات من الغرباء، وهذا لا شك يعكس الإستراتيجية اليابانية بعد هزيمة الحرب العالمية الثانية التي تركز على (تعلم التقنية الغربية دون الاعتماد على رأس المال الغربي). فقد كان تركيز المبتعثين على ما يسمى باليابانية (Shitesudan) أي الفحص الدقيق والدراسة المتأنية لكل ما يشاهده الطالب خلال دراسته مما يعكس

كذلك الملاحظة المعاصرة للمجموعات اليابانية التي تزور بلاد العالم وتلتقط الصور الفوتوغرافية للمشاهد والأماكن التي تثير فيهم الفضول وحب الاستطلاع والتعلم.

لقد استفادت اليابان من جراء العزلة الطويلة في تكوين شعب متجانس أوضحنا مزاياه الإستراتيجية على المدى الطويل، مع ما رافق ذلك من عقدة النقص الراسخة بإعجابهم الشديد بالنموذج الغربي للتقنية وعقدة الفوقية على الشعوب الآسيوية. هذه التحديات والفرص أعطتهم العزم والإرادة على تقليد الغرب للقضاء على عقدة النقص مع ما يرافقها من قدرة للتقدم لتعزيز العقدة الفوقية على الدول المجاورة خوفاً من أي تهديد قد تلقاه مستقبلاً من هذه الدول وخاصة الصين. إن التهديد والتحدي الذي تعيشه من الدول المجاورة والفرصة للانطلاق في تقليد واستيعاب التقنية الغربية أعطتهم الفرصة الإستراتيجية ورد الفعل للحفاظ على حضارتهم من أي إثارة خارجية. إن السر في التجربة اليابانية يركز على القدرة العالية لرد الفعل للأحوال العامة المعادية في الثوابت البيئية كالجغرافيا وانعدام الثروات المتصفة بالقلّة والندرة مع الفاقة وتحويلها إلى مصادر إيجابية لصالح التنمية والتطوير العام. فحجم الأرض الصغيرة أعطتهم القدرة على الإنثيان بإستراتيجية تحويل الشواطئ إلى مناطق صناعية متقدمة للبتروكيمائيات والحديد وأصبحت قريبة من الموانئ لوصول المواد الخام وقريبة كذلك لنقاط التصدير.

ومع استمرار الموجة الأولى من التوفيق والملاءمة والتحديث التي ابتدأت عام ١٨٦٥، وعودة المبتعثين للدراسة في ألمانيا وبريطانيا وفرنسا، والاتجاه نحو العسكرية واستعمار الدول المحيطة وتحويل الصناعات الحديدية إلى الآلة الحربية، فقد أصبح لديهم ترسبات كبيرة من المعرفة والمهارات والسلوك الانضباطي وإن كانت هزيمة الحرب العالمية الثانية قد دمرت معظمها. وقد اتضح من المسابقات في الفصول

السابقة أن اليابان المسالمة قد استفادت من الاحتلال الأمريكي والتعاطف مع بنائها الذاتي من خلال المنح والمشاريع والانفتاح الذي عززته الحكومة الأمريكية بتشجيع الشركات الصناعية على الاتجاه نحو بناء اليابان الجديد بظفرة ما بعد الحرب. ومع هذا التعزيز والتشجيع الأمريكي الذي رافقه إستراتيجية ذاتية فاعلة في الاستحواذ على التقنية الغربية المنطلقة من أحكام الرقابة الحكومية الشديدة على أسلوب نقل التقنية. وابتدأت عملية الشراء للتقنية الغربية من المنشآت ورجال الأعمال اليابانيين تتم بعد الحصول على موافقة حكومية مفروضة بنظام تحويلات النقد الأجنبي المسمى (نظام الرقابة على تحويل العملة الأجنبية) الصادر عام ١٩٤٩. وكان الهدف الرئيسي من هذا النظام الرقابي الصارم للتأكيد على تنظيم عملية خروج النقد الأجنبي من الاحتياطي العام الذي كان نادراً، مما عزز رقابة الحكومة على حماية العملة المحلية. وقد تعزز هذا النظام الرقابي بنظام آخر صدر عام ١٩٥٠ باسم (نظام الاستثمار الأجنبي) والهادف إلى نمو رأس المال الأجنبي المرافق للتقنية الغربية والأمريكية بالذات خلال فترة الاحتلال الأمريكي، بغية تنمية الاقتصاد وتعزيز ميزان المدفوعات المحلي. وقد كان لصدور هذا النظام الاستثماري أثر إيجابي في تخفيف حدة السلبية التي كانت قائمة بوجود نظام الرقابة على تحويل العملة الأجنبية. ومن منظور إستراتيجي، فإن النظامين معاً يمكن القول بأنهما مكملين لبعضهم البعض فأحدهما لحماية الاحتياطيات من العملة الأجنبية والآخر لزيادة ميزان المدفوعات من العملة الأجنبية كما ورد ذلك في مقدمة نظام الاستثمار الأجنبي في اليابان التي نصت على (تجنيد هذه الاستثمارات الأجنبية للمساهمة الفاعلة في تحقيق الاكتفاء الذاتي والتنمية المترنة للاقتصاد الياباني مع تحسين ميزان المدفوعات ومن خلال دفع الحوالات المالية للأرباح بالعملة الأجنبية لهذه

الاستثمارات الخارجية مع تقديم كافة الضمانات لهذه الاستثمارات). فالقراءة المتأنية لهذه المقدمة تعطي دلالات إستراتيجية بضرورة توفر الرقابة الحكومية في الاستحواذ على التقنية المرافقة لرأس المال الأجنبي دون أي تأثير على استقلالية الاقتصاد الياباني مع منح المستثمر الأجنبي الضمانات الكافية لتحويل الأرباح بعد الموافقة على استثماره.

وركزت الحكومة رقابتها الشديدة على ثلاثة مصادر للاتفاقيات مع الشركات الغربية في اتفاقيات الترخيص لشركة يابانية من شركة غربية أو عقد الشراكة المختلطة اليابانية والغربية أو في عقد الشركة الغربية لفتح فرع مباشر لها في اليابان. واتبعت التكتيك المحقق للإستراتيجية بأن يقوم رجال الأعمال اليابانيين بصياغة الاتفاقية مع صاحب التقنية ومن ثم تقوم بمراجعة الاتفاقية وتضيف عليها ملحق خاص يوقعه الطرفان وتصادق عليه الحكومة بالتعديلات الواردة بالملحق بما يسمى التعديلات الاستثنائية (Exceptional Adjustment) في الأمور الأساسية المتعلقة بتغيير شروط نقل التقنية وأسلوب تحويل قيمة الترخيص بالنسبة للدفعة المقدمة والحد الأدنى وتدريب اليابانيين كشرط أولي وأساسي في دفع استحقاقات الشريك الأجنبي مع تقرير مفصل بأسماء المتدربين والحصول على الرسومات والعلامة التجارية وحقوق الاختراع والأهم من ذلك تركيز الحكومة على إضافة حق الشركة في البيع للأسواق الخارجية خارج دولة مقر صاحب التقنية وحق الشركة اليابانية بالاستمرار في الصناعة بعد انتهاء فترة العقد وإزالة شروط تمتع الشريك الأجنبي صاحب التقنية بالحصول على قائمة بالشركات المتعاملة. هذا بالإضافة إلى حق الحكومة لتعديل مدة العقد بالنقص مع حذف أي شرط وبشكل مطلق للتجديد التلقائي للعقد. ولا شك أن القوة الدافعة للاحتلال الأمريكي المرافقة للطفرة

الاقتصادية الجامحة مع ما رافقها من إيجابيات تتعلق برغبة الشركات المتعددة الجنسية في نقل التقنية لخارج بلادهم من منظور نظرية الدورة الزمنية لحياة السلعة (Product Life Cycle) مما ساهم في قبول الشركات الأمريكية لشروط الملحق الذي تفرضه الحكومة اليابانية.

وقد ساهمت نظرية الدورة الزمنية لحياة المنتج في مجمل النظرية الخاصة بالتجارة الدولية في انتشار التقنية من حيث النقل والاستيعاب والتحديث والاستحداث. فبعد الإنتاج التقني للغرب مثلاً لسلعة أو منتج جديد، يتم تسويقه محلياً ومن ثم تسويقه دولياً عن طريق التصدير وتكون الشركة الأمريكية قد تمكنت من الحصول على الحصص وحصة السوق دون منافسة. تأتي بعدها موجة جديدة من المنافسين من الدول المستوردة والتي تتمتع بمميزات مقارنة من حيث العمالة والمواد الخام مما يحقق في تمتعها بحصة من السوق المحلي ووقف الاستيراد. تتأثر حصة صاحب التقنية الحصري مما يعزز رغبته في انتقال التقنية إلى المجتمع الدولي بإنشاء مصانع في مناطق أخرى تتمتع بمزايا تنافسية وعلى أثره تتجه الشركات الكبرى نحو إنشاء مصنع في هذه البلاد التي تتمتع بسوق استهلاكي كبير. وهذا ما حدث بعد الحرب العالمية الثانية باتجاه كثير من الشركات الأمريكية صاحبة التقنية إلى اليابان لإنشاء مصانعها بطريقة الاستثمار الخارجي المباشر لهذه الشركات العالمية للمحافظة على حصتها من السوق وحفاظها على التقنية الحصرية. وهذا ما قامت به اليابان لاحقاً في استثماراتها المباشرة الخارجية في دول شرق آسيا من حيث إنشاء المصانع اليابانية بشكل مباشر لشركاتها وعن طريق البيوتات التجارية في هذه الأسواق التي تتميز بالعمال الرخيصة أو توفر المواد الخام الرخيصة وفي احتفاظها بالتقنية اليابانية ونقلها لهذه البلاد واحتفاظها بحصة من السوق التي كانت قبل ذلك سوقاً تصديرية. وقد ساهمت هذه البيوتات التجارية في إيجاد مصادر لإنشاء

شركات يابانية مختلطة تصل فيها نسبة الشريك المحلي إلى ٥٠٪ وصاحب التقنية إلى ٢٠٪ و ٣٠٪ للبيوتات التجارية المعروفة أمثال متسوي وميتسوبيشي وغيرها.

ومع أن اليابانيون جابهوا الصعاب في قبول الشركات الألمانية والسويسرية لشروطهم في اتفاقيات التراخيص خوفاً من منافستهم المستقبلية، إلا أن الشركات المتعددة الجنسية الأمريكية بالذات وجدت سوقاً واسعاً للولوج بما تقدمه هذه الطفرة إليهم من مزايا عن طريق الشركات المسجلة في سويسرا وبنما وجزر الكايمان كصورة من صور التهرب الضريبي لأرباحهم من هذه الصفقات في بلادهم.

وكانت هذه الشركات ترى في بيع التراخيص وحقوق الاختراع ما يعتبرونه أرباحاً إضافية وكسباً مفاجئاً وغير متوقع (Windfall Gain) مما ساهم في تنشيط إجراءات النقل التقني مع ما رافق ذلك من استرخاء لدى الحكومة الأمريكية في انعدام الرقابة على مثل هذا البيع للدول الحليفة. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مصدر للتقنية خلال فترة الاحتلال لليابان بشكل اتفاقيات ترخيص أو حقوق منح الاختراع أو بفتح فرع للشركة المتعددة الجنسية مقارنة بجميع الدول الأوروبية الإحدى عشرة في الفترة ما بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٠ حيث بلغت ٤٨٠٩ ترخيصاً أمريكياً مقارنة بالإجمالي البالغ (٨٣٢٤) ترخيصاً. واستلمت أمريكا إيرادات لحقوق الاختراع من اليابان لعام ١٩٦٣ بلغت (٨٥) مليون دولار. واتضح من الدراسات البريطانية التي أجريت أن بيع حقوق الاختراع الأمريكية إلى اليابان كان له مردودٌ ماليٌ مضاعفٌ عما كانت تحصل عليه الشركات الأمريكية من هذا البيع التقني بالمقارنة مع الدول الأوروبية، أي إن اليابانيين كانوا يدفعون مبالغ طائلة مقابل الحصول على التقنية حسب الشروط اليابانية التي تقررها وزارة التجارة والصناعة والتي تكون ملحقاً بالعقد الخاص بشراء التقنية.

واتجهت الرقابة الحكومية عام ١٩٧١ إلى إستراتيجية مفتوحة لتحرير الاستثمار الأجنبي وزيادة دور رأس المال الأجنبي بفعالية متناهية بسماعها للشركات الغربية بامتلاك ١٠٠٪ من فرع مصنع الشركة باليابان بقائمة محددة لعدد من الصناعات التي وصلت فيها اليابان إلى مستوى صناعي تقني متقدم لارتياح الحكومة اليابانية من قدرة الصناعة الوطنية على المنافسة لهذه الصناعات. ومن جانب آخر تم إعداد قائمة بالصناعات التي سمحت الحكومة اليابانية بدخول التقنية الغربية شريكاً بنسبة لا تزيد عن ٥٠٪ خوفاً من السيطرة الغربية على هذه الصناعات. وبالإضافة إلى ذلك، أصدرت الحكومة قائمة بالصناعات التي لا تزيد حصة الشريك الأجنبي الواحد عن ١٠٪ وبحد أعلى ١٥٪ لمجموعة المستثمرين الأجانب لأكثر من شريك في الصناعات الزراعية والسمكية ومصافي البترول وتسويقه وصناعة الجلود وتسويق وتأجير الكمبيوتر. وحتى تتحقق الإستراتيجية التقنية، اتبعت الحكومة اليابانية تكتيك فيه نوع من الغموض يتعلق بالاستثمار الصناعي الأجنبي يعطي الحرية للمدراء الحكوميين بإعطاء معلومات شفوية تعتمد على اللقاءات وجهاً لوجه دون أي توجيهات إدارية تسمى باليابانية ناكي (Naiki) تعكس أسلوباً معتمداً على الحالة المقترحة للاستثمار الأجنبي يتم إعطاء الرأي بخصوصها شفهيّاً وتجعل قوة المركز الحكومي جلية للمستثمر الأجنبي. وأكثر ما تركز عليه هذه الاجتماعات والمعلومات الشفهية في تحقيق الإستراتيجية اليابانية من الشريك الأجنبي بإزالة العوائق في عقود التقنية وشراء براءات الاختراعات في حذف أي مواد في هذه العقود تتعلق في وضع قيود على الشركة اليابانية من حيث ولوجها الأسواق العالمية للسلعة المنتجة. فمثلاً تتطلب الشركة الغربية صاحبة العلامة التجارية المشهورة مثل IBM أن لا يتم بيع منتجات المصنع الياباني الشريك

في أسواق معينة تتوفر بها وكلاء أو مكاتب للشركة مالكة التقنية . وتحاول الحكومة اليابانية عن طريق الإجراءات هذه إزالة هذه الشروط أمام الصادرات اليابانية لتلك الصناعة فيما إذا تمكنت من ذلك مع صاحبة التقنية .

بعد أن وصلت اليابان إلى مرحلة متقدمة من تحقيق هدفها الرئيسي في إحلال الصناعات اليابانية بدلاً من استيراد الصناعات الأجنبية، اتجهت نحو التصدير مما ساهم في تحفيز المديرين اليابانيين نحو المنافسة العالمية في التميز النوعي للمنتجات اليابانية والسعي الحثيث للوصول إلى هذا المستوى من التميز . وقد أدى ذلك في المرحلة الحالية ومنذ عام ١٩٦٠ إلى الإتيان بتقنيات محلية يابانية جديدة بدلاً من شراء التقنية الغربية . اتجهت الإدارة اليابانية بدلاً من شراء التقنية وحقوق الاختراع إلى رصد ميزانيات مخصصة للبحوث والدراسات وصولاً إلى الإبداع والابتكار للتقنيات اليابانية كمرحلة ثانية بعد المرحلة الأولى بشراء التقنية وعقود حقوق الاختراع . واستمرت المرحلة الثانية في الإتيان بتقنيات يابانية حتى العصر الحالي تنامت وتطورت للمرحلة الثالثة في تصدير التقنيات اليابانية لدول العالم . وتتميز المرحلة الثالثة بالانفتاح وانعدام الرقابة الحكومية على تصدير التقنية وربط هذا التصدير بالشركة المالكة للتقنية وما تراه من تبادل مصالح مع شركائها أو عملائها في الخارج عن طريق البيوتات التجارية الكبيرة المنتشرة .

انتهجت الحكومة اليابانية إستراتيجية تحفيزية للشركات والمصانع اليابانية للإتيان بتقنيات محلية بدلاً من الاعتماد على شراء التقنية الغربية بمنح مزايا تخفيفية ضريبية على مصاريف البحوث والتطوير وكذلك على إيرادات مبيعات التقنية اليابانية إلى دول العالم . وعلى أثر هذه المزايا، ازدادت المصروفات الخاصة ببحوث التطوير التقني بنسبة ٢٠٦٪ سنوياً اعتباراً من عام ١٩٦١ وحتى الآن

مقارنة بمصاريف البحوث والتطوير الأمريكية البالغة ٧٦٪ سنوياً. وما يدعو للدهشة في هذه المزايا ما تقدمه اليابان من مزايا ضريبية على إيرادات بيع التقنية اليابانية لدول العالم مما يدعو إلى تحفيز الشركات إلى الاستثمار في ابتكار تقنيات جديدة لاستخدامها محلياً و كذلك بيعها أو نقلها للخارج اليابان.

إن إستراتيجية انتقال التقنية الغربية لليابان في المرحلة التاريخية الأولى في القرن التاسع عشر مصدرها الرئيسي بناء القدرة الذاتية لإبعاد شبح الاستعمار الغربي لبلادهم بعد انفكاك العزلة والانفتاح على الغرب بحملة الجنرال الأمريكي بيرى عام ١٨٥٣ واحتلال شواطئهم وتوقيع المعاهدة المعروفة بالسماح للسفن الأمريكية بالنزول على الشواطئ اليابانية. ورافق ذلك الثوابت البيئية في العزلة الطويلة مع هاجس القلة والندرة بالافتقار للثروات الطبيعية وحجم الأرض الصغير وتكوين صورة لأمة وشعب متماثل ومتوحد من حيث العرق واللغة والدين والثقافة والتي كان لها أثرها في انفكاك عقل الإبداع والابتكار في تعلم التقنيات الغربية كصناعة وصهر النحاس والبنوقية الحربية من البرتغال وصناعات النسيج والقطن من فرنسا وبريطانيا. ومع بناء القدرة الذاتية المنطلقة من الثوابت الجغرافية والقيم الاجتماعية في الطاعة العمياء والإجماع والجماعية والوظيفة الدائمة، تمكنت اليابان من بناء ترسانة عسكرية مع ما يرافقها من صناعات حربية وصولاً إلى استعمار عدد من دول شرق آسيا للحصول على الثروات الطبيعية منها.

ومع افتقار اليابان للثروات الطبيعية وفقدانها للثروات المستجلية من مستعمراتها في فورموزا وكوريا ومنشوريا وغيرها من دول شرق آسيا بهزيمتها في الحرب العالمية الثانية، انتقلت اليابان إلى إستراتيجية بناء الصناعة التقنية السلمية باستيراد واستيعاب وهضم التقنيات الغربية وصولاً إلى الإحلال الوطني المحلي

للابتكارات التقنية المرافقة للاستخدام الأمثل للقوى العاملة المندفعة لاستيعاب هذه التقنية والمتحفزة بالوظيفة الدائمة. وقد ابتكرت اليابان الإستراتيجية في إشباع حاجة السوق المحلي الكبيرة كأساس ومنطلق يليها بالطبع التصدير لدول العالم، والتي وصفها عدد من المنظرين الاقتصاديين بطفرة ما بعد الحرب والتي اندفعت فيها أمريكا بفعل التعاطف والرغبة الكبيرة للشركات المتعددة الجنسية في جني الأرباح. وبما أن أضرار الهزيمة كانت مؤثرة على اليابان أكثر من الآثار المترتبة على ألمانيا وإيطاليا، فقد استطاعت اليابان الإتيان بالإستراتيجية الرقابية الشديدة للاستحواذ على التقنية وصولاً إلى فعالية وكفاءة عالية في استخدام وتفكيك الحزمة التقنية بفضل التمويلات البنكية لحقوق المساهمين التي أتينا إليها في المسابقات السابقة وحل الزياتسو وظهور طبقة المدراء الجدد والشراكة القوية ما بين قطاع الأعمال والبيروقراطية.

والأهم من ذلك كله لنجاح التجربة اليابانية في انتقال التقنية والإتيان بتقنية محلية ومنذ خمسة وثلاثين عاماً، أي منذ الاحتلال الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية ما قاله ايوكوكا بأن اليابانيين (لا ينفذون أعمالهم حسب الأسلوب المتبع في أمريكا). وقد سبق لنا الإشارة إلى قول وزير التجارة الدولية والصناعة (MITI) (إننا عملنا عكس ما طرحه المنظرون الاقتصاديون الأمريكيون وبهذا فإننا قمنا بتعديل أسلوب العمل). فالنظام الأمريكي يركز على خدمة المستهلك، بينما يركز النظام الياباني على خدمة احتياجات الشركة المنتجة. ويركز النظام الأمريكي على خدمة المستهلك بتقليل التكلفة عليه بينما النظام الياباني يركز على النمو لفتح فرص وظيفية للقوى البشرية الجاهزة للعمل كجزء من بناء الأمة. وبينما يمنع النظام الأمريكي من قيام اتحاد منتجين (Cartel)، فإن النظام الياباني يشجع ذلك. وبينما

تركز قرارات الشركات الأمريكية على الأرباح قصيرة الأمد لزيادة قيمة الأسهم لأصحاب الشركة تجدد الشركات اليابانية تركيز على الأهداف طويلة الأمد وآخرها الربح للمساهمين . وبينما لا تهتم الشركات الأمريكية بالعلاقات الوثيقة مع الموردين للمواد الأولية نجد اليابانيين يعتبرونها شراكة معهم وصولاً إلى تحسين النوعية الإنتاجية . والمقارنة التالية لحسابات تكلفة صناعة أي منتج خير دلالة على الأسلوب الياباني الذي يختلف جذرياً عن الأسلوب الأمريكي يؤكد القدرة الإبداعية على التصدير واكتساب أكبر حصة من السوق العالمية :

الطريقة اليابانية	الطريقة الأمريكية
(١) إجراء البحث التسويقي	(١) إجراء البحث التسويقي
(٢) تحديد خصائص السلعة المزمع إنتاجها .	(٢) تحديد خصائص السلعة المزمع إنتاجها
(٣) تحديد سعر السلعة ناقصاً الربح المستهدف	(٣) تصميم السلعة
(٤) التكلفة المستهدفة	(٤) الدراسات الهندسية
(٥) التصميم والهندسة وأسعار المواد الأولية حسب التكلفة المستهدفة	(٥) الحصول على أسعار المواد الأولية من الموردين
(٦) التكلفة المستهدفة تتطلب من الجميع السعي للوصول الى التكلفة المستهدفة والتفاوض في ما بين الأجزاء الثلاث	(٦) تحديد التكلفة ، فإذا كانت عالية فإن الضرورة تدعو الرجوع إلى تغيير التصميم
(٧) الإنتاج والبيع	(٧) الإنتاج والبيع
(٨) التغيير المستمر للتكلفة	(٨) تغيير التكلفة كل سنة

ويلاحظ الفرق الرئيسي هنا بأن اليابانيين يختلفون عن الأمريكيين في تحديدهم للتكلفة المستهدفة، لأنها هي التكلفة المقبولة للسوق، التي يسعى الجميع للوصول إليها. إن الاتجاه المعاكس للأساليب الأمريكية كان مصدراً للإستراتيجية اليابانية وقوة الدفع (Driving Force) التي أعطتهم حصة من السوق العالمي. فمثلاً عندما ابتدأت تويوتا في التوسع الكبير في صناعة السيارات قام مهندسوها بزيارة لمصانع فورد بأمريكا للاطلاع على أسلوب هنري فورد بالإنتاج المكثف (Mass Production) الذي يعتبر مصدراً أساسياً للإستراتيجية اليابانية وابتكروا أسلوبهم الخاص للإنتاج المكثف الذي أصبح معروفاً باسم (نظام تويوتا الإنتاجي) والذي نقلته معظم الشركات اليابانية الإحدى عشرة المنتجة للسيارات بالإضافة إلى تويوتا. والاستفادة القصوى هنا من الإستراتيجية اليابانية في الإتيان بأسلوب عمل إجرائي يختلف جذرياً عما ينفذه غيرهم وخاصة المنافسين بما يجعل المنافس في مرحلة شلل فكري لفترة طويلة من الزمن. أي إن التغيير الإستراتيجي والهيكلية الياباني لقواعد اللعبة التقنية أدى إلى قدرة في اكتساب حصة من السوق على حساب صاحب التقنية الأصلي. فالهدف الرئيسي من الإستراتيجية الإدارية هو المنافسة للحصول على حصة من هذا المنافس، ويركز اليابانيون على مقولة الجنرال الصيني (Sun Tsu) التي تقول: (حتى تقهر عدوك بدون معركة يعتبر قمة المهارة). وكما يقول كذلك: (جميع الحروب والصراعات مبنية على التضليل والمخادعة).

وبعد ذلك كله، فقد اكتشفت أمريكا أن قدرتها التقنية قد تغلبت عليها اليابان وأفقدتها قوة الدفع بفعل العمليات البيعية الكبيرة للتقنية بعد احتلال اليابان وبفعل التعاطف الأمريكي لبناء اليابان كما قامت كذلك ببناء أوروبا بمشروع مارشال. وبالإضافة إلى ذلك، التوجه الكبير للشركات المتعددة الجنسية الأمريكية

للحصول على الأرباح في نقل التقنية لليابان عن طريق بيع الترخيص والشركات المختلطة وفروع الشركة المتعددة الجنسية (subsidiary) والتحالفات الإستراتيجية (strategic alliances) مع الشركات اليابانية. وقد أجرى البروفسور براهلا (C.K. Prahalad) من جامعة مستغان بحثاً تم نشره بمجلة فوربس عام ١٩٨٦ لثمان تحالفات إستراتيجية أمريكية مع شركات يابانية ووصل إلى نتائج بانتقال التقنية إلى اليابان وخسارة الشركات الأمريكية لقوة الدفع وحذر من الاستمرار في هذه التحالفات الإستراتيجية لأنها مصدر رئيسي لخسارة قوة الدفع للشركات التقنية الأمريكية. وفي دراسة أخرى نشرت في مجلة فورشن في ديسمبر ١٩٩١ ركزت كذلك على أن شركة سوني (Sony) اليابانية اشترت تقنية الترانزستور من شركة بل (Bell Laboratories) عام ١٩٥١ مقابل (٢٥) ألف دولار فقط وعلى أثره توقف إنتاج الراديو في أمريكا. وبعد ذلك بخمسة أعوام اشترت سوني نفسها ترخيص صناعة أشربة الفيديو من شركة (Ampex) ووصلت سوني إلى المرحلة المتقدمة عالمياً بفعل الصرف السخي على البحوث والتطوير والتي تصل حالياً إلى ١٠٪ من قيمة مبيعاتها مصاريف للبحوث والتطوير. وعلى أثر ذلك وصلت شركة جنرال الكتريك الأمريكية العملاقة إلى المرتبة الخامسة عالمياً بالاختراعات والابتكارات مقارنة بالشركات اليابانية الأربعة (هيتاشي، توشيبا، كانون، ميتسوبيشي). وقد سجل اليابانيون (١٨) ألف اختراع عام ١٩٩٠ بزيادة ٢٥٪ عما كانت عليه عام ١٩٨٦، وسجلت كانون (Cannon) لوحدها عام ١٩٩٠ (٨٦٨) اختراعاً مقارنة بـ (١٥٨) اختراعاً عام ١٩٨٦. ولنفس الفترة سجلت جنرال الكتريك (٨٢٢) اختراعاً عام ١٩٨٦ انخفض إلى (٧٨٥) اختراعاً عام ١٩٩٠. ولذلك كله نلاحظ التغير السلوكي والإجرائي الذي اتبعته أمريكا وأوروبا كذلك

في إستراتيجية الحفاظ على التقنية في العصر الحديث مما يؤكد كثيراً من الجوانب المعيقة لانتقالها للدول الآخذة بسبل التطور بخلاف الانفتاح الكبير على اليابان التي مارست إستراتيجيات فاعلة حققت الانتقال والاستيعاب والهضم والتطوير التقني المحلي بفعل الثوابت الجغرافية والقيم الاجتماعية والإستراتيجية النابعة من البيئة والتي أخذت اتجاهاً معاكساً للأسلوب والنظريات الغربية.

ولا بد، قبل كل شيء، من إيضاح الأسباب الرئيسية لنجاح الإستراتيجية اليابانية التي ارتكزت على بناء متين من المهارات الإستراتيجية لكبار المدراء اليابانيين، أولهما: دون شك في ندرة الموارد بشكل عام، وثانيهما: في الاتجاه نحو الأسواق الدولية تصديراً وبناء لمصانع يابانية فرعية. إن قلة وندرة الموارد تصنع ضغوطاً على المدراء للتفكير الإستراتيجي، كما أن انتقال قطاع الأعمال خارج حدود الدولة المنتجة تجبر المدير التنفيذي على التعامل مع بيئة غريبة والتي تكون فيها سياسات وإجراءات العمل مختلفة عما اعتاد عليه في بلاده وبما يتطلب التفكير الإستراتيجي في توزيع الموارد المتاحة واغتنام الفرص الدولية في التصدير. ويرى أكيو موريتا الرئيس التنفيذي لشركة سوني في محاضراته التي ألقاها في الجمعية الملكية بلندن في السادس من فبراير ١٩٩٢، ما يؤكد الفرق بين المدراء التنفيذيين اليابانيين والأوروبيين والأمريكيين بقوله: (تلاحظون في اليابان أن الشركات الكبرى تدار من المهندسين ورجال التقنية. وقد قيل لي مراراً بأن الشركات الأمريكية والبريطانية تدار من محاسبين قانونيين مما أدهشني بالطبع. ومع احترامي وتقديري للمختصين في المحاسبة والمالية، إلا أنني لا أرى أن تدار الشركات من مدراء تنفيذيين بهذا التخصص، لأن المتخصص في المحاسبة يركز بشكل رئيسي على الإحصاء والأرقام الخاصة بالنتائج السابقة. ولهذا فماذا نتوقع

من المحاسب أن يصل إلى المستقبل ويحاول التنبؤ الطويل الأمد إذا كان جل تركيزه على النتائج الربع سنوية الماضية. كما أنك لا تقبل أن يكون مدرب كرة القدم من لم يلعب كرة القدم، فإنه من غير المعقول قبول مدير تنفيذي غير متخصص في التقنية بإدارة مصنع).

هناك ثلاثة استنتاجات إستراتيجية رئيسة يمكن استخلاصها من التجربة اليابانية في تطوير التقنية. أولها: أن الثوابت الأساسية من تحديات وفرص في البيئة اليابانية المتعلقة بالتاريخ والجغرافيا وحجم الأرض وضخامة عدد السكان على أرض صغيرة وانعدام الثروات الطبيعية والتجانس السكاني العرقي التعصبي لكل ما هو ياباني مع ما رافقها من قيم اجتماعية كالطاعة والإجماع والجماعية وإستراتيجيات إدارية في المسابقات السابقة كانت ولا زالت البذرة الرئيسية لبناء الإرادة الذاتية في الاستحواذ على التقنية منذ عصر الميجي. ثانيها: الانفتاح السلمي بعد هزيمتهم بالحرب العالمية الثانية من الحكومة الأمريكية والتقنيات والاختراعات الكبيرة من الجيش الأمريكي مع ما رافقها من معونات إلى جانب توغل الشركات المتعددة الجنسية في بيع تراخيص التقنية لليابان بشكل كبير. وثالثها: وهو الأهم في الإتيان بإستراتيجيات محلية في ترابط رجال الأعمال والحكومة اليابانية على وسائل فاعلة في الاستحواذ والاستيعاب وهضم التقنيات ومن ثم الإتيان بتقنيات محلية نابعة من الإرادة الذاتية في الصرف السخي على الاستحواذ وتدريب اليابانيين على التقنية المشتراة مع الاستمرار المتوازن بالصرف على البحوث والتطوير.

ويبقى أن السياسات الأمريكية بعد أن اكتشفت فقدانها لقوة الدفع وتغلب اليابان عليها تقنياً ابتدأت في السبعينات من القرن العشرين في الإتيان بإجراءات

إستراتيجية لكبح جماح انتقال التقنية للدول الأخرى في العالم والذي نلاحظه في العصر الحديث من صعوبة الاستحواذ على التقنية مقارنة بما تم في اليابان التي استفادت من نقل التقنية بفعل الإستراتيجيات الاستحواذية الفاعلة.

المراجع:

Alan Blinder; There are Capitalists, then there are the Japanese, Business Week, October 8, 1990.

FORTUNE, Japanese Business Practice, December 9, 1991.

C.K. Prahalad, Use a Long Spoon, Forbes 1986.

Terutomo Ozawa, Japan's Technological Challenge to the West, 1950-1974: Motivation and Accomplishment, Boston, M.I.T., 1974.

Koichi Emi, "Economic Development and Educational Investment in the Meji Era" in M.J. Bowman et al., eds., Readings in the Economics of Education (Paris: UNESCO, 1968) P. 100-113

الخلاصة

ترجع فكرة هذا الكتاب إلى مقالات عديدة عن الأفكار والمفاهيم والأسس للإدارة اليابانية كنت قد كتبتها في السنوات العشر الماضية للتعريف بالتقنية الإدارية اليابانية لمحاولة الاستفادة منها لواقع الإدارة في العالم العربي وإمكانية استخدام بعض هذه التقنيات والوسائل للرفع من الكفاءة والإنتاجية والقضاء على الضعف الإداري الذي أفتاعل له ببء النمو والتطور مستقبلاً. وكانت هذه المقالات في معظمها ترجمة نقلاً ومحاولة استيعاب لما حققته اليابان في منافستها الصناعية للدول الغربية في أسواق العالم أجمع. وكنت من خلالها أبحث عن مصدر هذه المفاهيم والأسس الإدارية التي لاحظت أن معظمها يشكل نقلة وإبداع يختلف عما في النظريات الغربية من حيث المحتوى والمنهج، الا أن النهج الذي استخدمه اليابانيون ما كنت أبحث عن مصدره في التوافق والملاءمة مع الحضارة اليابانية وفي مصدر هذه الإستراتيجية اليابانية بالتحديد الواضح.

وقد أثارني بشكل كبير وبحكم علاقتي مع عدد كبير من الشركات والمدراء اليابانيين العاملين في المملكة العربية السعودية على وجه التحديد، أن هؤلاء المدراء الممثلين للشركات والبيوتات التجارية اليابانية الضخمة يتمتعون بالصبر والروية والكياسة والحذق واللباقة في التعامل من جانب إيجابي. ومن جانب آخر، لم أر فيهم أفراداً من قدرة خارقة وأفكار إستراتيجية ومفاهيم ابتكارية ما يجعلني أربط بين هذه المعجزة اليابانية والقدرات الفردية التي لا تدعو إلى أن أصل إلى أنهم يختلفون عن غيرهم من شعوب العالم الأخرى. إن اختلافهم الوحيد بعملهم الجماعي والإجماعي جعلهم قادرين على الإتيان بابتكارات وإبداعات إستراتيجية سنأتي لها في هذه الخلاصة والاستنتاجات بعد ذلك.

وحاولت دراسة التاريخ والجغرافيا اليابانية هادفاً الوصول إلى بعض الحقائق والمعرفة لدور البيئة العامة اليابانية من ثقافة وتعليم وتدريب وتطور لثروات البشرية لمحاولة الإجابة عن دور هذه العناصر البيئية في تكوين القيادة الإدارية اليابانية. وقد اتضح كما يلاحظه القارئ أن دور الجغرافيا وندرة الموارد الطبيعية وحجم الأرض القابلة للزراعة مع ازدياد حجم السكان مع بداية القرن التاسع عشر كانت تلعب دوراً أساسياً في التوضيحية الجماعية من أجل تحقيق البقاء والاستمرارية كأهم عنصر يسعى الفرد والمجموعة لتحقيقه.

وكان للتاريخ الإنساني الياباني الذي يعكس سجل التقدم والتطور ممارسات ريادية متمثلة بما قدمه الإمبراطور مييجي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن من حركة نهضوية ومن واقع الحضارة اليابانية التقليدية ما دعى إلى التوجه نحو التقنية والصناعات المبهرة الغربية خوفاً من استعمار الغرب لبلادهم. إن الرهبة والخوف من الزحف الاستعماري الغربي لشرق آسيا قبل الحرب العالمية الأولى كانت مصدراً تاريخياً يسجل التقدم والحصول على المعرفة وازدياد الحكمة والتطور المستمر لتحقيق الاستقلال قبل كل شيء وإبعاد شبح الاستعمار الذي هدد البلاد بعد عزلة لآلاف السنين مع اتجاههم لاستعمار الدول المجاورة لليابان منذ ١٨٩٠ وحتى هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥.

ومن الواضح أن الإرادة القوية لبناء اليابان الميجية وإصلاح الإقطاع واندثار الساموراي كطبقة اجتماعية مع بناء جيش قوي لاحتلال أراض جديدة تساعدهم في القضاء على نقطة الضعف المتمثلة في الجغرافيا والديموغرافيا خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اندثار حملة السيوف (الساموراي) كان نتيجة التوسع الصناعي بنجاح اليابان عام ١٦٠٠ بصناعة البندقية الحربية وهضم واستيعاب ونقل التقنية عن البرتغال وتغلبها عليها بهذه الصناعة بعد

(٢٢) سنة من استيراد أول كمية من البنادق آنذاك، ويقال إن حملة السيوف (الساموراي) وتقاليدهم لم تسمح لهم بحمل البندقية بدلاً من السيف مما أدى إلى القضاء على هذه الطبقة الاجتماعية، إلا أن أخلاقياتهم استمرت حتى عصرنا الحاضر. كما ساهم تركيزهم على صناعات الصلب والسكة الحديد والأسلحة التدميرية في شعور اليابان بعظمتها واتجاهها نحو العسكرة وفي النهاية بالدخول مع الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية، مع ظهور الإيديولوجيات المتحكمة في جميع النواحي الإنسانية في ما سمي اصطلاحاً بالشمولية. لا شك أن بناء هذه القدرة في التاريخ وتوارثها جيلاً عن جيل له دور في اتساع الخبرة الذاتية المتوارثة. فالجماعية اليابانية لم تأت من أفكار ومفاهيم وإستراتيجيات فذة، بل من حضارة متوارثة في زراعة الأرز الذي لا يمكن له أن يتم إلا بأسلوب جماعي وعلى أرض صغيرة. هذه الجماعية جاءت متوارثة لتحقيق البقاء وإشباع المعدة من الأرز الذي يشكل قوت اليابانيين على مرّ القرون. تقارب البيوت المتلاصقة لم يكن مصدره ابتكارات وإبداعات مقصودة، بل حجم الأرض الصغير والزلازل والهزات والكوارث الطبيعية التي لا يمكن للإنسان أن يتحقق له البقاء في أجوائها إلا من خلال ترابطه الأسري مع جيرانه. اليوم نربط الجماعية بكل تقدم وتطور ياباني وكأنها ابتكار خلاق مع أنها عنصر نابع من الحاجة العائدة لطبيعة البيئة.

وأخلاقيات العمل التي حققت الأداء الاقتصادي المتفوق يربطها كثير من المنظرين بالثقافة والعادات والديانة الوضعية في البوذية التي ركزت على الاقتصاد والتدبير والتصوف والتقشف تجاه الاستهلاك، كما ركزت عليه ديانتهم الوضعية (الجودوشينشو) والتي يقولون إنها ترابطت مع مجموعة اليوشيدو لدى الساموراي التي تحث على المجازفة بالحياة من أجل صاحب العمل. فذاتية الفرد الياباني تختفي في ذاتية الجماعة ويتحدد مركزه من خلال عمله مع الجماعة، كما يتحدد

اعتراف الجماعة به من خلال عمله ليس إلا . إن الذاتية الجماعية في اليابان منطلقها العمل مع الشركة أو مع المجموعة والانصهار بها، إذ ينعكس هذا الوعي الجماعي بالولاء الأبوي الذي توليه الشركة للعامل ومن ثم تسترده بمستوى عال من الجهد والجد في العمل ليس من أجل منفعة العامل الشخصية بل من أجل مجد وسمعة الشركة التي يعمل بها . إنه لمن السهل على العامل الياباني أن يعمل (٨٠) ساعة أسبوعياً، إذ يصل عدد ساعات العمل السنوية للياباني إلى ٢٠٤٤ ساعة وهي أعلى معدل ساعات عمل في العالم، وبإجازات قصيرة ولا يستمتعون بحياتهم لأنهم يشعرون بالرضا من العمل وإحساسهم بقيمة ذاتهم مرتبطة بمدى جديتهم ومهارتهم في عملهم . وكما يقول البعض بأن الياباني يعمل لإرضاء روحه وليس لإشباع أو إرضاء رغباته . إن الأم أو الزوجة اليابانية التي ترى ابنها أو زوجها يعود من العمل مبكراً قبل أقرانه تعتبر مثل هذا التصرف مؤثراً على قيمتها الذاتية أمام جيرانها وتطلب من ابنها أو زوجها أن لا يعود مبكراً حتى لو اضطر للبقاء في المدينة حتى يعود في نفس الوقت مع أقرانه . إن ذلك هو خير مثال على طبيعة الإنسان الياباني من أجل الاعتراف بقيمته الذاتية واحترامه .

إن البحث في أعماق الإدارة اليابانية من خلال دراسة مجتمعية لما وصلت إليه التقنية الإدارية من تقدم ونمو أصبح ضرورة وألوية تحتل اهتمامات المفكرين في تحليل أسباب هذا التقدم وصولاً إلى رؤية متكاملة مستقبلية لما يمكن الاستفادة منه في العالم العربي في استكشاف رؤية مستقبلية لتحديات القرن الواحد والعشرين في بناء إستراتيجية وسياسات إدارية نابعة من البيئة العربية وليست منقولة من المجتمعات الغربية أو حتى اليابانية التي نحن في صدها . إن الكثير من رجال الأعمال والمفكرين في الغرب تساورهم الشكوك في إمكانية نقل وتطبيق النظم الإدارية اليابانية في الغرب، ويؤكد معظمهم أن الفوارق الاجتماعية والثقافية

كبيرة لدرجة يصعب معها نقل حضارة الشركات اليابانية بين اليابان وغيرها من دول العالم. إلا إنهم يرون أن تطويع الحضارة المحلية إن كانت غريبة أو خلافها للاستفادة من التجارب اليابانية بعد توافقها وملاءمتها للحضارة والثقافة والمجتمع بالتعديل والابتكار قد تؤدي إلى إمكانية الإتيان بنماذج نابعة من هيكلية بنوية حضارية تطلق العنان للإتيان بإستراتيجية وسياسات مجتمعية كما سنأتي على ذلك لاحقاً بالنسبة للتجربة اليابانية.

إن آثار العزلة عن العالم لآلاف السنين أدت إلى تنمية مجتمع متجانس كان ولا زال قائماً مقارنة بأي دولة في العالم. هذا التجانس العرقي واللغوي والديني الوضعي وأسلوب الحياة بفلسفة اليوشيدو أدى إلى تكوين التلاحم والتماسك والترابط المجتمعي (Social Cohesion) الذي أسماه بتعبير آخر ابن خلدون (العصبية) كما أورده البروفسور شارلس عيساوي في بحثه (Why Japan)، والذي يضيف أن هذه العصبية تعتبر ركيزة أساسية لرفاهية وعظمة الأمم. فقد صادقت اليابان حديثاً وبعد مداوولات استمرت ٣٣ عاماً على معاهدة الأمم المتحدة لعام ١٩٦٥ الخاصة بالقضاء على كافة أشكال التمييز العرقي وتعزيز التفاهم مع الجماعات العرقية المتباينة. وبقيت الحكومة اليابانية بمجلسيها (النواب والشيوخ) تعارض الانضمام إلى هذه المعاهدة لأنها تعتبر جرماً أي تفرقة عنصرية وتمييز عرقي. وكان لهذا التأخير سبباً رئيسياً في حقوق الكوريين الجنوبيين والشمالين المقيمين في اليابان منذ عام ١٩١٠ وحتى الآن ولم تمنحهم اليابان الجنسية والتي تطلب منهم أولاً تغيير أسمائهم وإخفاء أصولهم العرقية. وهناك مجموعتان هما اليوراك أو الأينو اللتان تعتبران بما يعرف باليابان باسم (هينين) بالإضافة للكوريين إذ يصعب زواجهم من ياباني الأصل وكذلك يصعب ترقيةهم في الصناعة والتجارة إلى جانب عدم إمكانهم العمل مطلقاً بالوظائف الحكومية. إن هذه

المقدمة في التمييز العرقي الواضح المعالم تجعل من الصعب بشكل مطلق انتقال الفلسفات الإدارية اليابانية لدول العالم غير الشرق آسيوية كنتيجة حتمية لهذا المفهوم التعصبي .

ووصولاً إلى خلاصة للإستراتيجية الإدارية اليابانية، فإنه من الضروري حتماً استكشاف العناصر الأساسية التطويرية في الإستراتيجية والسياسات الإدارية في المساقات التالية :

أولاً : المفاهيم الأساسية للمعجزة اليابانية .

ثانياً : تطوير المنظمين والمديرين .

ثالثاً : الإستراتيجية والهيكلية البنوية .

رابعاً : الإستراتيجية الإدارية اليابانية .

أولاً: المفاهيم الأساسية للمعجزة اليابانية:

هذا الشعب المتجانس طبعت عليه البيئة بجغرافيتها الفريدة بانعدام الحياة الرعوية، أي بانعدام وجود الحيوانات الأليفة كالأبقار والخيول والجمال، إلى الاعتمادية على الجهد الإنساني فقط . هذا التجانس أولاً أدى إلى انعدام التضارب والتنافر والتباعد والتعدييات العشائرية أو المذهبية أو الإقليمية مما جعلهم وحدة واحدة متلاحمة ومتماسكة في التضحية الفردية من أجل المجتمع . وحقق انعدام حياة الرعي والصيد إلى ندرة الحروب الداخلية إن لم يكن انعدامها بشكل قاطع . ومن غرائب الصدف أن باحثاً أمريكياً توصل إلى نتيجة مؤداها أن اندثار الهنود الحمر والقضاء عليهم تم بفعل استيراد الحصان إلى أمريكا الشمالية من المهاجرين الجدد أو من المكسيك في القرن السادس عشر مما أدى إلى استخدامهم للحصان وبعد ذلك البندقية وبدء حروبهم الداخلية بعضهم البعض وحروبهم مع المهاجرين من أوروبا آنذاك . فالتجانس حقق لهم التلاحم والتماسك والترابط أو العصبية

بتعبير ابن خلدون والذي أدى إلى الاستقرار المرافق ولندرة الحروب الداخلية، كما أن انعدام حياة الرعي والصيد أعطت لهم أهمية الاستثمار بجهد الإنسان لانعدام الحيوانات التي ستساعدهم في الزراعة والتنقل. ولا مندوحة من القول أن الانعزال وعدم استعمارهم من الحملات العديدة التي حاولت غزو اليابان لآلاف السنين وحتى الحرب العالمية الثانية ساهمت في تكوين بيئة محلية متجانسة من جميع الأبعاد. هذه الفلزكة تعتبر أساساً ومنطقاً لأثر البيئة المحلية على المعجزة اليابانية التي نحن بصدددها.

يفسر هذا الكتاب لغز المعجزة اليابانية بعناصر عديدة أهمها المجموعة السكانية المتجانسة والجغرافيا والتعليم ونقل التقنية الغربية بفعالية وكفاءة متناهية وكذلك ترابط وتعاضد البيروقراطية الحكومية مع قطاع الأعمال. إلا أن الأهم من ذلك كله يرتبط في التوجيهات الإدارية الحكومية التي كانت ولا زالت مطاعة ومقبولة ويلتزمون بها بشكل قاطع. وقد ابتدأت هذه التوجيهات الإدارية مع صدور قانون التعبئة العامة لمهام الحرب عام ١٩٣٨ وأخذت زمام النهضة الصناعية لهذه المعجزة عام ١٩٤١ كما أوضحت سابقاً في نزعة الحكومة إلى توسيع وتركيز استثماراتها وجهودها نحو الصناعة والصناعيين ومساندتهم ومساعدتهم بكل الوسائل. وركز قانون التعبئة العامة على تقديم أنماط حديثة لتنظيم كفاءة الحرب والتوزيع اللوجستي مع التركيز على التنميط والتوحيد القياسي من أجل دفع عجلة الإنتاج المكثف ومركزة المعلومات في مدينة طوكيو والذي سنأتي إلى تفاصيل هذه الأبعاد الثلاثة في التنميط والإنتاج المكثف ومركزة المعلومات لاحقاً.

وأصبحت هذه التوجيهات الإدارية أو الإرشادات (Administrative Guid-ance) نبراساً لتنميط الصناعة اليابانية بما يسمى في وقتنا الحاضر (توحيد المقاييس اليابانية - Japanese Industrial Standard) وساهمت في حزمته لتكون المنظم

والمراقب للصناعة في البداية. وانتقلت مفاهيمها لكل الأمور الحياتية لاحقاً وبالأخص بصدور قانون التعليم الموحد الذي ركز على التوحيد القياسي للتعليم في المدارس الحكومية والجامعات وإلغاء المدارس الخاصة منذ عام ١٩٤١. وبعد الحرب العالمية الثانية والهزيمة الأولى بتاريخ اليابان استمرت التوجيهات الإدارية في التأطير لتحقيق هذا التنميط والتوحيد القياسي للصناعة والتعليم من أجل الإنتاج المكثف ومن خلال مركزة المعلومات في مدينة طوكيو.

كما أن الشعب الياباني بتجانسه يتصف بالطاعة العمياء لولاة الأمر وتقيدهم بالتعليمات مما أعطى التوجيهات الإدارية الحكومية التي ابتدأت بالصدور عام ١٩٤١ بعد صدور قانون التعبئة العام لمهام الحرب عام ١٩٣٨ وأبان جذوة انتصاراتهم وتوسعهم قبل الحرب العالمية الثانية مصدراً أساسياً لثلاثة عناصر رئيسية ركزت عليها التوجيهات الإدارية وهي:

(أ) التنميط للمواصفات والمعايير والتوحيد القياسي (Standarization).

(ب) الإنتاج الكثيف (Mass Production).

(ج) مركزية القرارات والمعلومات في مدينة طوكيو.

(أ) التنميط للمواصفات والمعايير والتوحيد القياسي (Standarization).

ركزت النهضة الصناعية في أوروبا وأمريكا على الإتيان بأفكار ومفاهيم جديدة مرتبطة باختراع الآلة وكان أهمها نظرية الإدارة العلمية ومفاهيمها في الكفاءة والإنتاجية عن طريق التنميط والمعايير والتوحيد القياسي لكافة حركات العمل والإجراءات. وساهمت النهضة الصناعية الأوروبية مقترنة بممارسات لنظرية الإدارة العلمية في تحقيق الكفاءة الإنتاجية عن طريق التوحيد القياسي والتنميط.

وقد اتضح في المساقات العديدة في هذا الكتاب القدرة الهائلة لليابانيين في هضم واستيعاب ونقل التقنية منذ القرن السادس عشر في صناعة البندقية عن البرتغاليين وصناعة الحرير عن الفرنسيين وصناعة النسيج عن بريطانيا. وكان للبعثات التعليمية والتدريبية للنبذة من اليابانيين إلى أوروبا منذ عام ١٨٦٣، وبالتحديد إلى فرنسا وبريطانيا وألمانيا، فعالية متناهية للانطباعات ووضوح الرؤيا لما يمكن أن تقدمه التقنية الغربية لمسار التنمية المتزنة من منطلق التحديث المحقق للرفاهية مع التمسك في الحضارة والتقاليد.

ومع الازدياد الهائل لهذه البعثات التعليمية في عصر الأمبراطور مييجي عام ١٨٦٨ ونقلهم الدؤوب للممارسات الأوروبية في الصناعة وتركيزهم على الإنتاجية في استخدام مقومات التنميط والتوحيد القياسي في ظل مساحة الأرض المحدودة والأعداد الكبيرة للسكان لمقابلة احتياجاتهم في هذه البيئة التي تتصف بالندرة وتحقيق البقاء. وكان لصدور قانون التعبئة العامة لمهام الحرب أبان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٨ وعلى أثره التوجيهات الإدارية منذ عام ١٩٤١ في التنميط والتوحيد القياسي من أجل الإنتاج المكثف أثره على تنمية الصناعات والتعليم الموحد. كما أن الاستمرارية في قبول وطاعة التوجيهات الإدارية حتى عصرنا الحاضر كانت ولا زالت سبباً رئيسياً في تحقيق المعجزة اليابانية. إن خاصية الطاعة للحاكم من منطلق الأبوية كعنصر حضاري تعتبر شرطاً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه من أجل تحقيق التحديث الشامل (Modernization).

ومع أن التوحيد والتنميط ساهم في تحقيق الكفاءة والإنتاجية الصناعية من خلال الإنتاج المكثف، إلا أنه أخفق في تحقيق الأهداف في صناعة المعلومات والنشاطات الحديثة في البنوك والتمويل وأسواق المال العالمية والبورصة وإدارة محافظ المشتقات، إذ يرى بعض المنظرين اليابانيين أنه أمام مجتمع الرفاهية الحالي

في اليابان تكمن نقاط ضعف في النشاطات المالية التي لا يمكن لها أن تصل إلى مرحلة الإنتاج المكثف عن طريق التنميط ونجد اليابان نفسها في موقع لا تتميز فيه بقوة دفع إستراتيجية. وينطبق هذا الإخفاق كذلك على الصناعات الفضائية التي لم تتمكن من ولوجها لاعتمادها على الابتكار والإبداع الفردي إذ إن إنتاجية العامل الفردي في اليابان تعتبر أقل من أي دولة في العالم ولكنها في الإنتاجية الجماعية المعتمدة على الإنتاج المكثف تعتبر حالياً أعلى دولة في العالم. ويرى البعض الآخر أن هذه النمطية والتوحيد القياسي في التعليم مثلاً لا يعطي للفرد حرية الاختيار مع كل هذه الرفاهية في الحاق أبنائه مثلاً في مدرسة معينة؛ لأنه يجب عليه الالتحاق بالمدرسة الواقعة في منطقة سكناء بناء على النظام النمطي الذي يسميه أومايا (Civil Minimum) في تقديم كافة الخدمات الحكومية من بنى تحتية وتعليم وهاتف وطرق وغيرها لجميع المدن والقرى البعيدة بنفس النمط دون أي تفضيل مدينة أو إقليم أو قرية على الأخرى. كما انتقل هذا التوحيد القياسي إلى العلاج وزراعة الأرز والإسكان مما جعل حرية الاختيار صعبة مع كل هذه الثروة ومستوى الدخل الذي لا يقارن عالمياً، أي إن معادلة المدير والمليونير والوزير والفلاح دون أي تفرقة أو أفضلية أو بمستوى خدمات يستفيد منها القادر.

(ب) الإنتاج الكثيف (Mass Production).

الحقيقة التي لا يختلف عليها أحد هي أن اليابان تعتبر أكبر دولة منافسة عالمياً في بعض الحقول الصناعية المعتمدة على الإنتاج المكثف مثل السيارات والإلكترونيات، حيث إن أسعارها المقارنة منخفضة عن مثيلاتها في الغرب بالرغم من النوعية الجيدة بفعل التنميط. وعلى النقيض الآخر، نجد اليابان في حقل

الزراعة تعتبر أقل دولة في العالم من حيث الكفاءة والإنتاجية إذ تقدم الحكومة الإعانات للمزارعين بنسبة ٧٥٪ من إنتاجهم. وتنطبق نفس الحالة على التسويق والتوزيع إذ بالمقارنة تحتاج أمريكا إلى اثنين من العاملين لإنتاج السيارة وواحد لبيعها، نجد في اليابان العكس بقيام عامل واحد لإنتاجها واثنان لبيعها. فبينما يصل سعر السيارة في أمريكا إلى ١٣٠٠٠ دولار لسعر تكلفة المصنع بينما تصل في اليابان إلى ثلاثة أضعاف التكلفة لبيع السيارة للمستهلك الياباني. ومع أن خدمة التسويق اليابانية لا يجارها بالمقارنة أي مكان في العالم، إلا أنها تقع في خدمة النشاطات التي لا تدخل ضمن الإنتاج المكثف ولا تتمتع اليابان بمثل هذه الأعمال بقوة دفع مقارنة. وينطبق هذا كذلك على الخدمات الفندقية والمطاعم والخدمات المالية كونها باهظة التكاليف بالمقارنة بأوروبا وأمريكا لأنها لا تدخل ضمن الإنتاج المكثف كميزة وقوة دفع يابانية. ولهذا فإن المعجزة اليابانية تحققت بفعل التركيز على الإنتاج المكثف للسيارات والألكترونيات والكهربائيات في تحقيق الكفاءة والإنتاجية، بينما نجدتها في قاعدة الهرم من حيث الكفاءة والإنتاجية للنشاطات التي لا تتصف بالإنتاج المكثف أو التي تتصف بالابتكار والإبداع الفردي.

إن قوة الدفع اليابانية للإنتاج المكثف والمنمط مقترنة بالأسلوب الياباني للإدارة المتمثل بالوظيفة الدائمة والأقدمية بزيادة الرواتب السنوية، إذ لا يتحقق لهم دفع الرواتب والمكافآت السنوية والزيادات إلا إذا حققوا هذا الإنتاج المكثف. فأسلوب الإدارة اليابانية الذي تم بناؤه على الجماعية والإجماع وقبول الفرد من المجموعة أدى إلى أن تصبح الشركة أو المصنع وكأنه للموظفين أو العاملين وبسعيهم الحثيث للإنتاج المكثف والمنمط وصولاً إلى جزئية تحقيق أهدافهم الذاتية. إن من خصائص المجتمعات المتقدمة هو التخصص الذي يعتبر الإنتاج المكثف أحد ميزاته والذي يركز على تقسيم العملية إلى أجزائها الصغيرة وعلى أثره يتم إعداد

إجراءات العمل وحركته والوقت الذي يحتاجه وتصدر بناء عليه النمطية أو التوحيد القياسي (Standard) الذي يؤكد ويوثق وينظم ويراقب خطوات سير العمل نحو الإنتاج المكثف المحقق للكفاءة الإنتاجية في تقليل التكلفة الحدية للوحدة الواحدة المنتجة عند النظر إلى الحزمة الكثيفة المنتجة. ولا بد من الإشارة إلى أن خصائص البيئة العامة مع سمات الشعب الياباني العديدة الواردة في المساقات ساهمت في تحقيق هذا الإنتاج المكثف. وإذا كان هذا الإنتاج المكثف في المصنع هو ديدنهم، فإن انتقاله إلى كافة النشاطات الأخرى التي تعتمد على الجماعية حقق لهم المعجزة التي نحن بصدددها. ومع أن الإنتاج المكثف بالتنميط والتوحيد القياسي حقق لهم الكفاءة والإنتاجية الصناعية، إلا أنه مع كل هذه الثروة والدخل القومي والدخل الفردي الذي لا يماثل أي دخل في الغرب، فإن بعض المنظرين أمثال أوميا وساكاى يرون أن انعدام حرية الاختيار مع كل هذه الثروة والرفاهية الهائلة أمام التوحيد والتنميط قد تؤدي باليابان مستقبلاً إلى صعوبات في المنافسة العالمية وانعدام قوة الدفع التي حققوها حتى الآن لسبب رئيسي هو شعور الفرد الياباني بأن كل ما لديه من ثروة لا تساهم في تحقيق الرفاهية النسبية لهذه الثروة ويبتدئ في التخاذل عن العمل الجاد والتوفير؛ لأنه لا يعطيه أي ميزة تفاضلية في التعليم. ولهذا تحاول القيادة اليابانية الآن في إيجاد منافذ للرفاهية إذ صرفت الشركات اليابانية ٤٠ بليون دولار عام ١٩٩٣ لموظفيها للسفر والسياحة مقارنة بثلاثين بليون دولار تم توزيعها على المساهمين.

(ج) مركزية القرارات والمعلومات في مدينة طوكيو:

وثالث الأهداف الأساسية للتوجيهات الإدارية الذي تم ابتكاره خلال التعبئة العامة للحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٨ وابتداء تنفيذه بحزم وشدة من البيروقراطية هو تركيز القرارات الهامة والإعلام والمعلومات الإحصائية في طوكيو. وكان

مفهومهم الابتكاري آنذاك نابعاً من أن اليابان كقوة عالمية يجب أن تعمل كما جسم الإنسان وبرأس واحد، إذ تتم كافة النشاطات والقرارات الهامة من الفكر بواسطة الرأس وهي التنظيمات الاقتصادية واستلام وإرسال المعلومات الإحصائية والتنظيمات الثقافية، أما الجسم فهو الذي يقوم بالعمل الحركي. وركزت الحكومة بكل ثقلها على نقل المركز الرئيسي إلى طوكيو لجميع الشركات الصناعية والاتحادات النشاطية كالحديد والصلب وصانعي السيارات والأطباء والسينما والمسرح، مع العلم بأن الطاعة العمياء للحكومة لم تتحقق بكاملها لعجز صناعة النسيج عن قبول نقل مركزها الرئيسي من أوساكا حتى العهد القريب، وكانت MITI تعتبر هذه الصناعة عدوة لها لعدم إطاعتها في نقل مركزها الرئيسي كغيرها من الصناعات.

كما أدت التوجيهات الإدارية إلى تركيز الإعلام في الإذاعة المركزية من طوكيو عام ١٩٤١ وكذلك في مركزية العملية التعليمية بطباعة وبيع الكتب التعليمية. وكان أهم الخصائص في التوحيد والرقابة والتنظيم للمعلومات الإحصائية من طوكيو والتي تساعد على مركزية القرارات الهامة في الجماعية من مركز واحد. وبما أن الجسم له رأس واحد، فإن التخطيط الطويل الأمد ينبع من المركز في طوكيو بما يؤكد أن تنفيذ الخطة والتصميم النمطي الموحد سيتم تنفيذه في كافة أنحاء اليابان. واستمرت اليابان بعد الحرب في تنفيذ هذه الإستراتيجية في مركزة المعلومات في الرأس على أن يقوم الجسم في العمل وذلك ببناء المصانع خارج نطاق المدن الكبيرة وتحقيق لهم الحلم في هذا التركيز بما نراه اليوم من ثروة ورفاهية وأعلى دخل في العالم للفرد الياباني مع أعلى نسبة ادخار فردية عالمياً كذلك.

ثانياً: تطوير المنظمين والمديرين:

استطاعت اليابان خلال قرن ونيف ومنذ تاريخ عصر النهضة الميجية (Meiji Restoration) عام ١٨٦٨ أن تنفذ برنامجاً هائلاً في التحديث إذ تحولت اليابان التي عزلت نفسها عن العالم الخارجي لآلاف السنين إلى مجتمع فريد، إذ لا يعتبرون أنفسهم كشعب آسيوي، احتل مرتبة متميزة في التحديث والتطوير والتنمية. وقد سبق ذلك وصول حملة بيرى سنة ١٨٥٣ التي هزت القيادة والشعب الياباني نتيجة الاحتلال الأمريكي للشواطئ اليابانية وتوقيع معاهدة التحالف وكان أثرها واضحاً في المحاولة الجادة لإبعاد الاستعمار الأوروبي، مما أدى إلى تسارع التنمية بالانفتاح على الغرب بفعل الخوف من الاستعمار. ومع عصر الإصلاح، كان ثمة إدارة نخبوية بيروقراطية محكمة في طاعة الشعب مع مستوى من التعليم وقيم اجتماعية مغروسة في الإخلاص للواجب والاعتماد على النفس والجدارة والحركة والدوران الوظيفي وذلك بتعيين موظفين رسميين أكفاء يكونون الاحترام للتعليم والحضارة الغربية والتي اكتسبوها من بعثاتهم الدراسية والتدريبية في بروسيا (ألمانيا) وفرنسا. وقد شكلت مجموعة موظفي الحكومة آنذاك القوة الروحية الحافزة لليابان الحديثة وجمعت ما بين الولاء الوظيفي للإمبراطور ميجي واحترام مبدأ الإنجاز.

وقد كان للمنظمين الأوائل ممن تم ابتعاثهم للدراسة في ألمانيا وفرنسا بأعداد كبيرة عام ١٨٨٠ وهم من النخبة في عملية انتقائهم لهذه المهمة، قصب السبق بعد عودتهم من الدراسة في الإتيان بأساليب وأفكار ومفاهيم جديدة ابتكارية مثل إيشي (Eiichi) الرجل البنكي الذي نقل النظريات والأساليب البنكية الغربية وكذلك ياتارو مؤسس ميتسوبيشي الذي ساهم من خلال منهجه وأسلوبه

الإقراضى للشركات الصناعية باستخدام مدخرات الأفراد في نسبة عالية بما وصلت إليه اليابان من تقدم وتطوير. إن التجربة اليابانية وتناجحها المتميزة تعود لهذه الفئة من المنظمين في بنائهم للمؤسسات الاقتصادية الجديدة من نقطة الصفر بناء على التوجه المبكر والمتكيف مع الظروف والحقائق والأوضاع نحو التنمية الاقتصادية منذ البداية والمبني على الإحساس والأحداث المثيرة لديهم في حب الاستطلاع والمقترن بالقيادة الحكيمة. وكان للهيئة والاحترام لنظام التعليم الذي أعلن حرباً شاملة على الأمية أن وصلت اليابان عام ١٩١٧ إلى محو الأمية بشكل كامل، ميزة قام بتنفيذها موظفو البيروقراطية بعد عودتهم من بعثاتهم الدراسية للغرب وكان لذلك أثره الرئيسي في الانبعاث لقوة اليابان واستعمارها عدد من الدول المجاورة في الفترة ما قبل وبعد الحرب العالمية الأولى وحتى قيام الحرب العالمية الثانية.

وكان للإصلاحات التي أدخلها مكارثر بعد الاحتلال الأمريكي لليابان عام ١٩٤٥ المتمثلة في حل الاحتكارات الصناعية (الزياتسو) دور أساسي في انبعاث طبقتي المنظمين والمديرين في الشركات الصناعية والتي دخلت مرحلة التخصيص وتحويلها إلى شركات مساهمة عامة. وأخذ قطاع الأعمال (الصناعة، التجارة، البنوك) في تقليد البيروقراطية في حصر حق دخول الخدمة للمؤهلين بناء على نجاحهم في الامتحانات التأهيلية كمتطلبات مما أدى إلى المنافسة التعليمية في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات وصولاً إلى النجاح في هذه الامتحانات التأهيلية في الحكومة وقطاع الأعمال. وإن كانت ولا زالت الخدمة الحكومية تشكل مجالاً لجذب الشباب الياباني المتخرج من أكبر الجامعات المرموقة وبدرجات الشرف، مثل جامعة طوكيو، فإن انتقال موظفي الحكومة للعمل في قطاع الأعمال بعد التقاعد في سن الخمسين يشكل مصدراً في تنمية وتطوير المنظمين والمديرين لقطاع الأعمال على أي حال. إن هذه الحركية في التقاعد المبكر ونظام الترفيه في

الحكومة المبني على الأقدمية ساهم في تنمية وتطوير طبقة المنظمين والمديرين، إذ إن جزءاً كبيراً ممن يتم إحالتهم للتقاعد المبكر في سن الخمسين يتجهون نحو إنشاء الشركات والصناعات الخفيفة أو الالتحاق بوظيفة إدارية عليا في قطاع الأعمال أو يتجهون نحو الخدمة في البرلمان مع الحزب الوحيد الحاكم، ولا يمكن مطلقاً أن يحدث العكس بالتحاق موظفي قطاع الأعمال بالحكومة. إن هذا التلاحم ما بين البيروقراطية والسياسة وقطاع الأعمال يعتبر ظاهرة ودليلاً على إثبات دور الحكومة في تنمية وتطوير طبقة المنظمين والمديرين من خلال التعليم في دولة وصلت إلى مرحلة متقدمة بمحو الأمية قبل ما يقارب مائة عام وفي الحركية والدوران الوظيفي ما بين البيروقراطية الحكومية لمجموعة مؤهلة خدمت حتى سن الخمسين وانتقلت للعمل في قطاع الأعمال والسياسة مما كان له دور في معاضدة الموظفين الحكوميين ومساندتهم لتنمية وتطوير قطاع الأعمال في تكوين طبقة المنظمين والمديرين بشكل عام.

ثالثاً: الإستراتيجية والبنية الهيكلية:

هنالك اتفاق مبني على البحث العلمي لعدد كبير من الشركات الأمريكية منذ الخمسينات قام به البروفسور شاندلر أستاذ تاريخ الإدارة بجامعة هارفارد، وهو أن الإستراتيجية المعتمدة من الإدارة العليا للشركة تحدد البنية الهيكلية للشركة (Structure) والسياسات اللازمة لتنفيذها (Policies) ومن منظور آخر هو أن الإتيان بالإستراتيجية يحدد السياسات والإجراءات (Policies & Procedures) ومنها البنية الهيكلية كجزء مشتق من السياسات. ومن المساقات التي تطرقنا لها في هذا الكتاب، أننا نود أن نربط بين مصادر هذه المفاهيم والأسس الهيكلية اليابانية والإستراتيجية الإدارية اليابانية، إذ اتضح بما لا يمكن إغفاله أن التجربة اليابانية التي

تحققت قد لا تتفق مع النظرية القائلة بأن الإستراتيجية تحدد السياسة والهيكل وإنما العكس هو الصحيح بأن الهيكلية البنوية ساهمت في بناء إستراتيجية يابانية مشتقة في أغلب الأحيان، وفي بعض الأحيان كان للثوابت في الجغرافيا والتاريخ والسكان دوراً أساسياً في الإتيان بمفاهيم إستراتيجية إدارية ساهمت في البناء الاقتصادي والصناعي القائم اليوم.

لا شك أن العزلة عن العالم لآلاف السنين ساهمت في بناء التجانس العرقي الياباني على مر السنين وكان لهذه الهيكلية السكانية العرقية دوراً رئيسياً في نجاح الإستراتيجية والسياسات والإجراءات الإدارية في التوافق والانسجام والتلاحم أو الثبات المتسق (Consistency) المبني على التجانس العرقي. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الهزة التي أصابتهم في عهد الإقطاع وأبان العزلة في احتلال بيرى للسواحل اليابانية بما فيها سواحل طوكيو عام ١٨٥٣، كونت لديهم شعور بالرهبة والفجيعة والتلاحم البنوي لصد الغزو الاستعماري الأوروبي لبلادهم بالتوجه نحو إستراتيجية (الانفتاح) على العالم. فإستراتيجية العزلة أدت إلى تفوق العصبية العرقية، والتي سنأتي لمزاياها وعيوبها من منظور إداري لاحقاً، والهيكلية في احتلال القائد البحري الأمريكي بيرى لشواطئهم وتوقيع الاتفاقية مع أمريكا ولاحقاً بريطانيا وهولندا أرهبت هذا التجانس العرقي الذي تم بناؤه خلال العزلة إلى اتباع إستراتيجية الانفتاح. إنه الخوف من الاستعمار الأوروبي الذي انبثق في روحهم للولاء و حب الوطن في اتجاههم نحو الانفتاح والتعامل مع نقيضهم، الاستعمار الأوروبي، من منطلق بناء القوة الذاتية وتحييد الاستعمار عن فكرة الاحتلال المباشر لأرضهم. ويمكن القول هنا بأن بزوغ عصر النهضة بعودة الأمبراطور مييجي للحكم كانت وسيلة فاعلة أخرى للانفتاح.

ومن الأمور الإدارية المهمة أن البنية الاجتماعية في عصر الإقطاع وقبل عصر

النهضة الميجية في تقسيم المجتمع إلى خمس فئات تأتي بالترتيب بداية بالشوجن أو رجال الحكم ويليههم الإقطاعيين يساندهم طبقة الساموراي ومن ثم المزارعين وبعدهم الحرفيين وفي قاعدة الهرم رجال التجارة والصناعة في مصطلحنا (قطاع الأعمال)، أي إن التجار هم الفئة السادسة والأخيرة في طبقات المجتمع. ومع عصر الميجي الذي يعتبر بحق هو عصر النهضة اليابانية، اختلفت تقسيمات المجتمع المتعددة وأصبحت فئتين هما: الأرستقراطية والعامة، والانتقال من إحدى هاتين الفئتين أصبح يرتبط بالانفتاح والتصنيع والتعليم إلى حد ما. وكان لرجال الأعمال (التجار) دور رئيسي في إنهاء حكم الشوجن على يد الساموراي وتقنين الإقطاع وعودة الإمبراطور ميجي في تمويل التجار لثورة الساموراي آنذاك. إن البنية الهيكلية للتجار كونهم في قاعدة الهرم ودورهم في إستراتيجية إعادة الإمبراطور ميجي للحكم والتي لا زالت تعتبر منطلقاً لعصر النهضة. وكان للانفتاح على الغرب بإرسال الإمبراطور البعثات إلى فرنسا وبروسيا آنذاك (ألمانيا الآن) لرجال من أبناء أحفاد الساموراي و أبناء التجار دوراً فاعلاً في تعليمهم وتدريبهم في الغرب وعودتهم لاستلام مهامهم كتنقراطيين يعملون في الحكومة لبناء القاعدة الجديدة لنظام إداري اقتصادي حديث بعد الانفتاح. وقد اتضح لنا أن سياسة وإجراءات الاختيار للمبتعثين كانت فاعلة في عودة هذه المجموعة لتكوين طبقة التكنوقراطية في البلاد. ومع أن هذه الطبقة الجديدة لعبت دوراً إيجابياً في بناء الصناعة الثقيلة قبل الحرب العالمية الأولى بحكم انبهارها بالحضارة الغربية، إلا أن مساهمتها لأغراضنا الإدارية في نقل التقنية البنكية الغربية وملاءمتها للتقاليد اليابانية وبناء نظام ياباني بنكي خاص يجمع ما بين التقاليد اليابانية والحداثة الغربية يعتبر منهجاً يؤكد أن الإستراتيجية مصدرها هيكلي، أي إن الهيكل يحدد الإستراتيجية. ويعكس هذه النظرية كذلك أن البيئة الجغرافية تتميز في وفرة مصادر

المياه النهرية والشلالات التي تم تسخيرها بشكل كبير لتوليد الطاقة الكهربائية بدلاً من التوربينات الغازية على الغاز أو البترول مما قلل من استثماراتهم الرأسمالية في هذا المجال الإستراتيجي والحيوي. ونقطة التميز الإستراتيجية البنيوية الأخرى في وفرة الشواطئ الطويلة التي ساهمت في بناء الموانئ والمواصلات البحرية بين هذه الشواطئ بدلاً من بناء السكك الحديدية التي تتطلب استثمارات رأسمالية عالية مع غياب عنصر الحديد التعديني من الأرض اليابانية والاعتماد الكبير على استيراده من الخارج. ورافق هذين البعدين الجغرافيين في وفرة المياه وطول الشواطئ بعداً ثالثاً أساسياً في الموقع الجغرافي البعيد عن أعين الاستعماريين الجدد آنذاك. وأكثر ما ساهم في هذا البعد الجغرافي كذلك نزوعهم السلمي للفترة ما بين عام ١٦٠٠ وحتى ١٨٩٠ عن بناء ترسانة الأسلحة التي ابتداء النهم الاستعماري المربح لهم في استعمارهم لبعض الدول الشرق آسيوية المجاورة مع بداية القرن العشرين.

وبيزوغ عصر الميجي بالقضاء على الإقطاع وطبقة الساموراي والاتجاه نحو التجنيد الغربي الحديث والبعثات للغرب وظهور التكنوقراطية والبيروقراطية وبناء الترسانة العسكرية التي انطلقت من هيكلية الازدياد الهائل للثروة السكانية المرتبطة بجغرافيا حجم الأرض الصغير والأرض الزراعية المحددة والحاجة إلى الطعام وخاصة الأرز مما أدى إلى إنتهاج سياسة التوسع في احتلال معظم دول شرق آسيا واحتلال جزء من الصين وكذلك هزيمة روسيا أمام اليابان عام ١٩٠٥. وهنا مصدر آخر لضرورات البنيوية الهيكلية السكانية الكبيرة والتي انبثقت عنها إستراتيجية التوسع في احتلال الدول المجاورة لتحقيق الحاجة الماسة للغذاء من الزراعة في فورموزا وكوريا والصين (منشوريا) وغيرها آنذاك. أي مرة أخرى إن الهيكلية البنيوية السكانية انبثق عنها الإستراتيجية التوسعية اليابانية للدول المجاورة لتحقيق الحاجات الغذائية، وهي جزء من إستراتيجية البقاء أو الخوف من الجوع والفناء

والتي سنأتي عليها لاحقاً.

ومع مرارة الهزيمة الساحقة في الحرب العالمية الثانية، والتي كانت نتيجة للتوسع والعرقية التي تشابهت فيها اليابان مع ألمانيا عرقياً في منهج العسكرية، فقد أحدث الأمريكي مكارثر الحاكم العام لليابان، سياسات عديدة يهمنها منها الجانب الإداري في التوظيف الدائم وحل احتكارات الزيئاتسو وأثره في التطور الأفقي والعامودي للصناعة. فقد أحدث مكارثر نظام الوظيفة الدائمة في اليابان المحتلة والمنهكة والجائعة من منطلق القضاء على الفقر والفاقة والمجاعة لتحقيق الاستقرار وانبعث الديمقراطية الجديدة ومحو الفاشية والنازية والعسكرة. وقد كان لهذه الهيكلية البنيوية في إحداث الوظيفة الدائمة منطلقات إستراتيجية كانت ولا زالت مبعث تفاؤل وفخر ومصدر لاستمرارية التفاؤل بالتجربة اليابانية لما تمنحه من دافع وحافز للعاملين من حيث الولاء والإخلاص والتفاني والفعالية والكفاءة الإنتاجية. وكان كذلك لإلغاء الاحتكار كسياسة كفيلة بالقضاء على رموز الصناعات الحربية الثقيلة آنذاك مصدر استراتيجي^٢ في بناء طبقة المديرين والمنظمين التي أتينا على استنتاجاتها سابقاً.

ولا بد من الإشارة إلى الإستراتيجية في بناء السلطة المركزية للحكومة والشمولية للحزب الحاكم الواحد وأثرها على التجربة اليابانية، إذ إن هذه الأوليـجـاركية تأتيه من التجانس العرقي ونابعة من الوطن والتراب والأرض لمجموعة متقاربة في العمر والمرجعية والخلفية الاجتماعية والجنود وليست دخيلة على مجتمعهم. فقد كانت سلطة الإقطاع قبل عصر النهضة الميجية متجذرة في النظام الياباني السلطوي والمتعزل عن العالم، حتى إنه كان مفروض على طبقة رجال الإقطاع الزراعية أن يتركوا بعض أفراد عائلاتهم رهائن لدى كبير النبلاء العسكريين (الشوجن) حتى لا يقدموا على تحدي سلطتهم (الحاكم العام). ومن

هذه الخلفية الهيكلية السلطوية والقيم الاجتماعية في السلطة الأبوية انبثقت إستراتيجية التساوق والتجانس والتوافق والانقياد نحو السلطة المركزية الحكومية للبيروقراطية وشمولية الحزب الحاكم كإستراتيجية، أي إن الهيكلية انبثقت عنها الإستراتيجية كما افترضنا في المقدمة، وأدى ذلك إلى بزوغ دور رجال الأعمال وجماعات المصلحة (الأعمال، التجارة، المال والبنوك، الصناعة) وقيمتهم في صناعة واتخاذ القرارات المصيرية.

ولو نظرنا إلى تجربة زراعة الأرز التي أوضحنا من خلالها أنه لا يمكن مطلقاً للعائلة الواحدة أو العائلتين أن يتمكنوا من إنتاج ما يكفيهم من الأرز كونه الغذاء الوحيد حسب التقاليد اليابانية. وأدت هذه البنيوية إلى أن تجتمع عدد من العوائل وتعمل معاً لإنتاج ما يكفيهم من الأرز ويفيض بعض الأحيان عن حاجتهم ويتم توجيهه للبيع. هذه الهيكلية أطلقت لديهم القيم الجماعية والتي اتجه كثير من كتاب الإدارة في أمريكا إلى اعتبار الجماعية اليابانية إستراتيجية اتبعتها اليابان وساهمت في تحقيق المعجزة اليابانية. الجماعية ليست إستراتيجية بل بنيوية فرضها الواقع والثوابت الجغرافية في تحقيق البقاء والاستمرار بزراعة الأرز وأصبحت لاحقاً إستراتيجية (الجماعية). ولا يختلف (الإجماع) من منظور بنائي، إذ تجذر و ظهر مرة أخرى لحيز الوجود بعد الحرب العالمية الثانية من خلال التكوين الجديدة لجماعات المصلحة والتنظيمات المؤسسية المشتركة وبعد القضاء على الدكتاتورية الفاشية العسكرية وجنوحهم للسلم والتوسع الصناعي بدلاً من الحرب والتوسع الجغرافي. ولأن المساواة تعتبر قيمة أساسية في هذا المجتمع المتجانس، فإن الترقية للمناصب القيادية تتم بناء على العمر والأقدمية وليس لمبدأ الجدارة مما أظهر نظاماً ياباني أسموه منهج (KASA RENBAN) أو ما يعتبروه مظلة التوقيع مجتمعين بما يعكس الإجماع كنهج معبر عن مبدأ المساواة.

ومع أن تلاقح النماذج التقليدية مع الحداثة واختمار وتفاعل هذين النموذجين كأداة إدارية فعالة، فإن أسلوب وإجراء (الرنجي) في صناعة واتخاذ القرارات يعتبر نهجاً بنوياً كان له دور في تكوين إستراتيجية إدارة بناء المعلومات وشبكات الاتصال ما يمكن اعتباره من المفاهيم الأساسية والكلمات المفتاحية أو المدخل الرئيسي للإستراتيجية الإدارية اليابانية في العصر الحديث. فقد كان لمنهج وإجراءات الرنجي في الجماعية والإجماع بصناعة واتخاذ القرارات ثورة حديثة فاعلة في بناء حلقات الجودة ونظام الاقتراحات الجماعية وإدارة الجودة الشاملة ونظرية (كارن) الإدارية. فلولا البنيوية في اتخاذ القرارات المعروفة بالرنجي (Ringi) لما أمكن لإستراتيجيات حلقات الجودة وإدارة الجودة الشاملة ونظرية كارن أن تنجح من دون هذه البنيوية الاجتماعية على أقل تقدير.

ويأتي قبل ذلك بالطبع الإستراتيجية البنكية، والتي ابتدأت من منطلق النقل والمحاكاة والتطويع التقني خلال السنوات الأولى للفترة المبتدئة بعام ١٨٦٨ المعروفة بعصر النهضة الميجية. فقد وجد العديد من رجال المال بعد عودتهم من ألمانيا وفرنسا أن نقل التجربة الغربية لا يتفق ونهج السلطة الأبوية اليابانية للصناعة الثقيلة التي ابتدأت عام ١٨٧٦ في صناعة النقل البحري والسكة الحديد واستخراج الفحم واستخدامه وقوداً للآلة البخارية. فقباطنة الصناعة والمال لم ترق لهم فكرة البنوك التجارية الغربية والإقراض التقليدي قصير الأجل مما أدى إلى ولوج البنوك شريكاً في رؤوس الأموال من خلال بنوك الزياتسو الاحتكارية وسلطتها المركزية الأبوية. ولا شك أن النظام البنكي الياباني في تمويل رؤوس الأموال كان ولا يزال مصدراً أساسياً للتجربة اليابانية وإثباتاً لدور الهيكل في بناء الإستراتيجية. ولا زال حتى الآن دور رجال المال واضحاً وجلياً في صناعة القرارات المصيرية في اليابان مما يعكس قدرة هذه المجموعة كمنظمين ملتزمين (entrepreneurs) في دفع عجلة

التطور واستمراريتها حتى الآن.

ومن غرائب الصدف أن اتجه اليابان لصناعة السيارات الصغيرة ذات المحرك الاحتراقي الضئيل لم تكن منطلقة من إستراتيجية وبصيرة محددة المعالم كما يعتقد البعض، بل بمحض الصدفة المرتبطة بالظروف والزمن. اتجهت اليابان لصناعة السيارات الصغيرة من واقع منطقي، كما في الكثير من تصرفاتهم، بأن الطرقات العامة والخطوط السريعة بين المدن كانت ولا زالت ضيقة من حيث العرض وليس أمامهم إلا إنتاج السيارات الصغيرة إذ لم يكن موضوع المحرك الاحتراقي الضئيل مرتبطاً بأسعار البترول، بل مرتبط بحجم السيارة كما يعترف بذلك الكاتب الياباني أومايا بكتابه الحديث عن انتقاداته للاقتصاد الياباني. وجاءت حرب ١٩٧٣ واستخدام الملك فيصل بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية -رحمه الله- لسلح قطع البترول وارتفاع أسعاره، مما دفع أوروبا وأمريكا لشراء السيارات اليابانية الصغيرة. وهنا نلاحظ أن البنية للطرق السريعة فرضت بناء سيارات صغيرة ما لبثت إبان ارتفاع أسعار البترول أن تصبح ميزة تنافسية يابانية أثرت اليابان حتى عصرنا الحاضر.

ويبقى فوق ذلك كله إستراتيجية (سيكولوجية الحرمان) وعقلية الجوع والشعور العميق بالمخاطر المهددة للبقاء من منظور جغرافي (هزات وزلازل) مصدراً للتميز عن طريق احترام السلطة المركزية والانسجام والتماسك الذي تعززه الهوية القومية والتجانس السلالي. ولا يمكن لنا إغفال هذه العناصر التفاضلية لاستمراريتها في الأجيال الجديدة وإن كان هناك نظرة تشاؤمية للجيل الشاب في ابتعاده عن القيم التقليدية الموروثة. فجيل الشباب سيصل إلى مرحلة النضوج الفكري مع الزمن ليعود إلى الخبرة المتراكمة وإحداث الإحياء الداخلي للتقليدية. وبعد ذلك كله تبقى الإستراتيجية والسياسة اليابانية في ضرورة وحتمية الابتكار

والإبداع للبقاء في هذه الحياة مصدراً للقضاء على شبح الجوع والفاقة والحرمان ومن دون الابتكار لا يمكن لليابان أن تبقى في قمة الهرم الاقتصادي.

رابعاً: الإستراتيجية الإدارية اليابانية:

اتجهت كثير من الكتابات البحثية والأكاديمية الإدارية والاقتصادية نحو إيجاد العناصر والمفاهيم التي أدت في التجربة اليابانية للوصول إلى التميز والفعالية والكفاءة. وكثير من هذه المفاهيم قد تم انتقادها من البعض والبعض الآخر تم اكتشافها بشكل أوضح. فقد حققت اليابان منذ عصر الميجي وحتى الآن تقدماً مذهلاً في نقل واستيعاب وسدّ ثغرة التقنية مع الغرب بشراء التقنية والاستثمار الكبير في المعدات مما أدى إلى الزيادة الكبيرة في الإنتاجية مع التغيير المذهل للقوى العاملة من الزراعة إلى الصناعة والخدمات. وكان للدخار الفردي الذي صب في شرايين الاقتصاد واستثماره عن طريق القروض البنكية الطويلة الأجل للصناعة من أجل نموها وتطويرها. وقد ظهر كثير من المفاهيم المؤدية إلى تفسير الظاهرة نود أن نلخصها بالتالي:

(١) شركة اليابان التضامنية:

إن ظاهرة الترابط ما بين البيروقراطية الحكومية وقطاع الأعمال تم تشبيهها بما يسمى (شركة اليابان التضامنية) (Japan Inc.). وذهب البعض إلى أن هذا المفهوم له دلالة الفوقية لقطاع الأعمال على السياسات والقرارات من القطاع الحكومي، وذهب البعض الآخر لاعتبارات الأضرار بسيطرة الحكومة على قطاع الأعمال، وأخذ البعض الآخر منهج الوسطية في سهولة الترويض والانقياد الوديع ما بين القطاعين. ولا شك أن الترابط ما بين القطاع الحكومي وقطاع الأعمال ظاهرة ومفهوم أساسي لتمييز التجربة اليابانية مقارنة مع جميع دول العالم، إذ تقوم

الحكومة بالمساعدة والمعاوضة لقطاع الأعمال في التصدير للعالم أكثر من تركيزها على قضايا الاحتكار الداخلي. وعلى سبيل المثال يقف البنك المركزي الياباني متعاضداً مع البنوك المحلية في الإقراض البنكي الواسع لقطاع الأعمال والتي -أي البنوك المحلية- تعمل جاهدة لحماية هذه الشركات المقترضة من الإفلاس.

ومع هذا فإن هنالك مبالغة في تعبير (شركة اليابان التضامنية) من منظور ثنائي يحتاج إلى إيضاح للدور الثلاثي لجماعات المصالح أو النخبة من رجال المال والأعمال (الزيكاي) تأثير في تكوين أسس جديدة متوازنة لترابط المصالح. ويبقى فوق ذلك دور الحكومة المركزي كمصدر رئيسي للتنظيم في المجتمع الذي ابتداءً في عام ١٨٨٠ في تمويل ودعم الصناعات الإستراتيجية ما لبثت أن انتقلت بالتخصيص لقطاع الأعمال في ما بعد الهزيمة في الحرب العالمية الثانية ببيع هذه الصناعات جميعها في الفترة ما بين ١٩٤٥-١٩٦٠ مما أدى إلى سيطرة رجال المال والأعمال عليها. ولا شك أن دور رجال المال (الزيكاي) في الحزب الديمقراطي وأثرهم في تعيين بعض الوزراء وكذلك انتقال موظفو الحكومة عند تقاعدهم في سن الخمسين للعمل في قطاع الأعمال ساهم بشكل واضح في تحقيق التلاحق والترابط العضوي والمتوازن ما بين القطاعين بما يخدم أهداف التنمية والتطوير الذي شهدته اليابان.

(٢) النخبة البيروقراطية:

إن الخدمة الحكومية تعتبر من أكثر المهن التي تجذب الشباب الياباني كون الوظيفة الحكومية تعتبر الأساس الوحيد للتنظيم في المجتمع وذات شرعية للدولة ككل من منظور تاريخي لهيمنتها على كافة جوانب الحياة. ويؤكد هذه الرغبة الجامحة للعمل في الحكومة النمو الملحوظ لعدد الموظفين في الحكومة ما بين عام

١٩٤٥-١٩٦٠ إلى خمسة أضعاف مما أطلق عنان المنافسة على هذه الوظائف في الامتحانات التأهيلية العالية والتي تشترط التخرج من الجامعة، ومن جامعة طوكيو على أكثر تقدير، بدرجة الشرف مما يثبت الأداء الجيد في الدراسة الابتدائية والثانوية لهذه النخبة المتميزة في الخدمة الحكومية.

البيروقراطية اليابانية لأسباب تاريخية ونظامية مرتبطة بنظام الخدمة المدنية والقاعدة الرئيسية بعدم التأثير الحزبي عليها، تتمتع بالثقة والاعتداد النفسي والمعرفة والمهارات والقدرة على التعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم وقراراتهم بصراحة ومن غير تردد بالطريقة اليابانية بنحو لا يشوبه أي غموض. وكل وزارة يتولى قيادتها وتوجيه نشاطها الداخلي نائب الوزير الدائم من البيروقراطية؛ لأن الوزير المعين سياسياً لا يتمتع بالنفوذ داخل الوزارة بتعيين مساعديه كما في الغرب. فالوزير لا يملك القدرة التوجيهية والتحكمية الكاملة على النشاط الداخلي للوزارة والتي تتم عن طريق نائب الوزير الدائم.

ومن المفاهيم المؤدية للنمو والتطوير التمييز لهذه الفئة النخبوية هي تقاعدها عند سن الخمسين وانتقالهم بعد التقاعد للعمل في قطاع الأعمال أو الالتحاق في أحد المجالس (البرلمان والشيوخ) أو أحد المؤسسات الرئيسية الاستشارية مثل كيدانرن (Keidanren) وكون هذه النخبة البيروقراطية في عملها بالقطاع الحكومي لا يشوبها أي غموض ولديهم الثقة والقدرة بإمكاناتهم في صناعة القرارات التي تتحول إلى المجلسين (Diet) وأثرهم الإيجابي الواضح على الوزراء المعينين من الحزب الديمقراطي الحاكم لعلاقة الالتحام بين البيروقراطيين وقادة الحزب الديمقراطي.

إن قوة النخبة البيروقراطية كانت ولا زالت أساساً للملامح التنموية في التقدم والتحديث في تماسكها واستقرارها واستمراريتها وحركيتها في الدوران

الوظيفي بالانتقال بعد التقاعد لقطاع الأعمال والبرلمان وجماعات المصالح واللجان الاستشارية. ولقد تعزز دور النخبة منذ عصر الميجي من منطلق احترام السلطة والطاعة والأبوية كمظهر من الثوابت الأساسية للحضارة اليابانية.

(٣) القيادة الإدارية:

ظهر دور المنظمين (entrepreneur) في اليابان كطبقة نخبة في تنمية وتطوير قطاع الأعمال (الصناعة والبنوك والتجارة) من مجموعة المبتعثين للدراسة والتدريب في ألمانيا وفرنسا في البداية عام ١٨٨٠ بعد عودتهم واستمراريتهم في العمل ضمن النخبة البيروقراطية ومن ثم انتقالهم للعمل في الصناعة والبنوك أمثال (YATARO) صاحب النظرية البنكية اليابانية الحالية مؤسس ميتسوبيشي و (Eiichi) مؤسس البنك باسمه الحالي المعروف وغيرهم في بناء المؤسسات البنكية. وقد أثبتت هذه المجموعة من المنظمين إتيانهم بابتكارات وأساليب وإبداعات لسلع وخدمات جديدة منطلقة من إحساسهم بالمسؤولية واستشراف المستقبل.

كما نمت وتطورت فئة المديرين المهنيين بعد هزيمة الحرب العالمية الثانية بفضل الإصلاحات الاقتصادية والإدارية بحل الزياتسو وظهور هذه الطبقة من المديرين التي أوضحنا كيف تقلدت المناصب الإدارية وتحفزت للعمل الجاد المثمر بفضل الفرصة المتاحة بعد حل الاحتكارات وكذلك انتقال عدد هائل من الشركات الحكومية وتحويلها إلى شركات مساهمة وانتقال إدارتها ممن يعملون في الإدارة الإشرافية والمتوسطة في هذه الشركات.

ومع قيادة موازية من الزيكاي (رجال المال) وجماعات المصالح ممن تم إحالتهم للتقاعد من قطاع الأعمال تم تشكيل ثلاث فئات متناغمة ومتربطة (المنظمين، الإداريين، الزيكاي) تعمل معاً في سبيل تحقيق الأهداف التي أدت

باليابان للوصول إلى الفعالية والكفاءة والإنتاجية التي نحن بصدددها.

(٤) المنافسة الشريفة:

المنافسة مفهوم وكلمة مفتاحية أو مدخل أساسي في الحضارة اليابانية تبتدئ في منافستهم لتحقيق البقاء في ظل الندرة وحربهم الاقتصادية لتحقيق الاستمرارية. فالمنافسة على مقاعد الدراسة وفي الامتحانات التأهيلية بطريقة شريفة لا يشوبها العداء، كما في المنافسة في الصناعات، تتركز في الحصول على حصة من السوق وليس على السوق كله في حرب المنافسة المسعورة لتوصيل المنافس إلى مرحلة الإفلاس. وتقف الحكومة ممثلة بوزارة التجارة الدولية والصناعة (MITI) موقف المراقب والمنظم والمصلح في حالة النزاع التنافسي بين الشركات المتماثلة. والتخصيص العادل (Fair Share) كمفهوم مجتمعي يعمل على حفظ التوازن في شدة المنافسة التي تعتبر جزءاً من القيم والأعراف اليابانية مع توازنها في التخصيص العادل حتى في ميزانية الحكومة لكافة الجهات بما يجعل بعض المناطق تنال مخصصات ليست بحاجة لها مقارنة بنشاطات مناطق أخرى تحتاج إلى مخصصات تحتاج لها وبما أسماه البروفسور أومايا الحد المدني الأدنى (Civil Minimum) ويرتبط بمفهوم المنافسة التعبير التقليدي أماي (Amae) الذي يعنى بوجود علاقة بين طرفين أحدهما قوي والآخر ضعيف بمحورها شعور القوي بواجب مفروض برعاية الضعيف بإخلاص حقيقي. وهذا المفهوم يبرز كخصوصية يابانية في ضغط التوازن في المنافسة بما يجعلها شريفة وعادلة وهادفة على المدى الطويل.

(٥) الوظيفة الدائمة:

لنجحت اليابان في تحقيق التنمية والتطوير في ظل تبني فلسفة الوظيفة الدائمة وحتى التقاعد. ويتمشى مع هذه الفلسفة كذلك التدرج والأقدمية إذ إنه من

المتعارف عليه أن لا تجد موظفاً يانعاً يشرف على موظف أكبر منه عمراً. ومع أن الوظيفة الدائمة تتحقق لنسبة قد تصل إلى ٣٥٪ من مجموع العاملين في قوة العمل اليابانية ولا تنطبق على العاملين في الزراعة والموظفين المؤقتين والنساء العاملات اللاتي يتركن عملهن بعد الإنجاب، ومن ثم يعودون للوظائف المؤقتة بعد دخول أبنائهم الجامعات. وقد اتضحت مزايا الوظيفة الدائمة والأقدمية والتدرج والزيادة السنوية للأجور في التركيز على الكفاءة والإنتاجية بشكل واضح، مما أدى بالتجربة اليابانية إلى هذا التميز الذي نتج عن الوظيفة الدائمة ومشتقاتها من العمل الجاد المثمر والتحفيز والدافع والولاء. كما اتضح لنا أن المزيج ما بين الموظفين الدائمين والمؤقتين والتقاعد المفروض عند الوصول إلى (٥٥) عاماً من العمر بآثاره الإيجابية لفتح المجال للجيل التالي للصعود والتدرج.

(٦) الرنجي ونيماءواشي:

إن عملية صنع القرار كمفهوم تقليدي نابع من القيم والأعراف اليابانية في المشاركة، حيث يقوم الموظف الصغير المختص في الشركة بصياغة مسودة القرار وتداوله للمستويات المتتالية في الهرم التنظيمي يعتبر ظاهرة ومفهوماً إدارياً ساهم في الوصول إلى التميز مع ما يجانبه من انعدام للكفاءة في الوقت الذي يتطلبه الرنجي. وقد أحدث مفهوم الرنجي (Ringi) في اتجاهه العكسي من الأدنى للأعلى، على خلاف بلاد العالم التي تتبع مفهوم القرارات من أعلى إلى أسفل، مما يؤكد الطابع الأبوي لأن الكلمة نفسها تعني قيام أحد التابعين بطلب المشورة والرأي من شخص يفوقه منزلة بأسلوب من المهابة والاحترام. وقد تم إدخال تعديلات على أسلوب تنفيذ المفهوم التقليدي للرنجي في ظل التعقيد والتشابك في العصر الحديث بظهور اللجان والمؤسسات الاستشارية العديدة، إلا أنه يبقى ظاهرة ومفهوماً مؤثراً في المشاركة وإحداث الفعالية. ويعود ذلك إلى اهتمام اليابانيين بشكل عام في الوصول

إلى الهدف أكثر من اهتمامهم بالهدف نفسه . كما أنهم يرون أن الرنجي يساهم في إنجاز الهدف في ارتباط العاملين في صياغته وإقراره والالتزام في تنفيذه، وقد اتضحت لنا الميكانيكية الخاصة والطقوس الخاصة بالرنجي بتفصيل دقيق كأسلوب وإجراءات عمل وأثرها سابقاً.

ومن المفاهيم التقليدية المرتبطة بالأرض والزراعة التي تمثل الأساس الأولي في بناء المجتمع وجوهر الإيمان المطلق بقيم القرية اليابانية مفهوم نيماشي (Nemawashi) والذي يعني حرفياً باللغة اليابانية (ربط وحزم الجذور للنبات قبل خلعها من جذورها). والمفهوم العام التنفيذي بضرورة الاستشارة بين اثنين أو أكثر من المدراء المختصين بطريقة غير رسمية وخارج نطاق العمل في المطعم أو في صالات الألعاب بعد انتهاء الدوام قبل التنفيذ بما يترابط مع الرنجي قليلاً في استمرارية وتكرارية الاستشارة حتى في الأمور البسيطة من منطلق الثقة والمساندة. ومع أن القرارات بمفهوم الرنجي والنيماشي تتطلب وقتاً وصولاً للاجماع، إلا أن اهتمامهم بالتقيد نابع من الرغبة في مساندة القرار عند تنفيذه.

(٧) الجماعة والاجماع:

يصعب على الياباني تحديد مهنته، بل يحدد نشاطه وعمله وحياته وتعريف نفسه بشركة معينة على خلاف بلاد العالم. وتعتبر مفهوماً تقليدياً مبنياً على القيم التي تركز على أن لا شيء يمكن له أن يعمل من دون ارتباطه بالجماعة كونها شيء مقدس مرتبط بالأسرة والإمبراطور والولاء والطاعة. فارتباط الفرد بعمله مع جماعة وارتباطه النفسي بقبوله مع الجماعة أدى إلى تميز التجربة اليابانية بفضل هذا المفهوم الذي نتج عنه العمل الجاد والولاء والطاعة للجماعة ورئيسها كجزء من القدسية التي يوليها الياباني للسلطة الأبوية الممثلة برئيس جماعة العمل. وارتبطت

الجماعية كذلك بقبول أعرافها وعاداتها في التدرج وإطاعة الرؤساء .

وقد اتضح لنا في المفهوم التقليدي للرئاسي في صناعة واتخاذ القرارات الضرورية الحتمية التقليدية كقيم وأعراف يابانية في الإجماع على مستوى قرارات مجلس الوزراء مما يؤكد التضامن وتكريس المصلحة العامة وصولاً إلى حلول توفيقية في حالة النزاع، إذ تعمل الجماعة بكل تفانٍ على إقناع العضو غير المتفقة بالرأي مع الجماعة حتى يغير موقفه ويتمشى مع قرار الجماعة الإجماعي أو أن يترك العمل بالاستقالة .

(٨) الأهداف المستقبلية:

اتضح بشكل عقلاني ورشيد عدم التركيز على الربح العالي والسريع من جراء السياسات المتبعة في الإقراض الطويل الأجل للشركات وسعي المديرين الحثيث لتسديد قرض الشركة مع الفوائد المتحققة، وعلى أثره تتحقق النتيجة النهائية في هامش ربحي قليل . ولأن الشركات لديها تكاليف ثابتة في الرواتب والأجور للوظيفة الدائمة والزيادات السنوية التلقائية والتدرج الوظيفي فإنه لم يبق أمام الإدارة التنفيذية إلا التركيز على الإنتاج المكثف الذي يعني باقتصادات الحجم مع فلسفة التنميط حتى تدفع هذه التكاليف الثابتة وتسديد القرض البنكي طويل الأجل .

وبما أن الفردية تذوب في الجماعية، فإن التقاليد والجغرافيا قد أعطتهم القدرة على الصبر واستشراف المستقبل وتحديد الأهداف البعيدة المدى بدلاً من الأهداف الآنية في تحقيق الربح العالي لتركيزهم على الجودة وخدمة المستهلك وما تتطلبه الجماعية من استشارات وإجماع نحو الوصول إلى الهدف المستقبلي بعيد المدى . إن التفاؤل في المستقبل وتحقيق الأهداف على الأمد الطويل يعتبر جزءاً من

الثقافة اليابانية ومنطلقاً من قبول الموظف العملَ براتب ضئيل لمدة عشر سنوات في وظيفة مؤقتة وصولاً لهدفه البعيد المدى في أن يتدرج وصولاً للتوظيفة الدائمة. وينطبق ذلك على العلاقات ما بين الحكومة والساسة ورجال الأعمال في دراسة الأهداف وكيفية تحقيقها والتي تأخذ وقتاً طويلاً من الاستشارات والاجتماعات وصولاً لإجماع في تحقيق الهدف المستقبلي أو الهدف البعيد المدى.

الاستنتاجات

قد يبدو للقارئ في النهاية أنني كنت أميل إلى تمجيد التجربة الإدارية ومفاهيمها بطريقة تفاؤلية وكأنني أنظر إلى كوب ماء والقول بأنه نصف مملوء وهو بالفعل نصف فارغ كذلك . والنظرة التفاؤلية للتجربة الإدارية اليابانية منطلقة من الرغبة في الوقوف على إيجابياتها للاستفادة منها في إظهار مزاياها لعل إمكانات الإبداع والابتكار والتجديد والتحديث والتوافقية ما بين التقاليد العربية ومتطلبات التحديث التقني تساعدنا ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين أن نتمكن من إحداث التنمية والتطوير الإداري لقطاع الأعمال الذي سيساهم في التطوير الاقتصادي والمجتمعي الشامل . ومع أنني على يقين خلال إعداد هذا البحث بأني قد أغفلت كثيراً من الجوانب الإيجابية والسلبية في تحليل الثوابت والمتغيرات الأساسية في الجوانب الاقتصادية بالذات والصناعية والاجتماعية والسياسية بشكل عام، والسبب في ذلك نابع من الرغبة في تركيز البحث على النشاطات والمساقات المرتبطة بالإستراتيجية الإدارية اليابانية .

فالتنمية اليابانية ننظر إليها كعملية حضارية متكاملة ركزت على تنمية وتطوير القوى البشرية للأثر الذي ستحدثه في زيادة الكفاءة والإنتاجية لتنمية الثروة القومية وتوليد الفائض الاقتصادي للتوسع الدائم في الاستثمار بضخ المدخرات في شرايين الاقتصاد القومي . وهذا نابع من الإستراتيجية الإدارية في صياغتهم لخطة موحدة هادفة وشاملة تربط بين المزايا التنافسية والتحديات البيئية . وإذا كانت التنمية من منظورهم في زيادة الإنتاجية لتنمية الثروة القومية وتوليد الفائض الاقتصادي والتوسع المطرد في الاستثمار من خلال الادخار وصولاً إلى إشباع الحاجات الأساسية للشعب الياباني ولتوفير القاعدة الراسخة للتطوير في تحديث

وتعظيم فرص الرفاهية في إحداث تغييرات هيكلية لتحسين المعرفة والمهارات والسلوك والثقافة والتقنية والجودة العامة من منظور ديناميكي في الأبعاد الثلاثة في التراكم النوعي والتحول الديناميكي والاعتماد على الذات.

وقبل الخوض في الاستنتاجات أود أن أركز أولاً على أن الإستراتيجية الأساسية والمنطلق الذي تتميز فيه اليابان عن كافة دول العالم في قدرتهم الفائقة على هضم واستيعاب ونقل التقنية الغربية منذ الانفتاح وبعد انعزال عن العالم دام لآلاف السنين وحتى القرن السادس عشر. يتميز الشعب الياباني بأنه شعب متجانس عرقياً ولغوياً وحضارياً إذ لا يشوبه أي تناقضات أو تضارب أو تنافر أو تعديات أو انتماعات عصبية قبلية أو عشائرية أو طائفية أو قطرية. وقد ساهمت هذه الخاصية في فعالية الإستراتيجيات والسياسات المبتكرة لأن هذا التجانس أحدث قدرة ذاتية في الطاعة العمياء للحاكم والتقيد بالتعليمات والتوجيهات بما لا يقارن عالمياً. وبما أنهم كذلك، فقد تحققت لهم أول ميزة في ترابط وتعاضد والتوافق التام ما بين البيروقراطية الحكومية وقطاع الأعمال المتمثلة في السعي الخيث للحكومة في تحقيق أهداف قطاع الأعمال، بما لا يمكن مقارنته أو تشابهه مع أي دولة في العالم. فمن المتعارف عليه حسب تقارير البنك الدولي حديثاً أن أكثر ما يعيق التنمية في دول العالم المقارن هذا التضارب والتنافر ما بين البيروقراطية الحكومية وقطاع الأعمال والفوقية التي تمارسها الحكومة في السياسات والأساليب والإجراءات المعيقة لنمو وتطوير قطاع الأعمال. وبما يؤكد أن تجربة المعجزة اليابانية كما أوضحها العديد من المنظرين بارتباطها بهذا التعاضد والترابط من البيروقراطية الحكومية من أجل تحقيق أهداف قطاع الأعمال.

واتضح في المساقات السابقة فعالية التوجيهات الإدارية من أجل تفعيل نمو

وتطور قطاع الأعمال منذ عام ١٩٤١ والذي استمر زخمها بعد هزيمة الحرب العالمية الثانية وحتى الآن. هذه التوجيهات الإدارية الحكومية من وزارة التجارة والصناعة الدولية والوزارات المختصة في إصدار السياسات والإجراءات لحماية وتشجيع الصناعة ركزت على مدى ما يزيد عن (٥٠) عاماً في الإصلاحات الاقتصادية على ثلاث إستراتيجيات أساسية وهي التنميط والإنتاج المكثف ومركزة المعلومات. فقد ساهم التنميط أو التوحيد القياسي منذ البداية في الاتفاق على أسس موحدة للتنميط والتوحيد القياسي للصناعة والتعليم والبنوك وكافة النشاطات القابلة للتوحيد مما ساهم في تحقيق الإنتاج المكثف الذي حقق المعجزة التصديرية للمنتجات اليابانية من السيارات والإلكترونيات للعالم. كما ساهمت إستراتيجية مركزة المعلومات عن طريق سياسات التوجيهات الإدارية بضرورة وجود المركز الرئيسي للشركة والنقابات والمؤسسات الصناعية والثقافية المساندة في طوكيو بتفعيل دور المعلومات والاتصالات والإعلام والإعلان.

وقبل الخوض في الاستنتاجات العامة للإستراتيجية الإدارية اليابانية، أود أن أنطرق إلى بعض السياسات التي قد يراها البعض من شفافية مطلقة بأنها سلبية من منظور اقتصادي، إلا أنها خدمت وساهمت قبل الحرب العالمية الأولى وبعد هزيمة اليابان بالحرب العالمية الثانية في تحقيق التميز الذي وصلت إليه اليابان والذي يتمثل في ثلاثة أبعاد هي: الحماية، والإعانة، والتوزيع المتساوي للمشاريع الرأسمالية الحكومية الذي أسماه أومايا الحد المدني الأدنى (Civil Minimum). ابتدأت الحماية للصناعات المحلية في صياغة إستراتيجيات وسياسات واضحة تسمح باستيراد المعدات وشراء التقنية بنظام رقابي صارم على تحويل العملات لهذا الغرض من قبل الحكومة المركزية. واستمرت هذه الحماية بالرقابة على أسعار

التحويل التشجيعي للعملات مع قيود على عملية التكرار وتأکید شراء المعدات للمرحلة الأولى على أن يتم صناعة المثل لهذه المعدات أو المنتجات ممن تم منحه هذه التسهيلات. وساهم في نجاح الإستراتيجية للحماية الصناعية التمويل البنكي بنسبة ٨٠٪ لرأس المال والإشراف البنكي المباشر على تحويل العملات بالتنسيق مع وزارة التجارة الدولية والصناعة (MITI) مما حقق وقفاً لأي نزيف بدخول الصناعات الغربية والاتجاه نحو إشباع السوق المحلية من الصناعات اليابانية أولاً ومن ثم الاتجاه بالفائض نحو التصدير. وساهمت الإعانات الحكومية لقطاع الزراعة التي لا يوجد لها مثل في العالم في استمرارية نشاط الزراعة المتواصل بدلاً من رحيل المزارعين إلى المدن، إذ إنه لا يسمح مطلقاً باستيراد المنتجات الزراعية. وعلى سبيل المثال عندما أصاب زراعة الأرز أضراراً عام ١٩٩٣ بفعل الأعاصير وفقدان المنتجات مما فرض عليهم شراء (٣٠٠) ألف طن أرز من أمريكا، تزداد سنوياً منذ ذلك الحين بمائة ألف طن سنوياً، لمقابلة الاحتياجات المحلية. فقد تم استيراده بسعر (٣٠٠) دولار للطن وتم بيعه بالأسعار المحلية مما نتج عن البيع فائض بليون دولار تم توزيعه على المزارعين إذ يتلقى المزارعون للأرز إعانات سنوية تصل إلى عشرة بلايين دولار ونتج عنها أنهم أصبحوا بوضع أفضل مما كانوا عليه في زراعتهم للأرز. وتصرف هذه الإعانات إلى (٤٤) مقاطعة صغيرة من ثلاث مقاطعات رئيسية هي طوكيو واوساكا وأوشي التي تنتج ٨٥٪ من الدخل القومي الياباني. ويقول أومايا: إن هذه المقاطعات الثلاث التي تنتج الثروة القومية وتشكل ١٠٪ من السكان تصرف على ٩٠٪ من السكان. ومع أن القطاع الزراعي يعتبر صغير الحجم إذ يشكل (١٧٠) ألف مزارع فقط يخدمهم (٤٣) مليون مزارع مؤقت و (٤٢٠) ألف كاتب في التعاونيات الزراعية ويشرف عليهم

جيش من البيروقراطيين بوزارة الزراعة قوامه (٩٠) ألف موظف منهم فقط (١١) ألف موظف مختصين في تصنيف نوعيات الأرز المنتج. هذه الإعانات ومعها الحماية لا يمكن إغفال أهميتها لأغراض دراستنا الخاصة بالإستراتيجية الإدارية. وتكتمل الأبعاد الثلاث في التوزيع المتساوي لميزانية الدولة للمشاريع والخدمات المسماة (Civil Minimum) لما تحقّقه من الألفة والمودة وانعدام العداء والبغضاء إذ إن قرية يابانية تعتبر مثيلة إلى (٣٣٠٠) قرية يتم تحديد مخصصات متساوية لهم جميعاً وعدد سكانها (٧٠٠٠) نسمة يتم تخصيص ميزانية تصل إلى (٣٨٧) مليون دولار وبها (١٨) موظف حكومي وعمدة راتبه السنوي (١٢٥) ألف دولار. كما يتم صرف (٨٥٠) بليون دولار سنوياً، أو نصف ميزانية اليابان، على المباني والطرق والخدمات الخاصة في البنى التحتية وغيرها لتستفيد منها جماعات المصالح الممثلة إلى (٥٣٠) ألف شركة مقاولات، مما يؤكد توزيع الدخل القومي وضخه في شرايين الاقتصاد وتنمية الثروة القومية بالادخار والاستثمار الدائم.

ولاستلهم دروس من الإستراتيجية الإدارية اليابانية تبين لنا استنتاجات من تحديات الثوابت والمتغيرات الأساسية في البيئة اليابانية متمثلة أولاً في الجغرافيا الانعزالية والتاريخ والديموغرافية السكانية والثروات الطبيعية. وأهم ما يلفت الانتباه في الموقع الجغرافي يتحدد من خلال بعدها البحري الانعزالي وافتقارها للثروات الطبيعية مما كوّن لدى فكر الإنسان الياباني بشكل مقلق هاجس الفقر والفاقة والقلة والندرة والجوع. وخلق هذا الهاجس المقلق التحدي الذي يسيطر على حضارتهم وثقافتهم مما جعلهم في حرب دائمة مع هذه البيئة القاسية في مساحة الأرض الصغيرة نسبياً مقارنة بالدول المحيطة والدول الصناعية الغربية وفي حرب دائمة مع الإطار الجغرافي في كثرة الأعاصير والزلازل. وزاد من حدة

التحدي انعزالهم عن العالم مما كان له إيجابيات في تكوين شعب متجانس عرقياً ولغوياً وحضارياً قادراً على التعامل مع البيئة المحيطة.

ولا بد من الإشارة هنا لإيجابيات الانعزال عن العالم في تأثير اليابان بالتقاليد والأنماط الوافدة والمتدفقة من الصين والتي رافقها قبل آلاف السنين انتشار البوذية والتي هضمتها وأكسبتها طابعاً خاصاً مميزاً بالروح اليابانية ما لبثت أن اشتق منها مذاهب دينية وضعية عديدة كالبوذية والفلسفة الكونفوشية وأهمها فلسفة اليوشيدو. وتركزت في النهاية في فلسفات الشتو والكونفوشية والزن والتي تركّز معظمها على العنصرية القومية، وقبل كل ذلك في تبجيل الإمبراطور كقيمة تقليدية تمثل جوهر الخصوصية اليابانية لمكانته المقدسة المتأصلة في عمق التاريخ الياباني. ومع أنه لا توجد حياة حقيقية دينية ولهذا لم تتكون من هذه المذاهب الفلسفية صراعات وانقسامات بين أصحاب هذه الأفكار الوافدة والمستحدثة مما أوصلها إلى مرحلة كونها إرشادات ومبادئ أخلاقية وتوجهات ونصائح والتزامات وتعاليم منسقة للقيم والأعراف والعادات. إن القيمة التبجيلية الجوهرية للإمبراطور منذ آلاف السنين كما وردت في الطقوس والمعتقدات كونت لديهم حضارة متميزة وفريدة في الولاء للإمبراطور والانسجام الأسري والقومي لتصبح مصدراً للفضائل ورمزاً لوحدة الدولة وبقائها. ولا شك أن عام ١٨٦٨ المسمى (عصر تاريخ النهضة) أو عصر الإمبراطور مييجي يعتبر بحق هو عصر صياغة التاريخ الياباني بكل ما وصلت إليه اليابان اليوم من تفوق وتميز. ومن الضرورة التنويه هنا بالترابط ما بين جغرافيا الانعزال وحملة الكوماندوز ييري البحرية في احتلاله شواطئ اليابان وطوكيو بالذات عام ١٨٥٣ والتي سبقت عصر الإمبراطور مييجي بأثرها الجامح على التحدي الذي تكون لدى اليابانيين في قهر الاستعمار الغربي إذ كَوَّن

لديهم حالة اغتراب وإحياء وتكريس للعنصرية اليابانية وقداسة التراب ومنع الغرباء من دخول اليابان وساهم مساهمة فاعلة في إنهاء العزلة والانفتاح على الصناعات الغربية في عصر الميجي. ولا شك أن الأفكار والتعاليم الكونفوشية والشتو والزن واليوشيدو مجتمعة رسخت خضوع الشعب الياباني للخط الإمبراطوري وتبجيله والسلطة الأبوية بخضوع الابن للأب والزوجة للزوج مما جعل فترات الحكم مستقرة وتحالف طبيعي ما بين السلطة والفرد منطلق من الطاعة العمياء للحاكم على مر العصور.

ورافق التحديات للجغرافيا ببعدها البحري والانعزالي قلة الثروات الطبيعية وحجم الأرض الصالحة للزراعة مما كان له إيجابيات فرضت على الشعب الياباني الكثير العدد والذي ازداد فيه عدد السكان بشكل رهيب في القرن التاسع عشر العيش على هذه البقعة الصغيرة بأمان واستقرار خلال فترة الانعزال وبعد الانفتاح. فلم يكن أمامهم إلا التعاون والتعاقد والعمل الجماعي الجاد في سبيل تحقيق لقمة العيش مما حقق في النهاية الكفاءة والإنتاجية الزراعية في ظل التطور التقني الزراعي. وساهم البعد البحري في بناء المصانع قريباً من الشواطئ لشحن الصادرات إلى العالم كما نراه اليوم. وكان لقلة الثروات الطبيعية دور واضح في اتجاه اليابان عام ١٨٨٠ وحتى ١٩٤٠ نحو العسكرية واحتلال معظم دول شرق آسيا وقبل هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية.

ومع الانفتاح على العالم بعصر الإمبراطور ميجي بعد الانعزال بفعل التحديات الجغرافية والخوف من استعمارهم بعد حملة القائد البحري الأمريكي بيرى عام ١٨٥٣، اتجه الإمبراطور لإرسال البعثات التعليمية إلى ألمانيا وفرنسا لمجموعة متميزة وملتزمة بالتقاليد الكونفوشية آنذاك ومن أبناء طبقة المحاربين

الساموراي والتي تنادي بالتمسك بالتقاليد المتوارثة وتهتم بالخبرة المتراكمة بتواتر مستقر دون قفز عن طريق النقل والمحاكاة؛ لأن التعليمات والطقوس تنادي باحترام الخبرة المتراكمة كإنجازات لا يمكن تخطيها إلا بقدر من الاحتراس والاحترام. وكان لهذه الفئة المتميزة ممن عادوا من هذه البعثات الدراسية قصب السبق في تشجيع ظهور فئة المديرين والمنظمين القادرين على الاستفادة من عناصر الإنتاج وأهمها الثروة البشرية في ما تتمتع به من سلوك واتجاهات ومعتقدات تواءمت مع متطلبات التحديث في الالتزام بالطاعة للإمبراطور والأسرة وصاحب العمل مما ساعد على دفع عجلة النمو والتطوير الذي نشهده اليوم.

وكان للعسكرة تاريخياً أثر كبير فيما نراه اليوم من حيث الولاء القومي والوظيفي والطاعة متمثلة بطبقة المحاربين الساموراي أو حملة السيوف الذين يتركز سلوكهم ومواقفهم واتجاهاتهم بالولاء والطاعة لرؤسائهم كشيء مقدس. ومع الانفتاح بعصر الميجي والاتجاه نحو بناء (أمة غنية وجيش قوي) ببناء جيش نظامي قوي ومدرّب على الطريقة الأوروبية، ثم إدخال الفلاحين كجنود في الجيش النظامي بالتجنيد الإجباري لارتباط ذلك إستراتيجياً بعدد السكان الهائل على رقعة أرض صغيرة. ومع اندثار طبقة الساموراي والرغبة في التوسع الجغرافي باحتلال معظم دول شرق آسيا ببناء الصناعات الحربية لحاجتهم إلى الأرض لإطعام الشعب الياباني من هذه المستعمرات الجديدة والحصول على المواد الخام للصناعات. وكان من نتائج العسكرة الرئيسية تعلم الضبط والربط والالتزام مع الشجاعة المرتبطة بالولاء والطاعة وبعدها الثالث في الانتماء والارتباط بالأرض مما كون ما نراه اليوم من ولاء وطاعة للرؤساء. وكان لصدور قانون التعبئة العامة لمهام الحرب عام ١٩٣٨ فعالية متناهية في التنميط والتوحيد القياسي والإنتاج المكثف ومركزة

المعلومات في طوكيو بفعل التوجيهات الإدارية كما اتضح من المساقات العديدة بإيضاح كامل كأساس للإستراتيجية الإدارية اليابانية الشاملة.

وسبق هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية فترة الكساد الاقتصادي العالمي وما رافقها من جوع وفاقة وهجرة جامحة بالملايين إلى أمريكا ونتائجها في وفاة المهاجرين بعرض البحر، مما أفقد العسكرة الروح العامة في الاستمرار بعد بناء الصناعات الحربية التي أهملت كل شيء داخلي في سبيل التوسع الاستعماري العسكري لدول شرق آسيا. وكان للهزيمة الساحقة في الحرب العالمية الثانية باحتلال اليابان ودخول الجيش الأمريكي ودور الجنرال مكارثر الإيجابي على الإدارة اليابانية في الإصلاحات الرئيسية التي أحدثها خلال سبع سنوات ما نراه اليوم استمرارية لهذا التطوير. وأكثر ما نستنتجه في فترة الاحتلال الأمريكي ما قد تم بناؤه على تقرير دودج بضرورة بناء اليابان من أهلها ودون مساعدة من أمريكا كقاعدة أساسية راسخة تجذرت بعد الحرب وساهمت في منع التبعية.

تستند اليابان جغرافياً وتاريخياً على الفكر الازدواجي في الرفض لكل ما هو أجنبي مع ثقافة مستقبلية وغير مرسلة كون الاستعارة والنقل والمحاكاة الثقافية للصين في البداية والغرب في العصر الحالي كونت لديهم قدرة غريبة في التوفيق والملاءمة ما بين القيم والعادات والأعراف وضرورات التحديث بعد الاحتلال الأمريكي. ونستنتج أن قبول التغيير بفضل التجانس القومي والخوف من استعمارهم من الأجانب وتدريبهم الدائم للبيئة القاسية وحربهم الدؤوب نحو تحقيق البقاء. فكما هو معروف بأن اليابان لم تعان حالات الانقسام في الانتماءات الطائفية أو النعرات المحلية إذ أثبت لنا التاريخ التفاهم حول قيادتهم الوطنية في صورة واضحة من الولاء والتفاني والإخلاص. وثبت إمكانية نجاح عملية

التحديث التي تتم من أعلى، أي من النخبة والقيادة الإمبراطورية والوطنية بوسائل الاتصال والإقناع والمدعومة بالقيم التقليدية المكرسة للتدرج الوظيفي والمراتب الاجتماعية. وساهمت النخبة التي تعلمت في الدول الغربية وذات الانطباعات الإيجابية والتي استفادت من وجودها في دول الغرب بتوثيق مشاهداتها وتجاربها على شكل رسومات وخرائط وصور من مركزها القيادي في إقناع الجماهير بضرورة التخلي عن القيم التقليدية القاصرة والمشوهة لعملية التنمية والتطوير. وكانت النتائج لتقبل التغيير في امتداد الطبقات الاجتماعية وبرز واضح للطبقة المتوسطة وطبقة الصناعيين والحرفيين مما وفر قاعدة أساسية للحراك الاجتماعي المؤدي للتنمية.

اتجهت اليابان بعد الهزيمة في الحرب العالمية الثانية إلى بناء الإرادة الذاتية التي نادى بها تقرير دودج والتي انطلقت من فذلكة بأن على اليابان أن تبني نفسها بنفسها دون الاعتماد على المعونات الأمريكية. فانطلقت اليابان من قاعدة راسخة في محو الأمية مع بداية هذا القرن إذ كانت نسبة المتعلمين فيها تفوق نسبة المتعلمين في إنجلترا وفرنسا مع افتقارها وندرتها للموارد الطبيعية. كما تركزت على إستراتيجية أساسية في نبذ الاستعمار لأراضيها مما ساهم في أنها لم ترتبط بعلاقة التبعية للغرب والابتعاد الكلي عن الحصول على قروض أجنبية. وكانت النتيجة هي الميل الكبير للادخار وزرعه في عروق الاقتصاد الوطني وقيام الصناعة المعتمدة على توفير الاحتياجات اللازمة للسوق المحلي أولاً.

وكان من نتائج الثوابت الأساسية كالجغرافيا والعزلة والتاريخ والعسكرة في إثارة طاقة الشعب الياباني نحو بروز قيم اجتماعية في الانتماء وبناء القدرة الذاتية والعمل الجاد وحياة وظيفية وسلوكيات إيجابية وترابطية في العمل بأسلوب منظم.

إن مقومات الخصوصية اليابانية التقليدية بشعور العامل بالالتزام الصارم أمام رب العمل ساعد على وتيرة النمو والتطوير الاقتصادي والذي تعتبر نتيجة أساسية للتجربة اليابانية المتميزة.

واتضح لنا أن القيم الاجتماعية المكونة للثقافة اليابانية حافظت على التقاليد المتميزة في الجماعية والإجماع والتدرج، إذ إن الجماعة هي المحور الذي بني عليه معنى الحرية الفردية المرتبطة بالتدرج وارتباط الفرد برئيس رمزي يشبه ارتباطه بالسلطة الأبوية التي نتج عنها الولاء والطاعة للشركة مما أعطى ديناميكية غير عادية لحركة التنمية والتطوير. وارتبط ذلك كله بالعمل الجاد الذي حقق التراكم في الإنتاج الفائض عن حاجات الاستهلاك القومي وتصديره، كما حقق العمل الجاد الزيادة الهائلة في الادخار الفردي الذي تم ضخه واستثماره مرة أخرى في التكوين الرأسمالي بشرايين الاقتصاد القومي. ولا شك أن العمل الجاد قادهم إلى بناء وتكريس المهارات مع ازدياد منحى التعلم الذي يتوارثه جيل عن آخر مما أدى إلى صقل فكري أبعدهم عن نهج التبعية وعزز الاستقلال والثقة في الذات.

ونجحت اليابان في تبني حياة وظيفية منهجية ومتدرجة بوضوح يستطيع من خلالها أن يحدد الشاب مستقبل حياته الوظيفية منذ البداية وحتى التقاعد من خلال فلسفة الوظيفة الدائمة. ولا شك أن الرشد والمنطق ينادي كنتيجة لا خلاف عليها في العالم كله بأن الإنسان لا يمكن له أن يعمل بجهد إخلاص وولاء ما دامت حاجته الأساسية غير مستقرة كما حددها البروفسور إبراهيم ماسلو الأستاذ بجامعة هارفارد قبل (٥٠) عاماً بأن الحاجة الأولى للإنسان هي الحاجة إلى الأمن الوظيفي الذي يحقق له الحاجة الثانية في مردود الوظيفة في الحاجة للمسكن والمأكل. إن نتيجة هذه الفلسفة الوظيفية تتضح في الاستثمار التدريبي الطويل الأمد وفي

تكوين سوق عمل داخلي لا يسمح بدخول موظفين جدد على وظائف إشرافية بشكل مطلق ويمنع التسرب والأهدار للموجودات المؤسسية والتي أحدها العاملون بها كأساس جوهري للموجودات. إن الإبداع والابتكار منطلقه الأمان الوظيفي الذي ينطلق عنانه في التغيير للأفضل إذ لا ضرورة إلى مقاومة التغيير الذي يراه البعض مهدداً لأوضاعهم الوظيفية. فهم يرون التغيير كفرصة سانحة لشركتهم للتقدم المبني على الثقة المتبادلة بالأمان وأنه سيكون من نتائجه فرصة لتقدمهم ولا يهدد وظائفهم.

الترابط والتعاقد والاتساق الواضح ما بين القطاع الحكومي (البيروقراطية) وقطاع الأعمال (صناعة، تجارة، بنوك، خدمات) أطلق عليها مصطلح شركة اليابان التضامنية (Japan Inc.) ليعكس هذا التلاقح المشهور ما بين الإستراتيجية الاقتصادية والصناعية والإدارية مجتمعة ودور البيروقراطية في إدارة التنمية. فقد تكونت ونمت وتطورت البيروقراطية عن طريق الاستعارة والنقل والمحاكاة للأنظمة الصينية وخاصة في الامتحانات التأهيلية لدخول الوظيفة الحكومية ومنذ آلاف السنين عندما كانت الصين أكثر دولة متقدمة في العالم، هذا إلى جانب التقاليد اليابانية التي كانت تقدر الوظيفة الحكومية لارتباطها بخدمة الإمبراطور. ولا زالت حتى العصر الحالي تجذب خريجي جامعة طوكيو المشهورة في اختيار أفضل المتقدمين عن طريق الامتحانات التأهيلية. نستنتج من كل ذلك أن البيروقراطية اليابانية متميزة عبر التاريخ لاستخدامهم مبدأ الجدارة في التعيين بالامتحانات التأهيلية لاختيار أفضل المتقدمين وبالأخص منذ عام ١٨٦٨. رافق هذا التميز في النخبة المبتعثة للدراسة والتدريب في الدول الغربية (ألمانيا وفرنسا) وعودتهم بعد الانفتاح على العالم لتنفيذ الإستراتيجيات التنموية المفروضة والشمولية من أعلى،

إلا أن احتكار التنمية من البيروقراطية تغير لاحقاً وبعد الهزيمة ليرتبط دون أية فوقية مع السلطة التشريعية وقطاع الأعمال وتقرر هذا الترابط والتلاحق والتعاقد مع قطاع الأعمال بعد أول هزيمة في تاريخ اليابان في الحرب العالمية الثانية بالاحتلال الأمريكي في حل احتكار الزياتسو الذي أدى إلى تكوين طبقة جديدة من المنظمين والمديرين. وأظهر بعداً ثالثاً من خلال الأنظمة التي فرضها الجنرال مكارثر في إلغاء العسكرة وتجذير الديمقراطية في إعادة إحياء مجلسي الشيوخ والبرلمان (Diet) مما أطلق كنتيجة حتمية إلى الترابط والتكاثف ما بين البيروقراطية ومجلسي الشيوخ والبرلمان وجماعات المصالح المالية والاقتصادية والصناعية من منظمين ومدراء ومحترفين للعمل المثمر بين هذه المجموعات الثلاث. إن مرارة الهزيمة عام ١٩٤٥ تركت أثراً لا يمكن أن ينمحي من ذهن اليابانيين بما مر عليهم من مجاعة وفاقه وحرمان مع ما رافقها من أوليغاركية من العسكرة. وقد سبق ذلك إذلالهم عام ١٩١٩ و ١٩٢٤ بمعاملة أمريكا المهينة عندما لم تسمح للمهاجرين اليابانيين دخول بلادهم وموتهم بمئات الآلاف بعرض البحر إلى جانب قطع الإمدادات البترولية عن اليابان مما أدى بالعسكرة لضرب بيرل هاربر وبعدها ضرب أمريكا لليابان بالقنابل الذرية. ومع أن أمريكا والحلفاء كسبت الحرب، فإن جميع الاعتبارات تؤكد نتيجة حتمية بكسب اليابان للسلام وتعاقد البيروقراطية مع قطاع الأعمال والسلطة التشريعية بطريقة متناغمة وصولاً للفعالية.

إن إلغاء احتكارات الزياتسو أدى إلى ظهور طبقة المنظمين والمدراء المحترفين؛ لأن هذا الإلغاء كانت له نتائج عديدة أهمها بيع حصة الحكومة وتحويلها إلى آلاف الشركات المساهمة عن طريق المنظمين الجدد من الصناعات الحربية إلى الصناعات المنتجة. فتحولت الشركات من صناعة المدافع إلى صناعة

مكائن الخياطة وتحولت سوني من صناعة العدسات والبصريات لخدمة الجيش إلى صناعة آلات التصوير والراديو والمسجلات والتلفزيونات والتي أوضحها موريتا (Morita) رئيس شركة سوني بسيرته الذاتية حديثاً بكتابه باللغة الإنجليزية بعنوان: صنع في اليابان (Made in Japan) الذي كان من أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا وأوروبا. فظهور طبقة المديرين المحترفين كان من نتائج إلغاء احتكارات الزياتسو في تحويل فئة الإدارة المتوسطة في كل شركة إلى الإدارة العليا وتكوين مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية من المدراء أنفسهم وليس من خارج الشركة كما كانت خلال احتكار الزياتسو، إذ لم يتكون لدى المدراء الحافز والدافع للوصول إلى المناصب العليا كونها حكراً على الزياتسو من جهة وحكراً على موظفي البيروقراطية للشركات الحكومية التي تم بيعها وتحويلها إلى شركات مساهمة. إن إقامة الشركات كمؤسسات تتصف بالتمايز البنائي والتخصص الوظيفي وتحويل الولاء التقليدي في السلطة الأبوية إلى الشركة أدى إلى مرونة الحراك الاجتماعي والجغرافي والنفسي بيسر وسهولة عبر الخطوط الفاصلة التي ظهرت كنتيجة من خلال الأنظمة الإصلاحية التي نفذها الجنرال مكارثر لإلغاء العسكرة وتجذير الديمقراطية في إلغاء الاحتكارات وإصلاح أنظمة الشركات ونظام العمل إلى الترابط ما بين البيروقراطية وقطاع الأعمال (منظمين، مدراء محترفين، جماعات المصالح) والسلطة التشريعية في مجلس الشيوخ والنواب والحزب الحاكم إلى إحداث التداؤب (Synergy) التي نراها اليوم كأثر في وصول اليابان إلى كونها ثاني دولة في العالم من حيث التقدم الصناعي والتقني والاقتصادي.

وكلمة المنافسة لدى اليابانيون تعتبر مفتاحية في كافة أمورهم الحياتية في إستراتيجية التعلم والتدريب مدى الحياة والتي تنظمها سياسة الامتحانات التأهيلية

للتعيين في الوظيفة الحكومية، ما لبثت أن انتقلت هذه الامتحانات التأهيلية إلى الشركات المرموقة لما لها من اعتراف واستحسان للفرد. وقبل ذلك الإجراءات الصارمة للقبول في الجامعات الحكومية المجانية عن طريق الامتحانات التأهيلية وليس جدول العلامات في الثانوية العامة. وفوق كل ذلك تحقيق الهدف الجوهري في الحرب الأساسية بمحو الأمية التي تحققت عام ١٩١٧ وبنسبة ٩٧٪. إن هذه الامتحانات التأهيلية أعطت نتائج في القيمة المضافة للتعليم الذي تنفذه المدارس والجامعات بشكله التقليدي والعالمي في بناء الذات من خلال التعلم الذاتي في البيت والتحضير المستمر منذ البداية لهذه الامتحانات التأهيلية بما يؤكد التراكم الكمي والنوعي للتعليم. إن المنافسة الشريفة في الامتحانات التأهيلية لدخول روضة الأطفال المتميزة دفعت الوالدين لظهور دورهم اليومي في البيت لتعليم الابن وتجهيزه للحصول على درجات عالية في هذا الامتحان التأهيلي الذي يتكرر بعد انتهاء الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية. هذا المفهوم في التعليم وعدم تركيز اعتماديته فقط على الكتاب والمعلم والمدرسة وشموليته في بناء الفرد عن طريق التعليم والتثقيف المستمر لتكوينه لقيمته الذاتية واعتزازه بنفسه كان ولا زال مصدراً أساسياً للقدرة التنموية والبحثية والابتكارية التي نراها اليوم. إن الفكر الياباني ينطلق من فذلكة مؤداها بأن التعلم مدى الحياة يبتدىء من السلطة الأبوية في دور الوالدين بتعليم أبنائهم إلى جانب دور المدرسة والدروس الخصوصية لإثراء التعليم وصولاً إلى الفوز في المنافسة عن طريق الامتحانات التأهيلية.

ومن الاستنتاجات الرئيسية لنمو وتطور قطاع الأعمال الذي لا يوجد له مثيل في العالم، بأسلوب التمويل لرأس المال للشركات والمصانع إذ تبلغ نسبة التمويل البنكي ٨٠٪ من رأس المال على شكل قرض طويل الأجل و ٢٠٪ من رأس المال

يتم تمويلها من المنظمين أو رجال المال والصناعة إذ ساهم هذا التمويل الرأسمالي الطويل الأجل باتجاه كثير من المنظمين لإنشاء المصانع . ورافق ذلك ظاهرة أساسية غير منتشرة في العالم تتمثل بأن المديرين التنفيذيين للشركة هم أنفسهم أعضاء مجلس الإدارة واللجان التنفيذية وليسوا من خارج الشركة . كما أن هؤلاء المدراء التنفيذيين وأعضاء مجلس الإدارة كذلك لا يتلقون مميزات عينية في امتلاك أسهم الشركة كما هو معروف عالمياً، بل يتقاضون أجراً شهرياً مع مكافآت سنوية مرتبطة بإنجاز ونتائج الشركة الإيجابية . ومع النزعة الطبيعية للشعب الياباني نحو الادخار والاستثمار لهذه المدخرات في هذه الشركات بشراء الأسهم التي لا يعتمدون فيها بشكل رئيسي على المضاربة بل بالاحتفاظ المستمر مقابل عوائد ربحية للأسهم ومع حصولهم على ميزة تخصيص أسهم مجانية أو ميزة بيعهم الأسهم الجديدة المطروحة بالقيمة الاسمية . هذه الاستنتاجات الثلاث بالتمويل الرأسمالي البنكي وتعيين المدراء التنفيذيين أعضاء في مجلس الإدارة مع المميزات للمساهمين في الولاء للشركة من المساهمين بها في عوائد ادخاراتهم وولاء الشركة لهم بمنحهم الربح السنوي المعقول عن أسهمهم مع ميزات الأسهم المجانية أو ميزة بيع الأسهم الجديدة بالقيمة الاسمية أعطت ربحاً في نمو وتطور قطاع الأعمال لما نشهده اليوم ومستقبلاً في التجربة اليابانية .

ومن هذه الإستراتيجيات نستنتج كذلك تركيز إدارة الشركة على تسديد القروض الطويلة الأجل في عملهم الحثيث على إنتاج وبيع أكبر كمية ممكنة وصولاً إلى هامش ربحي بسيط بعد الوصول إلى تكلفة الإنتاج التي يدخل من ضمنها أقساط القرض البنكي مع فوائده مع قيمة المواد الخام زائداً الرواتب الثابتة . إن هذه الإستراتيجية الحتمية ظهرت كنتيجة لهيكلية الاقتراض الرأسمالي مع الوظيفة

الدائمة، إذ لا مجال لهم في الوصول إلى تكلفة الإنتاج إلا بالكفاءة والإنتاجية العالية عن طريق التتميط والإنتاج المكثف ومن دونها ينهار المصنع ولا مجال أمامهم أعرافاً وعادات بفصل الموظفين من العمل. وكثير ما يتردد عن نشاط البيوتات التجارية اليابانية التي تتعامل مع التصدير والتجارة الخارجية، التي يرى كثير من خبراء الاقتصاد أنها طريق عام سريع (Highway) للتعليم الذاتي، لهذه المصانع والمشاريع التنفيذية في الخارج محطات الكهرباء والتقنية الصناعية المتقدمة كون المصانع قد حصلت على قروض طويلة الأجل لتمويل الرأسمالي ولا تستطيع الحصول على قروض قصيرة الأجل لتمويل التصدير. ونتج عن ذلك أن المصانع تحصل على قروض رأسمالية من سوق رأس المال (Capital Market) وتحصل البيوتات التجارية على قروض قصيرة الأجل من سوق المال (Money Market) لأغراض التصدير.

والأكثر استنتاجاً لطبيعة المشاركة هو اتخاذ القرارات بما هو معروف بنظام الرنجي (Ringi) الفريد في أسلوبه بالعالم كله بضرورة مشاركة جميع المدراء والمشرفين في اتخاذ القرارات. ويبتدئ هذا النظام في مشروع ورقة عمل يقوم بإعدادها صانع القرار من المستوى الأدنى تسمى رنجي شو (Ringi-sho) والتي يتم توزيعها على كافة المديرين للاطلاع والإضافة أو التعديل أو المصادقة في وضع ختم المدير المسمى هانكو (Hanko) الذي يضعه بالمقلوب إذا كان غير موافق على مشروع القرار. ويسبق وضع الاختتام عملية تقليدية يابانية تسمى نيماشي (Nemawashi) نابعة بمعناها من الزراعة بضرورة خلع الشجرة مع جذورها وربطها معاً وزراعتها بشكل صحيح حتى تنمو. وتتم عملية النيماشي بعد انتهاء الدوام وخلال الاجتماعات غير الرسمية في المطاعم والمقاهي بين المدراء لمناقشة أسباب

معارضة القرار وقبل وضع الختم بالمقلوب. وتنتهي عملية صناعة واتخاذ القرار باجتماع نهائي لتوقيع الرئيس العام على القرار إذا كان من القرارات الإستراتيجية للشركة بما يعني الالتزام بالتنفيذ. ومع أن إجراءات الرنجي والرنجي شو والنيماواشي وهانكو تأخذ وقتاً طويلاً، إلا أنها تعكس صورة تعبر عن ظاهرة فريدة للدمج ما بين التقاليد والحداثة. وأكثر ما نستنتج في التجربة اليابانية في اتخاذ القرارات أن اليابانيين يركّزون على الوصول إلى الهدف وانصبابهم على عملية تشكيل ووضوح الهدف لأنهم يرون أنه إذا لم يكن الهدف واضحاً فإن مسؤولية عدم تحقيق الهدف يجب أن تكون كذلك غير واضحة.

ومن الظواهر الاستنتاجية الأساسية المرتبطة بالثقة والحذق والتهذيب المتناهي تلك القيمة لنشاط إدارة شؤون الموظفين التي تعتبر فريدة عالمياً. وهذه الإدارة تعتبر القلب النابض للشركة إذ تتم من خلالها جميع الإجراءات المتعلقة بالتعيين والتدريب والنقل والتقاعد، إذ لا يمكن لأي مدير أن يطلب الاحتفاظ بموظف في إدارته أو نقله من إدارته. وتعمل هذه الإدارة على التقليل من المنافسة والحقد والكراهية أو التعاطف مع أفراد معينين لأسباب واجتهادات شخصية. وينتج من هذه الإستراتيجية التعاون والتآلف والمودة ومصدرها الثقة التي يشتق منها الراحة النفسية ونتائجها من الرقة والتهذيب بدلاً من العداة والكراهية نتيجة التعاطف أو الكراهية الشخصية. إن الاعتزاز بكرامة الإنسان مصدرها إحساسه بقيمته الذاتية والتي يؤمنون بها بشكل قاطع بما يدعوا بعض الأحيان للإقبال على الانتحار خوفاً من إهدار الكرامة. ويرون أن إدارة شؤون الموظفين بتقريرها وإجراءاتها بأنها هي الوسيلة الرئيسية للاحتفاظ بهذه الكرامة دون أن يشوبها اجتهادات شخصية في الكراهية من الجانب السلبي أو التعاطف من الجانب الإيجابي الذي قد لا يحكمه

الكفاءة والإنتاجية والعمل الجاد، بل فيض أو نقص العواطف واللفظ والاستحسان. ولربما أن ارتباط هذه الظاهرة في تركيز القرارات المصيرية للموظف بجهة محايدة نابع من خاصية الإنسان الياباني الذي لا يقبل المديح الفردي لأنه يعتبر الإنجاز بجهد جماعي وأنه نفسه عود ضمن حزمة ولا يرى المدح كميزة لأنه يشعر بأنه يؤدي إلى الاستكانة، ويشعر من فلسفة روحانية بأن المديح مثل قطعة البخور لا تلبث أن تستهلك نفسها في المبخرة. كما أن فلسفتهم كأفراد تنحصر بانعدام استخدام الكلمات البذيئة التي يشعرون أنها كالבصقة التي تخرج بالهواء المعاكس والتي على أثره تعود إلى وجه مستخدمها.

وأكثر ما يعكس اهتمامهم بالإدارة، وبعد تجربتهم بالنقل والاستعارة من نظريات الإدارة الغربية، ما أسموه بالأسس الخمسة للإدارة اليابانية المسماة (5S) وهي:

١ - SEIRI وتعني التخلص من الأشياء غير الضرورية.

٢ - SEITON وتعني وضع الأشياء حسب ترتيب ونظام أنيق وفعال.

٣ - SEISO الاهتمام بالنظافة وحسن التدبير.

٤ - SEIKETSU الحرص على وضع الأشياء بأوعيتها الصحيحة.

٥ - SHITSUKE الجدية في أداء العمل والانضباطية.

ونستنتج من هذه الأسس الخمسة بمجملها الكفاءة في استغلال المساحات المتاحة في المكتب والمصنع أفضل استغلال لأسباب نابعة من جغرافيا حجم الأرض المتاحة للاستعمال ومحاولة استغلالها بأفضل الطرق الممكنة بالتخلص من الأشياء غير الضرورية، ووضع الأشياء بترتيب أنيق، ووضع الأشياء بأوعيتها الصحيحة، والاهتمام بالنظافة وحسن التدبير. والاستنتاج الآخر هو ابتكارهم وإبداعهم

بالإتيان بمبادئ ونظريات ومفاهيم جديدة سنأتي لذكرها في هذا السياق .

وأكثر ما يتردد بالفعل ابتكارهم وتطويرهم للدراسات الإحصائية للإنتاجية بعد استقدامهم للخبراء الأمريكيين يعد هزيمة الحرب العالمية الثانية أمثال ديمينج الذي فشل في تطبيق نظريته في الرقابة الإحصائية على جودة المنتج في شركة جنرال موتورز الأمريكية لأسباب مرتبطة بقوة جماعات المصالح الأمريكية بالكونغرس المرتبطة بقطاعات العمال . وكالت فذلكته الأساسية أن الأعطال والجودة سببها الرئيسي ليس العامل بل الإدارة أو ما أسماه (مبدأ ٨٥-١٥) (١٥٪ خطأ العامل و ٨٥٪ خطأ الإدارة) . وساهم معه إداريون أمريكيون مثل الدكتور جوران خلال المرحلة الخاصة بنقل التقنية الأمريكية إلى اليابان بعد الحرب منطلقين من فذلكة تقرير دودج الذي ركز على أن اليابان يجب عليها أن تبني نفسها بنفسها دون معونات أمريكية . وكان لهذا التقرير أثر في التحدي الاقتصادي الياباني في الاعتماد على النفس منطلق من الاعتزاز بالكرامة التي تشير إلى إحساس الفرد بقيمته الذاتية واعتزازه بنفسه مما قد يدفعه للانتحار خوفاً من إهدار كرامته . وبقي مصدرهم الروحي في الاعتزاز بالكرامة مع السعي للثراء الذي يحقق الاعتراف بوجود الأتباع واللفظ والاستحسان مصدراً لبناء القيمة الذاتية التي تعتبر مصدراً للفضائل النبيلة .

ونظريتهم المنقولة والمعدلة من أمريكا (نظرية الجودة الشاملة) مصدرها الرئيسي الجماعية والإجماع ونظام الاقتراحات وفرق العمل التي تعمل من أجل الإنتاجية . ونستنتج من منهجهم ونهجهم أن الإنتاجية والثقة والحدق عناصر مترابطة أساسها الثقة إذ إن انعدامها يؤدي بالنهاية إلى الإلقاء بعنصر الحدق والمهارة وحتى التهذيب عرض الحائط . إن من النتائج الأخرى التي نمت وتطورت في

المجتمع الياباني الذي تربطه العديد من الوشائج بروز مشاعر الثقة المتبادلة لدرجة بدأ معها هذا المجتمع يتقبل بل يتذوق الحذق الذي تراققه الرقة واللفظ والتهذيب في العلاقات المثمرة والمتوازنة حتى إنه مع كل التقدم الصناعي نجد المرأة اليابانية تسير وحيدة في شوارع طوكيو بمنتصف الليل دون أن يتعرض لها أحد بأذى. إن نظرية الجودة الشاملة بتفاصيلها الكثيرة التي تركز على جودة السلعة المنتجة قد تطورت في اليابان من التحدي الاقتصادي بالاعتماد على النفس والمنافسة للغرب في دول العالم قد ابتدأت بالإنتاجية، فإن الثقة المتبادلة مصدرها القائم على اليقين بالتضحيات من الطرفين (الشركة والفرد) وكلاهما سيعوض الآخر في المستقبل. ولذلك فإن العدالة والمساواة تسود أوساط الشركة ومنها إلى مجمل الشركات والمجتمع الكلي في النهاية. إن التعاون والتآلف والمودة مصدرها الثقة والتي يشتق منها الراحة النفسية ونتاجها من الرقة والتهذيب وحدة الذهن التي كانت ولا زالت نبراساً للجودة الشاملة.

ونظرية كيزن التي أتينا لها بالتفصيل نستنتج منها قدرة الإدارة اليابانية على الإتيان بأساليب جديدة تتفق ومنطلقهم في الاعتماد على الذات في نوعية المنتج العالية والتكلفة القليلة والتوريد للمستهلك في الوقت المحدد. وأكثر ما يركزون عليه في الاعتماد على الذات في صيانة المعدات الذي وصل إلى حدود النظرية بقيام الشركات الغربية بزيارة الشركات اليابانية للاطلاع على صيحة (الصيانة الإنتاجية الشاملة) بتقليل الأعطال والإجهاد وازدياد التواجد التشغيلي للماكينة. ورافق نظرية كيزن، نظرية تويوتا (في الوقت المحدد) وأصبح على أثره أن نظرية كيزن ونظرية تويوتا ونظرية الصيانة الشاملة أبعاداً ثلاثة نستنتج منها الاعتماد على الذات في التحدي الاقتصادي في التنظيم والتقنين وتشجيع الإنتاج والتصدير للسلعة ذات الجودة الشاملة.

ويرتبط أسلوبهم الفريد عالمياً في التسويق بفذلكات أساسها المنطق والعقلانية والرشد. إن نهجهم التسويقي الجماعي لم يفتح مجالاً لقبول النظرية الغربية إذ لا مكان عندهم لتخصص التسويق، الذي يعتبرونه جزءاً من عملية البيع. فهم يرون أن البائع جاهز للبيع إلا أن المشتري يجب أن نقدم له الاستشارة والنصح الكامل بمميزات السلعة التي يرغب بشرائها ومقابلة احتياجاته في النوعية والجودة والتي أصبحت مصدراً عالمياً متميزاً. وقد اتجهت كثير من الشركات الغربية والكورية إلى الأسواق اليابانية بغية تحقيق النجاح في تلك الأسواق كمقياس ومعيار رئيسي لنجاحها في كافة أسواق العالم. إن نظرتهم للتسويق كما أوضحناها بالتفصيل نابعة من حضارتهم في الحذق والرقّة والتهديب اليابانية والتي تصدر عن ثقة متبادلة ما بين البائع والمشتري وخدمته منذ بداية الرغبة في الشراء وبعده. ولهذا كله يقوم وكيل سيارات مرسيدس وBMW بتفكيك السيارة بعد وصولها اليابان وإعادة تجميعها وإضافة رغبات المشتري عليها بما يخدم المستهلك الياباني النزق بمطالباته العالية. ولنا كذلك أن نقرب أكثر من الحقيقة القائلة بأن سوق شامل (Department Store) في العالم كله قد تم إنشاؤه عام ١٦٨٣ من عائلة (Mitsui) أو الشركة المعروفة عالمياً في عصرنا الحاضر والتي تعتبر من أكبر البيوتات التجارية اليابانية لإيضاح نظريتهم في التسويق.

ورافق النمو الاقتصادي الحثيث دور البنوك في التمويل الرأسمالي الطويل الأجل للصناعة بمعدلة (٢٠٪ - ٨٠٪) أي ٢٠٪ من أصحاب رأس المال و ٨٠٪ تمويل بنكي رأسمالي لحقوق الشركاء والذي لا يوجد له مثيل في العالم، إذ إن المتعارف عليه عالمياً هو (٨٠٪ - ٢٠٪) أي ٨٠٪ من المستثمرين و ٢٠٪ من البنوك. وتسعى الشركة أو المصنع أمام هذا التمويل الرأسمالي لخدمة القرض بأن

تسعى للوصول إلى الإنتاجية العالية وزيادة حجم المبيعات عن طريق اقتصاديات الحجم مما ينتج عنه هامشاً ربحياً قليلاً بالمقاييس العالمية؛ لأن تكلفة السلعة المباعة قد تم إدخال القروض كجزء منه في التكاليف المباشرة. وقد رأينا بالاستنتاج أن جزءاً من العائد لحقوق الشركاء بتسديد القرض وفوائده أدى إلى الهامش الربحي القليل الذي يتردد دائماً بأن تركيزهم على اقتصاديات الحجم أكثر من تركيزهم على الربح.

ورأينا كذلك أن الإقراض الرأسمالي طويل الأجل قد نتج عنه هيكلية ظهور البيوتات التجارية المعروفة والعاملة على تشجيع التصدير لدول العالم باتجاهها نحو سوق المال في الحصول على القروض التجارية القصيرة الأجل لتمويل التجارة كون المصنع لا يستطيع الحصول على قروض طويلة الأجل وقصيرة الأجل في نفس الوقت. أي إن المصانع اتجهت نحو السوق الرأسمالي (Capital Market) والبيوتات التجارية اتجهت نحو السوق المالي (Money Market).

وإذا كانت هذه الاستنتاجات مجتمعة قد حددت ملامح التجربة اليابانية، فإن خصائص الإستراتيجية الإدارية اليابانية يمكن أن نستنتج منها باختصار ما يلي:

(١) جغرافية اليابان بحجم الأرض الضئيلة بكل مقاييس المقارنة العالمية بحجم السكان الكبير والقابلة للاستعمال الإنساني مع الطبيعة الصعبة في الزلازل والأعاصير أحدثت لدى الإنسان الياباني التحدي الأول والأساسي لتحقيق البقاء. ونتج عنها التقارب في المساكن والتكاثر والألفة والروابط والوشائج المسماة في علم الاجتماع بالتلاحم والتماسك أو العصبية (Social Cohesion) والتي اعتبرها عدد كبير من المنظرين اللبنة الأساسية للنمو والتطور. كما نتج من هذه الطبيعة الجغرافية ضرورة قصوى في الاستخدام الأمثل للأرض الزراعية بالتقنية الحديثة

وبالتكاثف لعدد من العائلات معاً للحصول على حاجتهم الأساسية من الأرز كغذاء أساسي وتاجها في الجماعية الهيكلية الجغرافية التي نتج عنها الألفة والتكاثف والإنتاجية لتحقيق البقاء في ظل نظام إقطاعي أصيل وحقيقي من العاملين في الزراعة المتمكنين فيها والذين لهم علاقة متخصصة ومرتبطة بالزراعة. وعلى خلاف ما يراه الكثير من المنظرين العرب، يرى الدكتور محمد جابر الأنصاري في كتابه المنشور عام ١٩٩٤ (تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية: مدخل لإعادة فهم الواقع العربي) أن الإقطاع بمفهومه الفيدرالي الأوربي المبني على فكرة العقد بين الإقطاعي وأتباعه كان ظاهرة إيجابية مكّنت من زيادة إنتاجية الأرض الزراعية ومن تكوين سلسلة من البنى التحتية مهدت -فيما بعد- لتطوير العلاقة مع الأرض واستغلالها الأمثل. وعلى العكس، يرى الدكتور الأنصاري تاريخياً أن الإقطاع في العالم العربي لم يكن لمتخصصين في الزراعة، بل لأشخاص لا علاقة لهم بالزراعة أطلق عليهم (بدواً رعويين) لا صلة لهم بالتقاليد الزراعية مما أدى بسيطرتهم على الأرض إلى خرابها ووصولها إلى مرحلة التصحر. ويعتبر عدد كبير من المنظرين ومنهم البروفسور شارلس عيساوي في مقاله (Why Japan) أن هذا الإقطاع كان أساساً لبناء الرأسمالية. كما ساهمت الثوابت الأساسية الجغرافية في وفرة مصادر مياه الأنهار والشلالات باستغلال هذه الطاقة لتوليد الكهرباء والتخفيف من الاستثمارات الرأسمالية والتشغيلية البديلة بمحطات الكهرباء الغازية في حرق الغاز والبتروول. وأكثر من ذلك ساهمت الشواطئ العريضة والفسحة في استغلالها كذلك للمواصلات بدلاً من بناء السكك الحديدية والطرق السريعة ذات التكلفة الرأسمالية العالية.

(٢) الانعزال عن العالم نتج عنه تجانس عرقي لا يشوبه اختلافات

وصراعات عرقية مما ساعد على تكوين الروابط والوشائج والألفة والثقة من أجل تحقيق البقاء وتحدي ومنافسة الطبيعة الجغرافية الصعبة. لم تستطع أية قوة خلال التاريخ الطويل غزو اليابان وحتى عام ١٨٥٣ عندما دخلت السفن الحربية الأمريكية للجنرال بيرى الموانئ اليابانية وهددت استقلال اليابان. ونتاج هذا الحدث التاريخي يعتبر التحدي الثاني هو محاولة إبعاد شبح الاستعمار عن أراضيهم وعدم فقدانهم لاستقلاليتهم باتجاههم نحو الانفتاح على الحضارة الصناعية الغربية.

(٣) لكل أمة من الأمم نهضة تاريخية ويعتبر عصر الإمبراطور مييجي هو عصر النهضة اليابانية الذي ابتداءً عام ١٨٦٨. ونتج عنه عناصر إنتاجية في الانفتاح على الحضارة الصناعية الغربية بإرسال البعثات الدراسية والتدريبية والاتجاه نحو التعليم وإعطاء المعلمين صفة اجتماعية عليا مع تحقيق محو الأمية بشكل كامل مع عام ١٩١٧م أفضل مما حققته بريطانيا وفرنسا لنفس الفترة.

(٤) تأثرت اليابان بالتقاليد والأنماط والفلسفة الروحية والديانات الوضعية الوافدة من الصين مع هضمها وإكسابها طابعاً خاصاً ومميزات بالروح الكونفوشية اليابانية. ولكونها فلسفات روحية وضعية فقد كانت إمكانية التعديل والإلغاء أمراً طبيعياً كما حدث عندما سحبت الدولة اعترافها بالبوذية في عهد الإمبراطور مييجي ونتج عنه انعدام الصراع والانقسام بين أصحاب هذه الفلسفات الروحية التي أصبحت نوعاً من الإرشادات والمبادئ الأخلاقية. ونتج عنها القيمة المطلقة للنظام الأسري الأبوي وطاعة الوالدين وفرض الواجب بالعمل الشاق والابتعاد عن الأنانية المفرطة مما أدى إلى إطلاق قوة ديناميكية لعملية التنمية بتوفير أخلاقيات تدفع الأفراد بصورة مستمرة نحو المزيد من الإنجاز والأداء دون صراعات وانقسامات طائفية أو عرقية.

(٥) اتضح من مساق عدد السكان والثروة البشرية أن الرقعة الجغرافية الصغيرة والصالحة للاستعمال الإنساني مع ازدياد عدد السكان الذي وصل إلى (١٣٥) مليوناً أنه لا مجال لهم إلا في الإستغلال الأمثل للأرض والإنتاجية العالية لتحقيق البقاء. ولهذا يركزون في مبادئ الإدارة الخمس على الترتيب والتنظيم والحرص على وضع الأشياء بأماكنها الصحيحة والجدية في العمل. ومع أن اليابان انتهجت منذ عام ١٩٧٠ تنظيم النسل بحيث أصبحت الآن أقل دولة في العالم من حيث النمو النسبي للسكان مما نتج عنه نمواً اقتصادياً فائضاً مقارنة بالزيادة الطفيفة بعدد السكان.

(٦) اتجهت اليابان بفضل الثروة البشرية المتعلمة والمدرّبة نتيجة الابتعاث منذ عام ١٨٦٨ إلى أوروبا لاكتساب المهارات التقنية بفعل التحدي لتحقيق الاعتماد على الذات وإبعاد شبح الاستعمار عن بلادهم. وبعد هزيمة الحرب العالمية الثانية تجذّر الاعتماد على الذات بفعل تقرير دودج الذي فرض عليهم هذا النهج مما نتج عنه الاعتماد على الذات وبناء القدرة الذاتية لمنافسة الغرب كذلك.

(٧) تاريخ اليابان السياسي ما قبل هزيمة الحرب العالمية الثانية ومنذ آلاف السنين مرتبط بالعسكرة كمنهج استخدمه الإقطاع في استيلاء طبقة العسكر (الشوجن) على الحكم وأتباعهم من الساموراي. نتج عن هذه العسكرة روح الانضباط والولاء لما جذرته من روح التضحية والشجاعة والذي أدت بالاشتقاق لانتقال الضبط والربط والولاء والتضحية والطاعة من الفرد للشركة التي يعمل معها.

(٨) هزيمة الحرب العالمية الثانية والاحتلال الأمريكي وما تم إصلاحه اقتصادياً بحل الاحتكارات الموجهة نحو الآلة العسكرية نتج عنها توجيه القدرة

الذاتية والاعتماد على الذات في مواجهة الاستعمار لأول مرة بتاريخ اليابان وتحول الاقتصاد العسكري إلى اقتصاد سلمي .

(٩) اتجهت اليابان لنقل التقنية والإدارة الغربية بشكل متزايد بعد هزيمة الحرب العالمية الثانية وهزيمتها وأكسبتها طابعاً جديداً في الربط ما بين التقاليد ومتطلبات الحداثة . ونتج عنها أساليب يابانية مثل دوائر الجودة ونظام الاقتراحات ونظرية صفرية الأعطال وفي الوقت المحدد ونظرية كيزن وغيرها .

(١٠) تجذرت لدى اليابانيين القيم الاجتماعية في الانتماء إلى الأرض بعد استعمارهم من أمريكا عام ١٩٤٥م وكونت عندهم نزعة شديدة لبناء القدرة الذاتية والاعتماد على الذات في تعزيز وتفجير الثقة المتبادلة وإكساب التقاليد اليابانية في الجماعية والإجماع والعمل الجاد والمسلك في ظل ابتكارهم للوظيفة الدائمة وما رافقها من حياة وظيفية مستقرة وطاعة عمياء من الرؤوس لرؤسائه من منطلق الطاعة كقيمة اجتماعية راسخة التي انتقلت لتصبح من الفرد إلى الشركة .

(١١) الإستراتيجية اليابانية ركّزت على الإنتاج كقوة دفع أساسية للنمو الاقتصادي الثابت والمتزن؛ لأن العقلية اليابانية ترى أن دفع عجلة الإنتاج هو خير وسيلة لتحقيق مستويات معيشية مرتفعة . ويرجع الخبراء الاقتصاديون إلى أن ارتفاع معدلات الاستثمار المرتبطة بمعدلات عالية للفرد من الادخار كانت نتيجة حتمية للتطور الاقتصادي الياباني . كانت العسكرية عاملاً لتوحيد الشعب الياباني في محاولته التوسعية الفاشية والنازية قبل الحرب العالمية الثانية، وجاءت الهزيمة لتوحد الشعب الياباني في التركيز على الإنتاج والمنافسة الاقتصادية والصناعية بفعل الترابط ما بين الحكومة وقطاع الأعمال وبفعل الإصلاحات القانونية على نظام الشركات وبروز دور المنظمين ورجال المال والمدراء المحترفين، كما اتضح ذلك في مساقات الإستراتيجية الإدارية العشرة .

(١٢) ساهمت الإستراتيجية التسويقية في ظهور عدد كبير من النظريات والسياسات الإدارية التي نتج عنها قدرة كبيرة في المنافسة عن طريق الجودة وتقليل التكلفة وتحقيق رضا المستهلك محلياً وعالمياً من خلال إدارة الجودة الشاملة وإدارة النوعية الشاملة ودوائر الجودة وجوائز ديمينج وكيزن وغيرها التي أشعلت روح المنافسة بين الشركات للحصول على تصنيف عال بين الشركات.

(١٣) ويبقى فوق كل شيء، الإستراتيجية التمويلية من البنوك للشركات والمصانع والبيوتات التجارية من خلال قدرتها على تفعيل دور الادخارات الفردية وصبها في عروق الاقتصاد الوطني. وبعد كل شيء، القدرة الفائقة على التعلم المستمر الذي ساهم بفعالية وكفاءة العامل المدرب والثقاف والمدراء المحترفين. وقبل كل شيء، ساهم النظام المغلق في الحماية الصناعية الوطنية والإعانات غير المحدود والتوزيع العادل لمشاريع الحكومة في الميزانية كوسيلة لتحقيق التنافس والألفة والمودة مع أن هناك من يدعو في الوقت الحاضر لإلغاء هذه السياسات الحمائية.

(١٤) ويبقى بعد كل شيء هذا التجانس العرقي والعصبية في التلاحم والتماسك المجتمعي في القيادة السياسية والاقتصادية النابعة من الوطن والتراب والأرض ومن مجموعة متقاربة في العمر والمرجعية والخلفية الاجتماعية والجذور نبراساً تجذر على مر القرون مما تحقق معه معظم هذه الإنجازات التي تم اعتبارها مقاييس عديدة ومعجزة تتناقل الدول دراستها وصولاً للاستفادة من منهجها لعلها تستفيد في الإتيان بإستراتيجيات مقاربة نابعة من المجتمع ومستفيدة من خصائص الجغرافيا والتاريخ والثوابت الدائمة والقائمة وصولاً إلى التنمية والتطوير الذي وصلت إليه اليابان.

المصطلحات اليابانية

أماي: مصطلح يعبر عن المنافسة الشريفة ويعنى بوجود علاقة غير متوازنة بين قوي وضعيف بشعور القوي بواجبه برعاية الضعيف بإخلاص. ويتمثل في وقوف الشركات القوية مع الشركات التي قد تصل إلى مرحلة الإفلاس للنهوض بها بغية إصلاح عثرتها من الإفلاس ويتميز بخصوصية يابانية فريدة في العالم.

تاماوشي: تعبير ياباني ويعني مقزح اللون؛ لأن اللون هنا يعتمد على الجهة التي تنظر منها إلى قوس قزح واللون الذي تركّز عليه أكثر من الآخر. وتعني أن الموقف يعتمد على الموضوع المطروح بكونه معقداً أو غامضاً أو متشابكاً ومن الصعب أن يكون الإنسان حاسماً باللون الصحيح.

توتيمو: تعني الموقف المبني على قاعدة وعناصر منطلقة من العاطفة والمشاعر الجماعية والذي يمارسه الموظف بعلاقته الأبوية مع رئيسه المبني على الولاء والانصهار بثقافة الشركة.

توكوجاوا: الأسرة التي حكمت اليابان منذ مطلع القرن السابع عشر حتى عام ١٨٦٨م وأقامت نظاماً مستقراً نسبياً، وفرضت العزلة على المجتمع الياباني وحتى وصول الجنرال بيري عام ١٨٥٣ واحتلاله شواطئ اليابان مما شكل تحدياً سافراً لليابانيين لطرد الاستعمار. وقد ساد خلال تلك الفترة الإقطاع المركزي وكان على حكام الإقطاعيات قضاء جزء من وقتهم في قلعة كبير النبلاء الإقطاعيين (الشوجن) وترك بعض أفراد أسرهم لدى الشوجن كرهائن حتى لا يقدموا على تحدي سلطة الشوجن.

جيوكاي: اتحاد صناعي يجمع الشركات الصانعة ضمن تخصص صناعي واحد للتنسيق مع الحكومة من أجل تحديد الإنتاج وحصة السوق. ويلتحق بها الخبراء المتقاعدون من هذه الشركات الصانعة وتعبر عن متطلبات ورغبات مجموعة أصحاب المصالح وتحقيق أهدافهم في التأثير على التوجيهات الحكومية.

الدائت: هو البرلمان الياباني بمجلسيه: مجلس الشيوخ ومجلس النواب بنفس الطريقة الأمريكية والذي تم صياغته وفرضه على المجتمع الياباني من الاحتلال الأمريكي بعد هزيمة الحرب العالمية الثانية.

الرنجي: وتشير إلى عملية صناعة واتخاذ القرارات النابعة من التقاليد اليابانية في الجماعية والإجماع حيث يقوم الموظف المختص بقاعدة الهرم بصياغة مشروع القرار وتداوله بين جميع المستويات للإضافة والتعديل وتلاقح الأفكار والإقرار بحفل خاص للقرارات المصيرية.

رنجي شو: النموذج الذي يتم فيه إعداد صياغة مشروع صناعة القرار من ما يسموه فاتح الشباك المتخصص بالموضوع الذي يحتاج إلى قرار ويتم إرسال النموذج إلى جميع المديرين للاطلاع والإضافة أو التعديل أو المصادقة.

الزايكاي: مجموع اتحاد رجال المال والأعمال ذات نفوذ في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم ويتم الاختيار منهم للترشيح لمجلس النواب والشيوخ.

ون: نوع خاص من البوذية المرتبطة باليابان، وقد اعتنقها في البداية رجال الساموراي المحاربون، ثم تغلغلت إلى مختلف الطبقات. وتنطوي على كثير من الغموض، ومحورها الإخلاص التام والتضحية بالذات.

الزيماتسو: وتعني باليابانية Zai أي الحظوظ و Batsu وتعني العائلة أو العائلة المحظوظة. والتي تحكمت كمجموعة احتكارية من رجال الصناعة والمال في اليابان قبل الحرب العالمية الثانية والتي جرى حلها من قبل الاحتلال الأمريكي عام ١٩٤٧.

الساموراي: رجال محاربون يحملون السيوف مخلصون للأرستقراطية الإقطاعية، استمروا حتى عصر الأمبراطور مييجي الذي قضى عليهم في بداية القرن التاسع عشر. حققوا بنظامهم العسكري الصارم والضبط والربط الذي أحدثوه إلى تكوين سلوك مستقر مبني على احترام السلطة وتقسيم المجتمع إلى طبقة عليا من الارستقراطية ومخلصيهم الساموراي ويليهم الفلاحين وفي قاعدة الهرم التجار.

ميمي: أحد الأسس الخمسة للإدارة اليابانية وتعنى بضرورة التخلص من الأشياء غير الضرورية لارتباط هذا المفهوم بحجم الأرض الصغيرة الصالحة للاستعمال الآدمي وحجم السكان الكبير. كما يركز هذا المبدأ على ضرورة حسن تنظيم الأشياء.

سيمو: من أهم الأسس التي تقوم عليها حياة الياباني العامة بضرورة الاهتمام بالنظافة في كافة أموره الحياتية وحسن التدبير.

سيتون: من مبادئ وأسس الإدارة اليابانية النابع من البيئة اليابانية بضرورة وضع الأشياء حسب ترتيب ونظام أنيق وفعال.

سيكيتسو: لأن حجم الأرض الصالحة للاستعمال صغيرة أمام حجم السكان الكبير، فإن حجم المكتب الصغير مقارنة بأي مكتب في العالم يدعو إلى الحرص الشديد على وضع الملفات والأوراق والمعدات المكتبية في أماكنها الصحيحة.

شيتسوكي: من أهم الأسس الإدارية اليابانية في العمل الجاد والانضباط .

الشتو: ديانة يابانية محلية استمدت كثيراً من عناصرها من الكونفوشية والبوذية بعد أن تم سحب الاعتراف بالبوذية كديانة وضعية رسمية لليابان . وقد استخدمت هذه الديانة قبل الحرب العالمية الثانية لتمجيد الإمبراطور وتكريس مكانته المقدسة في نفوس اليابانيين ، وإلهام الشعور الوطني والروح القومية .

الشوجن: كبير النبلاء العسكريين ، والذي أصبح يحتل منصب حاكم اليابان العام قبل عهد الميجي ، وأصبحت أسرته تتوارث هذا المنصب في عهد توكوجاوا .

شينجيكيه: هيئة استشارية ملحقة بكل وزارة من الأكاديميين ورجال المال والأعمال ، تعمل ضمن تخصص محدد للوزارة المعنية وتقدم تقاريرها الاستشارية إلى مجلس الوزراء .

قو: لعبة يابانية يمارسها الموظفون والعمال بعد انتهاء الدوام الرسمي في المطاعم والمقاهي وفي الحفلات الخاصة . وتعتمد هذه اللعبة على التحرك خطوة بناء على الخطوة الذي يتخذها الجانب الآخر وترتبط باتخاذ القرارات اليابانية بالتأخر في المبادرة ؛ لأن المدير الياباني يريد أن يعرف المبادرة من الطرف الآخر أولاً .

كاروش: مرض يؤدي إلى الوفاة يصيب العاملين نتيجة الإرهاق وإدمان العمل انتشر في اليابان بشكل مذهل مما أدى بالهيئات الطبية لتخصيص ميزانيات سنوية للبحث العلمي في القضاء على هذا المرض .

كيدانرن: هيئة حكومية مسماها اتحاد التنظيمات الاقتصادية ، متخصصة في تحقيق أهداف ورغبات الشركات الصغيرة والمتوسطة تم إنشاؤها عام ١٩٤٧ بعد حل

الاحتكار المعروفة باسم الزيياتسو من قبل الحاكم الأمريكي الجنرال مكارثر بعد احتلال اليابان وهزيمتها في الحرب العالمية الثانية. وفي كل وزارة، يوجد إدارة متخصصة تابعة لهذه الهيئة ويشترك بها (١١٠) من الصناعات والخدمات وتركز على تحقيق متطلبات هذه الشركات من حيث الشؤون الضريبية وسياسات النقد والانفتاح.

مييجي: تعني عصر النهضة الحقيقية في اليابان بعهد الإمبراطور مييجي، وتطلق على النظام الجديد في اليابان الذي حل محل نظام توكوجاوا والذي أصبح فيه الإمبراطور بؤرة الولاء السياسي في اليابان (١٨٦٨-١٩١٢).

نيمواشي: تعبير نابع من فلاحه وزراعة الأرض ويعني بضرورة زراعة الشجرة وخلعها من جذورها بعناية فائقة بربطها وحزمها وتجهيز التربة المغذية للجذور وإتلاف الجذور الميتة وصولاً إلى تجذير جيد للشجرة وإحيائها. ويرتبط هذا التعبير بضرورة الجماعية في التنفيذ والإجماع على الأسلوب.

هانكو: في حالة المصادقة على الرئجي شو، يقوم المدير في وضع ختمه على النموذج لأنهم في التقاليد اليابانية يرون أن سلاح الساموراي هو سيفه وسلاح المدير هو ختمه. وفي حالة عدم الموافقة يضع الختم بالمقلوب.

هون: تعني المقصد والمشاعر الحقيقية والباعث الأساسي أو المسلك الذي يعبر عنه الفرد بشكل غير رسمي والذي يعبر عن رأي الشخص في الحفلات والمطاعم مع رئيسه عند ارتفاع الحواجز الرسمية.

قائمة المراجع

- A. J. Sherman, German-Jewish Bankers in World Politics: The Financing of the Russian-Japanese War, 1983.
- Akion Morita and Sony, Made in Japan, Penguin Book, New York, 1988. pp. 82-143.
- Crosby, Philip B: Quality without Tears, New York: McGraw-Hill 1984.
- Deming, W. Edward. Out of the Crisis, Cambridge, M.A. MIT Press, 1986.
- Goold, Michael and Campbell Andrew. Strategies and Styles (The role of the centre in Managing Diversified Corporation). Blackwell, Oxford, 1988.
- Imai, Masaaki. Kaizen Wave Circles the Globe, Tokyo Business Today, May 1990. pp. 43-48.
- Imai, Masaaki. Kaizen Revisited, Business Executive Volume 3, May-June 1989.
- Imai, Dr. Masaaki. QCD: Quality is not enough, manuscript, no date.
- Imai, Dr. Masaaki. Solving Quality Problems Using Common Sense, Journal of Quality Management, volume number 2, 1992. pp. 71-75

- Imai, Dr. Masaaki. IBC Gulf Conference, KAIZEN, Manuscript, Oct. 10-11, 1994
- Joran, Joseph M. Joran on Leadership for Quality, New York: The Free Press, 1989
- Komiya, R., Okuno, M., Suzumura K. (editors) Industrial Policy of Japan. Tokyo, Academic Press Inc. 1988.
- Musashi, Miyamoto. The Book of Five Rings, New York, Bantam Books, 1982.
- Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Publishers, 1995.
- Parkinson, C.N., Rastomji, M.K, Supre, S.A. The World's Great Achievements and Failures in Management. Bombay, India Book House Pvt. Ltd. 1989.
- Paul Kenedy, The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, Unwin in Hyman 1988.
- Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988.
- Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995.

- Robert, Michel. Strategy Pure and Simple, McGraw - Hill, N.Y. 1992.
- Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995.
- Schaller, M. The American Occupation of Japan, New York, 1985.
- Vogel, Ezra F. (editor) Modern Japanese Organization and Decision-Making. Tokyo, Charles E. Tuttle Company, 1985.
- Walton, Mary. The Deming Management at work, New York. Perigee Books, 1990.
- Alan Blinder; There are Capitalists, then there are the Japanese, Business Week, October 8, 1990.
- FORTUNE, Japanese Business Practice, December 9, 1991.
- C.K. Prahalad, Use a Long Spoon, Forbes 1986.
- Terutomo Ozawa, Japan's Technological Challenge to the West, 1950-1974: Motivation and Accomplishment, Boston, M.I.T., 1974.
- Koichi Emi, "Economic Development and Educational Investment in the Meji Era" in M.J. Bowman et al., eds., Readings in the Economics of Education (Paris: UNESCO, 1968) P. 100-113.

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤.

د. إبراهيم عبدالله المنيف، مجموعة من المقالات عن الإدارة اليابانية المنشورة في جريدة الاقتصادية ومجلة التجارة ومجلة اليمامة - الرياض (١٩٨٥-١٩٩٧).

د. إبراهيم عبدالله المنيف، تطور الفكر الإداري المعاصر، الرياض، مطابع الشمس ١٩٩٣.

د. إبراهيم عبدالله المنيف، إستراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي، الرياض، دار العلوم، ١٩٩٢.

توماس وهيلين، دافيد هنجبر، الإدارة الإستراتيجية، ترجمة د. محمود مرسى و د. زهير الصباغ، الرياض، معهد الإدارة العامة ١٩٩٠.

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
	الفصل الأول
١٩	الثوابت والمتغيرات الأساسية في البيئة اليابانية
٢١	- الجغرافيا
٢٦	- العزلة والانعزال
٣٢	- التاريخ
٣٧	- تاريخ عصر النهضة
٤٢	- السكان
٥٠	- الثروة البشرية
٥٥	- العسكرية اليابانية
٦١	- الاحتلال الأمريكي
٦٨	- التوفيق والملاءمة
٧٢	- التغيير المخطط
	الفصل الثاني
٧٧	القيم الاجتماعية
٧٩	- الانتماء إلى الأرض
٨٣	- بناء القدرة الذاتية
٨٨	- الثقة المتبادلة
٩٢	- الجماعية
٩٧	- الإجماع
١٠١	- العمل الجاد

الصفحة	الموضوع
١٠٥	- المسلك والموقف
١١٠	- الحياة الوظيفية
١١٦	- الوظيفة الدائمة
١٢١	- تقييم الأداء
	الفصل الثالث
١٢٥	- الإستراتيجية الإدارية
١٢٧	- البيروقراطية
١٣٦	- احتكار الزياتسو
١٤٢	- التعليم والتدريب
١٥٢	- قطاع الأعمال
١٥٧	- استراتيجية قطاع الأعمال
١٦٣	- السياسات الإدارية
١٧٢	- القيادة الإدارية
١٧٦	- اتخاذ القرارات
١٨٦	- الكفاءة والإنتاجية
١٩٣	- التنظيم والإدارة
	الفصل الرابع
١٩٩	- المفاهيم والأسس الإدارية اليابانية
٢٠١	- إدارة الجودة الشاملة
٢١٤	- النظام الإداري (كيزن) للتحسين المستمر
٢٢٦	- الإدارة التسويقية

الصفحة	الموضوع
٢٣١	- الإدارة البنكية
٢٤٢	- خصائص الإستراتيجية الإدارية اليابانية
٢٥٦	- إستراتيجية انتقال وتطوير التقنية
٢٧٩	الخلاصة
٣١١	الاستنتاجات
٢٣٩	المصطلحات اليابانية
٣٤٥	قائمة المراجع
٣٤٩	محتويات الكتاب

هذا الكتاب

يلقي الضوء على التجربة اليابانية في الإدارة الإستراتيجية
ويجيب على تساؤلات كثيرة منها:

• كيف تحقق لليابان التنمية والتطوير مع ندرة الثروات
الطبيعية؟

• لماذا تحققت المعجزة اليابانية ولم تتحقق لغيرها من الدول التي
تحتوي على نفس المدخرات الطبيعية؟

• كيف استطاع اليابانيون التوليف بين التراث الشعبي التقليدي
والحدثة بابتكار أساليب إدارية نابعة من البيئة المحلية؟

• كيف خلق اليابانيون هذه المعجزة التي تتضارب مع معظم
النظريات الإدارية الغربية؟

• كيف يمكن للباحثين العرب في الإدارة استنباط إستراتيجيات
إدارية عربية نابعة من البيئة المحلية والثوابت العربية؟

• هل يمكن نقل أو استنساخ الأفكار والمفاهيم والأسس الإدارية
اليابانية ما يمكن تجربته وإنجاحه في عالمنا العربي؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير يحاول كتابنا هذا الإجابة عليها
بأسلوب شيق، يفتح أمام القارئ والمثقف العربي آفاقاً جديدة
للتطور.

الناشر

98081506000235



٩٩٦٠-٢٠-٥١١-٨